الباب العاشر

فيما اخترناه من شعر أبى العلاء المعرى

قال أبو العلاء:

عَلِّلاَنِى فَـإِنَّ بِـيضَ الأَمَـانِى فَنِـيَتْ وَالظَّـلاَمُ لَيْـسَ بِفَـانِى

يقول: تطاول ليلى ففزعت إلى أحاديث النفس ومخادعتها بالأمانى، قضى ذلك ولم يفن الليل.

إِنْ تَنَاسَـيْـتُـمَـا وِدَادَ أُنَاسٍ فَاجْـعَلانى مِنْ بَعْضِ مَـنْ تَذْكُرَانِ

رُبَّ لَيْلٍ كَـأَنَّهُ الصُّبْحُ فِى الحُسْـ ـنِ وَإِنْ كَـانَ أَسْـوَدَ الطَّيْلَسَـانِ

قَـدْ رَكَـضْنَا فِيـهِ إِلَى اللَّهْـوِ لَمَّـا وَقَفَ النَّجْـمُ وَقْـفَـةَ الحَيْـرَانِ

كَمْ أَرَدْنَا ذَاكَ الـزَّمَـانَ بِمَـدْحٍ فَـشُـغِلْنَا بِذَمِّ هَذَا الزَّمَـانِ

فَكَأَنِّـى مَـا قُلْتُ وَالبَـدْرُ طِفْلٌ وَشَـبَـابُ الظَّلْمَـاءِ فِى عُـنْفُـوَانِ

أى لما ذممت العيش فى هذا الزمان وانقضى طيب العيش بانقضاء ذاك الزمان صرت كأنى لم أقل رضاء بذلك الزمان ليلتى هذه عروس من الزنج وحال البدر فى تلك الليلة أنه طفل أى هو فى أول الشهر هلال بعد لم يبدر وشباب ظلمة الليل فى العنفوان أى فى أوله لم يقتحم بعد غمرة الليل.

لَيْـلَتِى هَذِهِ عَـرُوسٌ مِنَ الـزَّنْجِ عَلَيْـهَـا قَـلاَئِدٌ مِنْ جُـمَـانِ

هذا البيت مقول كـأنى ما قلت، أى كأنى لم أقل فى وصف تلك الليلة هى عروس زنجية.

هَرَبَ النَّوْمُ عَنْ جُـفُـونِى فِـيـهَـا هَرَبَ الأَمْنِ عَنْ فُـؤَادِ الجَبَـانِ

أى زال عنى النوم فى تلك الليلة لما دفعت إليه من السرى فيها.

وَكَـأَنَّ الهِـلاَلَ يَهْـوَى الثُّـرَيَّا فَـهُـمَـا لِلْوَدَاعِ مُـعْـتَنِقَـانِ

قَالَ صَحْبِى فِى لُجَّتَيْنِ مِنَ الحِنْـ ـدِسِ وَالبِيدِ إِذْ بَدَا الفَرْقَدَانِ

يقول: قال أصحابى حين تحيرنا فى بحرين ظلمة الليل والبرية.

نَحْنُ غَرْقَى فَكَيْفَ يُنْقِذُنَا نَجْمَانِ فِى حَوْمَةِ الدُّجَى غَرِقَانِ

وَسُهَيْلٌ كَوَجْنَةِ الحبِّ فِى اللَّوْ ن وَقَلْبِ الْمُحِبِّ فِى الخَفَقَانِ

مُسْتَبِدًا كَأَنَّهُ الفَارِسُ المُعْـ ـلَمُ يَبْدُو مُعَارِضَ الفُرْسَانِ

يُسْرِعُ اللَّمْحَ فِى احْمِرَارٍ كَمَا تُسْـ ـرِعُ فِى اللَّمْحِ مُقْلَةُ الغَضْبَانِ

ثُمَّ شَابَ الدُّجَى وَخَافَ مِنَ الهَجْـ ـرِ فَغَطَّى المَشِيبَ بِالزَّعْفَرَانِ

وَنَضَا فَجْرُهُ عَلَى نَسْرِهِ الوَا قِعِ سَيْفًا فَهَمَّ بِالطَّيَرَانِ

وَبِلادٍ وَرَدْتُهَا ذَنَبَ السَّـ ـرْحَانِ بَيْنَ المَهَاةِ وَالسِّرْحَانِ

أى: وردتها وقت الصبح.

وَعُيُونُ الرِّكَابِ تَرْمُقُ عَيْنًا حَوْلَهَا مِحْجَرٌ بِلاَ أَجْفَانِ

ترمق عينًا: أى عين ماء.

وَعَلَى الدَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ الشَّهِيدَيْـ ـنِ عَلِىٍّ وَنَجْلِهِ شَاهِدَانِ

فَهُمَا فِى أَوَاخِرِ اللَّيْلِ فَجْرَا ن وَفِى أُوْلَيَاتِهِ شَفَقَانِ

ثَبَتَا فِى قَمِيصِهِ لِيَجِيءَ الْحَشْـ ـرَ مُسْتَعْدِيًا إِلَى الرَّحْمَنِ

وقال أيضًا:

غَيْرُ مُجْدٍ فِى مِلَّتِى وَاعْتِقَادِى نَوْحُ بَاكٍ وَلاَ تَرَنُّمُ شَادِ

وَشَبِيهٌ صَوْتُ النَّعِىِّ إِذَا قِيـ ـسَ بِصَوْتِ البَشِيرِ فِى كُلِّ نَادِ

يقول: إذا نظر المرء إلى حال الدنيا وسرعة زوالها يستوى عنده النعى بالميت أو البشارة بالمولود إذ مصير المولود إلى الفناء.

أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أَمْ غَنَّـ ـتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا المَيَّادِ

صَاحِ هَذِى قُبُورُنَا تَمْلأُ الرَّحْـ ـبَ فَأَيْنَ القُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ

خَفِّفِ الوَطْأَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الـ أَرْضِ إِلاَّ مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ

وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ العَهْـ ـدُ هَوَانُ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ

سرْ إنِ اسْتَطَعْتَ فِي الهَوَاءِ رُوَيْدَاً ... لاَ اخْتِيالاً عَلَى رُفَاتِ العِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدَاً مِرَارَاً ... ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ ... فِي طَوِيلِ الأَزْمَانِ وَالآبَادِ
فَاسْأَلِ الفَرْقَدَيْنِ عَمَّنْ أَحَسَّا ... مِنْ قَبِيلٍ وَأَنَسَا مِنْ بِلاَدِ
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ ... وَأَنَارَا لِمُدْلِجٍ فِي سَوَادِ
تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا أَعْـ ... ـجَبُ إِلاَّ مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
إِنَّ حُزْنًا فِي سَاعَةِ المَوْتِ أَضْعَا ... فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ المِيلاَدِ
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ ... أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ

يقول: إن الناس خلقوا للبقاء فى الدار الآخرة دار الحياة والبقاء ومن ظن أنهم خلقوا للفناء والنفاد فقد ضل.

إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا ... لٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
ضَجْعَةُ المَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيـ ... ـحُ الجِسْمُ فِيهَا وَالعَيْشُ مِثْلُ السُّهَادِ

وقال أيضًا:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ يَا أُمَامَةَ بَعْدَمَا ... نَزَلَ الدَّلِيلُ إِلَى التُّرَابِ يَسُوفُهُ

ساف الدليلُ التراب: إذا شمه ليعلم أعَلَى قصدٍ هو أم على غير قصد يستدل بروائح أبوال الإبل.

وَالعِيسُ تُعْلَنُ بِالْحَنِينِ إِلَيْكُمُ ... وَلُغَامُهَا كَالبِرْسِ طَارَ نَدِيفُهُ
فَنَسِيتُ مَا كَلَّفْتَنِيهِ وَطَالَمَا ... كَلَّفْتَنِي مَا ضَرَّنِي تَكْلِيفُهُ
وَهَوَاكَ عِنْدِي كَالْغِنَاءِ لأَنَّهُ ... حَسَنٌ لَدَيَّ ثَقِيلُهُ وَخَفِيفُهُ

وقال أيضًا:

لاَ تَطْوِيَا السِّرَّ عَنِّي يَوْمَ نَائِبَةٍ ... فَإِنَّ ذَلِكَ ذَنْبٌ غَيْرُ مُغْتَفَرِ
وَالخِلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ ... مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الْكَدَرِ

وقال أيضًا:

يَمَّمْتُهُ وَيَوِدُّ أَنِّي قَلَّمٌ ... أَسْعَى إِلَيْهِ وَرَأْسِي تَحْتِي السَّاعِي

عَلَى نَجَاةٍ مِنَ الفِرْصَادِ أَيَّدَهَا رَبُّ القَدُومِ بِأَوْصَالٍ وَأَضْلاَعِ

أراد سفينة متخذة من شجر الفرصاد، ورب القدوم: يعنى النجار.

وقال أيضًا يمدح بعض الشعراء:

رَدَّتْ لَطَافَتُهُ وَحِدَّةُ ذِهْنِهِ وَحْشَ اللُّغَاتِ أَوَانِسًا بِخِطَابِهِ

أراد بوحش اللغات الألفاظ الغريبة البعيدة عن الاستعمال أى أنه للطافة طبعه وحدة ذكائه يرد الألفاظ الوحشية المهملة إنسية مستعملة يعنى: لحذقه يستعمل اللغة الغريبة فيقربها من الأفهام بحيث تألفها الطباع.

وَالنَّحلُ يَجْنِى المُرَّ مِنْ نَورِ الرُّبَا فَيَصِيرُ شَهْدًا فِى طَرِيقِ رُضَابِهِ

أى أن غريب اللغات ووحشيها يصير باستعماله مألوفًا للطباع آنسًا لها كما أن النحل يجنى الأزهار المرة من الآكام فيأكلها فتصير حلوة فى مجارى ريقه أى أن المر بمصاحبة النحل يصير شهدًا فكذا الوحش من اللغة يصير آنسًا باستعماله، ومن منثور أبى العلاء فى مدح شاعر قوله: لا أعدم الله الشعراء إرشادك ولا الملوك إنشادك فلو كان للقريض ولد لكنته ولو سكن بين الشعراء أحد لسكنته.

وقال أيضًا فى وصف الدرع:

رَهَنْتُ قَمِيصِى عِنْدَهُ وَهْوَ فَضْلَةٌ مِنَ المُزْنِ يُعْلَى مَاؤُهَا بِرَمَادِ

أراد بالقميص: الدرع.

أَتَأْكُلُ دِرْعِى إِنْ حَسِبْتَ قَتِيرَهَا وَقَدْ أَجْدَبَتْ قَيْسٌ عُيُونَ جَرَادِ

أَكُنْتَ قَطَاةً مَرَّةً فَظَنَنْتَهَا جَنَى الكَحْصِ مُلْقًى فِى سَرَارَةِ وَادِ

الكحص: نبت، وجناه: حبه.

فَلَيْسَتْ بِمَحْضٍ تَرْتَغِيهِ مُبَادِرًا وَلاَ بِغَدِيرٍ تَبْتَغِيهِ صَوَادِى

ترتغيه: أى تأخذ رغوته، يقول: ليست هذه الدرع لبنًا تشربه.

إِذَا طُوِيَتْ فَالقَعْبُ يَجْمَعُ شَمْلَهَا وَإِنْ نُثِلَتْ سَالَتْ مَسِيلَ ثِمَادِ

الثماد: جمع ثمد وهو الماء القليل، يقول: إذا طويت الدرع صغر حجمها حتى صار القعب يسعها وإن نشرت ولبست سالت على البدن كالماء.

وَمَا هِيَ إِلاَّ رَوْضَةٌ سَدِكٌ بِهَا ذُبَابُ حُسَامٍ فِي السَّوَابِغِ شَادِ

سدك بالشيء: أي لزمه.

وقال أيضًا:

دَعِ الْيَرَاعَ لِقَوْمٍ يَفْخَرُونَ بِهِ وَبِالطِّوَالِ الرُّدَيْنِيَّاتِ فَافْتَخِرِ
فَهُنَّ أَقْلاَمُكَ اللاَّتِي إِذَا كَتَبَتْ مَجْدًا أَتَتْ بِمِدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرِ
وَكُلُّ أَبْيَضَ هِنْدِيٍّ بِهِ شُطَبٌ مِثْلُ التَّكَسُّرِ فِي جَارٍ بِمُنْحَدِرِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ جَفْنًا قَبْلَ مَسْكَنِهِ فِي الْجَفْنِ يُطْوَى عَلَى نَارٍ وَلاَ نَهَرِ
وَلاَ ظَنَنْتُ صِغَارَ النَّمْلِ يُمْكِنُهَا مَشْيٌ عَلَى اللُّجِّ أَوْ سَعْيٌ عَلَى السُّعُرِ

وقال أيضًا:

أَنْتُمْ ذَوُو النَّسَبِ الْقَصِيرِ فَطُولُكُمْ بَادٍ عَلَى الْكُبَرَاءِ وَالأَشْرَافِ

معناه: أن الرجل إذا كان شريفًا اكتفى باسم أبيه فإذا ذكر أباه وعرف به قصر نسبه وإذا لم يكن شريفًا افتقر إلى أن يذكر آباء كثيرة حتى يصل إلى أب شريف.

وَالرَّاحُ إِنْ قِيلَ ابْنَةُ الْعِنَبِ اكْتَفَتْ بِأَبٍ عَنِ الأَسْمَاءِ وَالأَوْصَافِ

وقال أيضًا:

رَأْوُكَ بِالْعَيْنِ فَاسْتَغْوَتْهُمُ ظُنَنٌ وَلَمْ يَرَوْكَ بِفِكْرٍ صَادِقِ الْخَبَرِ

أي: إنما رأوك بالأبصار الظاهرة التي لا تدرك الأجسام، الصور والناس فيها سواسية فاستجهلهم الوهم حتى توهموك كبعض من يرونه ولم يروك بالبصيرة الباطنة التي تدرك المعاني التي هي أرواح الصور ولم يجيلوا الفكر فيك فيطعلهم على صادق خبرك.

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأَبْصَارُ صُورَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لاَ لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ

وقال أيضًا:

حَسَّنْتِ نَظْمَ كَلاَمٍ تُوصَفِينَ بِهِ وَمَنْزِلاً بِكِ مَعْمُورًا مِنَ الْخَفَرِ

الخفر: شدة الحياء.

فَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشَّعَرِ

وقال أيضًا يذكر فرسًا:

أَخَفُّ مِنَ الوَجِيهِ يَدًا وَرِجْلاَ ... وَأَكْرَمُ فِي الجِيَادِ أَبًا وَخَالاَ

الوجيه: فرس من فحول الخيل.

وَكُلُّ ذُؤَابَةٍ فِي رَأْسِ خَوْدٍ ... تَمَنَّى أَنْ تَكُونَ لَهُ شِكَالاَ

وقال أيضًا:

عَلَوْتُمُ فَتَوَاضَعْتُمْ عَلَى ثِقَةٍ ... لَمَّا تَوَاضَعَ أَقْوَامٌ عَلَى غَرَرِ

وَالكِبْرُ وَالحَمْدُ ضِدَّانِ اتِّفَاقُهُمَا ... مِثْلُ اتِّفَاقِ فَتَاءِ السِّنِّ وَالكِبَرِ

يجْنِي تَزَايُدُ هَذَا مِنْ تَنَاقُصِ ذَا ... وَاللَّيْلُ إِنْ طَالَ غَالَ اليَومَ بِالقِصَرِ

وقال أيضًا يصف خيلاً:

نَشَأْنَ مَعَ النَّعَامِ بِكُلِّ دَوٍّ ... فَقَدْ أَلِفَتْ نَتَائِجَهَا الرِّئَالاَ

الدو: الأرض المقفرة، ونتائجها: مهارها، والرئال: جمع رال وهو ولد النعام.

وَلَمَّا لَمْ يُسَابِقْهُنَّ شَيْءٌ ... مِنَ الحَيَوَانَ سَابَقْنَ الظِّلاَلاَ

تَرَى أَعْطَافَهَا تَرْمِي حَمِيمًا ... كَأَجْنِحَةِ البُزَاةِ رَمَتْ نُسَالاَ

الحميم: العرق، والنسال: ما ينتثر من ريش الطائر.

وقال أيضًا فى البرق:

أَلاَحَ وَقَدْ رَأَى بَرْقًا مُلِيحًا ... سَرَى فَأَتَى الحِمَى نِضْوًا طَلِيحَا

يقول: أشفق صاحبى لما رأى برقًا لامعًا.

كَمَا أَغْضَى الفَتَى لِيَذُوقَ غَمْضًا ... فَصَادَفَ جَفْنُهُ جَفْنًا قَرِيحَا

إِذَا مَا اهْتَاجَ أَحْمَرَ مُسْتَطِيرًا ... حَسِبْتَ اللَّيْلَ زَنْجِيًّا جَرِيحَا

وقال أيضًا:

إِلَيْكَ تَنَاهَى كُلُّ فَخْرٍ وَسُؤْدَدٍ ... فَأَبْلِ اللَّيَالِي وَالأَنَامَ وَجَدِّدِ

لِجَدِّكَ كَانَ المَجْدُ ثُمَّ حَوَيْتَهُ ... وَلاِبْنِكَ يُبْنَى مِنْهُ أَشْرَفُ مَقْعَدِ

ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ هِيَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ... وَمَا هُنَّ غَيْرُ الأَمْسِ وَاليَوْمِ وَالغَدِ

وَمَا البَدْرُ إلاَّ وَاحِدٌ غَيْرَ أَنَّهُ يَغِيبُ وَيَأْتِى بِالضِّيَاءِ المُجَدَّدِ
فَلا تَحْسِبِ الأَقْمَارَ خَلْقًا كَثِيرَةً فَجَمْلَتُهَا مِنْ نَيِّرٍ مُتَرَدِّدِ
وَلِلْحَسَنِ الحُسْنَى وإِنْ جَادَ غَيْرُهُ فَذَلِكَ جُودٌ لَيْسَ بِالْمُتَعَمَّدِ
لَهُ الجَوْهَرُ السَّارِى يُؤَمِّمُ شَخْصَهُ يَجُوبُ إِلَيْهِ مَحِتدًا بَعْدَ مَحْتِدِ

أى: جوهره يؤمم أى يقصد ويجوب إليه أصلاً بعد أصل حتى يكون هو من ذلك الجوهر.

وَلَوْ كَتَمُوا أَنْسَابَهُمْ لَعَرَّتْهُمُ وُجُوهٌ وَفِعْلٌ شَاهِدٌ كُلَّ مُشْهَدِ
وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الْغَمَامِ وَإِنَّمَا مِنَ البَحْرِ فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ يُجْتَدِى

المعنى: أن ما يشاهد فى هؤلاء من الكرم إنما استفادوه من شرف محتد آبائهم وراثة فالفرع يتبع الأصل.

وَيَهْدِى الدَّلِيلُ القَوْمَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ وَلَكِنَّهُ بِالنَّجْمِ يَهْدِى وَيَهْتَدِى
فَيَا أَحْلَمَ السَّادَاتِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ وَيَا أَجْوَدَ الأَجْوَادِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
وَطِئْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ وَطْأَةَ ثَائِرٍ فَأَتْلَفْتَ مِنْهَا نَفْسَ مَا تُصَفِّدِ

يريد أذللت صروف الدهر منها ما صفدته أى أثقلته بالقيود وما لم تقيده أهلكته.

وَدَانَتْ لكَ الأَيَّامُ بِالرَّغْمِ وَانْضَوَتْ إِلَيْكَ اللَّيَالِى فَارْمِ مَنْ شِئْتَ تُقْصِدِ
بِسَبْعِ إِمَاءٍ مِنْ رَغَاوَةَ زُوِّجَتْ مِنَ الرُّومِ فِى نَعْمَاكَ سَبْعَةَ أَعْبُدِ

أى: ارم من شئت بسبع إماء من رغاوة وهى قبيلة من السودان يريد سبع ليال أنكحت من سبعة أعبد من الروم يريد سبعة أيام أى أن الأيام والليالى عبيدك وإماؤك والدهر كله مبنى من سبعة أيام وسبع ليال.

وَلَوْلاَكَ لَمْ تَسْلَمْ أَفَامِيَةُ الرَّدَى وَقَدْ أَبْصَرَتْ مِنْ مِثْلِهَا مَصْرَعَ الرَّدِى

أفامية: حصن سلم بالممدوح من الهلاك ولولاه لالتحقت بمثلها.

فَأَنْقَذْتَ مِنْهَا مَعْقِلاً هَضَبَاتُهُ تَلَفَّعُ مِنْ نَسْجِ السَّحَابِ وَتَرْتَدِى

أى: خلصت من أفامية معقلاً كأن هضباته تتخذ السحاب رداء.

وقال بعضهم:

سقى الله مُن أعلام بغداد قلعة يحوم بها نسر السماء على وكر

نسر السماء: هو السماك.

وَحِيدًا بِثَغْرِ المُسْلِمِينَ كَأَنَّهُ بِفِيهِ مُبَقًّى مِنْ نَواجِذِ ادْرَدِ

أى: بقى هذا الحصن وحيدًا بالثغر وهو الدرب الذى بين دار الإسلام والكفر كان هذا الحصن المفرد بفيه أى بقى الثغر ناجذ واحد بقى فى فم ادرد.

بِأَخْضَرَ مِثْلِ البَحْرِ لَيْسَ اخْضِرَارُهُ مِنَ المَاءِ لَكِنْ مِنْ حَدِيدٍ مُسَرَّدِ

أى: بجيش أخضر يريد من كثرة السلاح يرى كأنه أخضر.

كَأَنَّ الأَنُوقَ الخُرْسَ فَوْقَ غُبَارِهِ طَوَالِعُ شَيبٍ فِى مَفَارِقِ أَسْوَدِ

الأنوق: الرخم وهى توصف بقلة الصوت، شبه الرخم البيض الطائرة فوق الغبار الأسود بالشعرات البيض فى مفارق رجل أسود قد شاب مفرق رأسه.

وَلَيس قَضِيبُ الهِنْدِ إلا كنابت مِنَ القضب فى كفِّ الهدَانِ المعرّد

الهدان: الجبان، والقضب: هو القت نبت معلوم.

مَتَى أَنَا فِى رَكْبٍ يَأُمُّونَ مَنْزِلاً تَوَحَّدَ مِنْ شَخْصِ الشَّرِيفِ بِأَوْحَدَ

توحد أى تميز عن سائر المنازل وصار أوحدها لما كان صاحبه أوحد الناس.

عَلَى شَدْقَمِيَّاتٍ كَأَنَّ حُدَاتَهَا إِذَا عَرَّسَ الرُّكْبَانُ شُرَّاب مُرْقِدِ

المرقد: دواء يشرب ليرقد صاحبه.

تُلاَحِظُ أَعْلاَمَ الفَلاَ بِنَوَاظِرٍ كُحِلْنَ مِنَ اللَّيْلِ التِّمَامَ بِإِثْمِدِ

يُخَلْنَ سَمَامًا فى السَّمَاءِ إِذَا بَدَتْ لَهُنَّ عَلَى أَينٍ سَمَاوَةُ مَوْرِدِ

السمام: ضرب من الطير.

تَظُنُّ بِهِ ذَوْبَ اللُّجَينِ فَإِنْ بَدَتْ لَهُ الشَّمْسُ أَجْرَتْ فَوْقَهُ ذَوْبَ عَسْجَدِ

أى تظن أنت.

تَبِيتُ النُّجُومُ الزُّهرُ فِى حُجُرَاتِهِ شَوَارِعَ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ المُتَبَدِّدِ

فَأَطْمَعْنَ فِى أَشْبَاحِهِنَّ سَوَاقِطًا عَلَى المَاءِ حَتَّى كِدْنَ يُلْقَطْنَ بِاليَدِ

أى ظهرت النجوم فى الماء حتى أطمعت من رآها، وقال العجاج:

باتت تـظن الكوكب السـيـارا لؤلؤة فـى الماء أو مـسـمـارا
فَـمَدَّتْ إِلَى مِـثْلِ السَّمَـاءِ رِقَابَهَـا وَعَـبَّتْ قَلِيـلاً بَـيْنَ نَسْـرٍ وَفَـرْقَـدِ

أى وردت الإبل الماء ومدت أعناقها للشرب إلى مورد مثل السماء لما يرى فيه من النجوم فشربت ماء قليلاً بين هذين الكوكبين.

وَذُكِّـرْنَ مِنْ نَيْلِ الشَّـرِيفِ مَـوَارِداً فَـمَا نِلنَ مِنْهُ غَـيْرَ شِـرْبٍ مُصَـرَّدِ

المصـرد: المقلل، يقـول لما وردت الإبل الماء ناهلة ذكـرت أنهـا قاصـدة هذا الممدوح وهى ترد منهـلاً من نيله فقللت شـرب الماء لتصيب ريّـا من موارد نيله وعطائه.

وَلاَحَتْ لَهَـا نَارٌ يُـشَبُّ وَقُـودُهَا لأَضْـيَـافِهِ فِى كُـلِّ غورٍ وَفَـدْفَـدِ
بِخَـرْقٍ يُطِيلُ الجُنْحُ فيـهِ سجـودَهُ وَلِلأَرْضِ زِىُّ الرَّاهب المتـعـبِّـدِ

الخرق: الفلاة، والجنح: الليل، ويطيل سجوده أى يطول لبثه.

فَمَـرَّتْ إِذَا غَنَّى الرَّدِيفُ وَقَدْ ونَتْ بِذِكْـرَاهُ زَفَّتْ كَـالنَّعَـامِ المُطَرَّدِ

زفت النعامة: إذا مشت مشيًا سريعًا.

يُحـاذِرْنَ وطْءَ الْبِيـدِ حَـتَّى كَأَنَّمَـا يَطَأْنَ بِرَأْسِ الحَـزْنِ هَامَـةَ أَصْـيَـدِ
وَيَنْفِرْنَ فِى الظَّلْمَاءِ عَنْ كُلِّ جَدْوَلٍ نِفَـارَ جَبَـانٍ عَنْ حُـسَـامٍ مُجَـرَّدِ
تَطَاوَلَ عَـهْـدُ الوَارِدِينَ بِمَـائِهِ وَعُطِّلَ حَتَّى صَـارَ كَالصَّـارِمِ الصَّدِى

أى أن هذا الجدول لم يرده الواردون وعلا ماءه الطحلب.

إِلَى بَرَدَى حَـتَّى تَظَلَّ كَـأَنَّهَـا وَقَـدْ كَـرَعَتْ فِـيـهِ لَوَائِمُ مِـبْـرَدِ

يقول: ينفرن فى الظلـماء عن كل جدول رغبة عنه سـائرة إلى بردى لتشرب منها، وبردى: نهر معروف.

وقال أيضًا:

شَكَوْتُ مِنَ الأَيَّامِ تَـبْـدِيلَ غَـادِرٍ بِوَافٍ وَنَقْـلاً مِـنْ سُـرُورٍ إِلَى هَمِّ
وَحَـالاً كَـرِيشِ النَّسْـرِ بَينَا رَأَيْتَـهُ جَنَاحًا لِشَهْمٍ آضَ رِيشًا عَلَى سَهْمِ

وقال أيضًا:

حَتَّى بَدَا الفَجْرُ بِهِ حُمْرَةٌ كَصَارِمٍ غَيَّرَ مِنْهُ الدَّمُ

وقال بعضهم فى صفة الفجر:

كان سواد الليل والصبح طالع بقايا مجال الكحل فى الأعين الزرق

وقال آخر:

واذاع بالظلماء فتق واضح كالطعنة النجلاء يتبعها الدم

وقال آخر:

وقد لاح فجر يغمر الجو نوره كما انفجرت بالماء عين على الأرض

وقال آخر:

والفجر فيه كأنه مطر الندى ينهل من سح الغمام المغدق

وقال آخر:

وابتل سربال النسيم وبرد والفجر فى ليل الظلام يتقد

وقال أيضًا:

تَبُوحُ بِفَضْلِكَ الدُّنْيَا لِتَحْظَى بِذَاكَ وَأَنْتَ تَكْرَهُ أَنْ تَبُوحَا
وَمَا لِلْمِسْكِ فِى أَنْ فَاحَ حَظٌّ وَلَكِنْ حَظُّنَا فِى أَنْ يَفُوحَا

وقال أيضًا:

كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ
وَحَامِلٍ ثِقْلَ الثَّرَى جِيدُهُ وَكَانَ يَشْكُو الضَّعْفَ مِنْ عِقْدِهِ

وقال أيضًا:

يَا مَنْ لَهُ قَلَمٌ حَكَى فِى فِعْلِهِ أَيْمَ الغَضَى لَوْلاَ سَوَادُ لُعَابِهِ
عُرِفَتْ جُدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَالَمَا لَغَطَ القَطَا فَأَبَانَ عَنْ أَنْسَابِهِ

وذلك أنه إنما سمى القطا قطًا لحكاية صوته قطاقطا ولهذا قيل فى المثل أصدق من القطا لدلالة صوته عليه.

وقال أيضًا:

غَمْرُ النَّوَالِ وَلَنْ تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ حَتَّى تُوَقَّى بِجُودٍ ضِدٌّ مُحْتَبِسِ

لن تبقى: أى الدنيا.

وَالنَّفْسُ تَحْيَا بِإِعْطَاءِ الهَوَاءِ لَهَا مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا أَعْطَتْهُ مِنْ نَفَسِ

لما ذكر فى البيت الذى تقدمه أن بقاء الدنيا بالجود بها ضرب لها مثلاً بالنفس وحياتها وهو أن النفس إنما تحيا باستنشاق الهواء والاستمداد منه ولكن إنما تستمد من الهواء بقدر ما تعطيه من نفسها.

وقال أيضًا يصف درعًا:

هَيْنَمَةُ الخُرْصَانِ فِى عِطْفِهَا هَيْنَمَةُ الأَعْجَمِ لِلأَعْجَمِ

مُسْتَخْبِرَاتٍ مَا حَوَى صَدْرُهَا فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا وَلَمْ تَفْهَمِ

أى إنما تهينم الخرصان لتعلم خبر ما حوى صدر الدرع أى لتصل إلى لابسها فترجع خائبات أى لا تسلكها الرماح.

تَزَاحُمُ الزُّرْقِ عَلَى وِرْدِهَا تَزَاحُمُ الوِرْدِ عَلَى رَمْزَمِ

وقال أيضًا يصف درعًا:

كَأَنَّهَا وَالنِّصَالُ تَأْخُذُهَا أَضَاةُ حَزْنٍ تُجَادُ بِالدِّيَمِ

أَوْ مَنْهَلٍ طَافَتِ الحَمَامُ بِهِ فَالرِّيشُ طَافٍ عَلَيْهِ لَمْ يصمِ

وقال أيضًا:

لَوْ عَرَفَ الإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرِ المَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ

لَوْلاَ سَجَايَاهُ وَأَخْلاَقُهُ لَكَانَ كَالمَعْدُومِ فِى وُجْدِهِ

تَشْتَاقُ أَيَّارَ نُفُوسُ الوَرَى وَإِنَّمَا الشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ

يريد كما أن النفوس إنما تشتاق إلى الربيع لما فيه من الزهور لا لعين الزمان بل لطيبه فكذلك الإنسان إنما يشرف ويعتد به لأوصافه الجميلة لا لذاته وصورته.

وقال أيضًا يصف درعًا:

بَيْضَاءُ خَضْرَاءُ مِثْلُ المَاءِ طَحْلَبُهُ مَرَّ الزَّمَانِ وَمَا فِى اللَّوْنِ مِنْ صَدِإِ

كَأَنَّمَا النَّبْلُ فِى الهَيْجَاءِ رِجْلُ دبًا طَارَتْ إِلَيْكَ وَقَدْ ظَنَّتْكَ مِنْ كَلإِ

وقال أيضًا:

وَأَرْضٍ بِتُّ أَقْرِى الوَحْشَ رَادِى بِهَا لِيَثُوبَ لِى مِنْهُنَّ زَادُ
فَأُطْعِمُهَا لأَجْعَلَهَا طَعَامِى وَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الوِدَادُ

وقال أيضًا يصف درعًا:

وَهْىَ بَيْضَاءُ مِثْلُ مَا أَوْدَعَ الصَّيْـ ـفُ حِمَى الوَهْدِ نُطْفَةَ الشُّؤْبُوبِ
فَإِذَا مَا نَبَذْتَهَا فِى مَكَانٍ مُسْتَوٍ هَمَّ سَرْدُهَا بِالدَّبِيبِ
كَهِلَالِ الحَيَاةِ أَوْ كَقَمِيصٍ لِهِلاَلِ الحَيَّاتِ غَيْرِ مَجُوبِ

الهلال: الماء، والهلال الثانى: ذكر الحيات.

وَإِذَا صَادَفَتْ حُدُورًا جَرَتْ فِيهِ إِرَاقَ الشَّرِيبِ مَاءَ الذَّنُوبِ
كَفَّ ضَرْبَ الكُمَاةِ فِى كُلِّ هَيْجٍ فَضَلاتٌ مِنْ ذَيْلِهَا المَسْحُوبِ
نَثْرَةٌ مِنْ ضَمَانِهَا لِلْقَنَا الخَطِّىِّ عِنْدَ الْلِّقَاءِ نَثْرُ الكُعُوبِ

النثرة: الدرع.

مِثْلُ وَشْىِ الوَلِيدِ لاَنَتْ وَإِنْ كَا نَتْ مِنَ الصُّنْعِ مِثْلَ وَشْىِ حَبِيبِ

الوليد: هو البحترى.

تِلْكَ مَاذِيَّةٌ وَمَا لِذُبَابِ الصَّيْـ ـفِ وَالسَّيْفِ عِنْدَهَا مِنْ نَصِيبِ

الماذية: الدرع البيضاء، والماذى: العسل، وذباب السيف: حده، وذباب الصيف: واحد الذبان.

وقال أيضًا:

فَيَا قَلْبُ لاَ تُلْحِقْ بِكُلِّ مُحَمَّدٍ سِوَاهُ لِيَبْقَى ثُكْلُهُ بَيِّنَ الوَسْمِ
فَإِنِّى رَأَيْتُ الحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا كَمَا خُطَّ فِى القِرْطَاسِ رَسْمٌ عَلَى رَسْمِ

ومن منثور أبى العلاء قوله: وحزنى لفقده كنعيم أهل الجنة كلما نفد جدد.

وقال أيضًا:

فَمَا كَبُرُوا حَتَّى يَكُونُوا فَرِيسَةً وَلاَ بَلَغُوا أَنْ يُقْصَدُوا فَيُنَالُوا

فَإِنَّ أَبَا الأَشْبَالِ يَخْشَاهُ مِثْلُهُ وَيَأْمَنُ مِنْهُ آرِضٌ وَنِمَالُ

الآرض: ضرب من الدود، يقول لم يبلغ الروم قدرًا يصلحون أن يكونوا لك صيدًا بل هم أقل وأحقر وصغر شأنهم آمنهم منك ثم ضرب مثلاً وهو: أن الأسد إنما يخشاه مثله لأنه عرضة لقصده أما الآرض والنمال فلا تخشى الأسد لخستها وأنها لا تصلح فرائس للآساد.

وقال أيضًا:

نَكَّسْتَ قُرْطَيْكَ تَعْذِيبًا وَمَا سَحَرَا أَخَلْتَ قُرْطَيْكَ هَارُوتًا وَمَارُوتَا

لَوْ قُلْتَ مَا قَالَهُ فِرْعَوْنُ مُفْتَرِيًا لَخِفْتُ أَنْ تُنْصَبِى فِى الأَرْضِ طَاغُوتَا

وقال أيضًا:

وَكَلاَمُكَ المِرْآةُ تَصْدُقُ فِى الَّذِى تَحْكِى وَأَنْتَ الصَّارِمُ المَصْقُولُ

وقال أيضًا يصف درعًا:

أَضَاةٌ لاَ يَزَال الزَّغْفُ مِنْهَا كَفِيلاً بِالإِضَاءَةِ فى الدَّيَاجِى

غَدِيرٌ نَقَّتِ الخُرْصَانُ فِيهِ نَفِيقَ عَلاَجِمٍ وَاللَّيْلُ دَاجِ

العلاجم: الضفادع.

وقال أيضًا يصف درعًا:

هَارِئَةٌ بِالبِيضِ أَرْجَاؤُهَا سَاخِرَةُ الأَثْنَاءِ بِالأَسْهُمِ

لَوْ أَمْسَكَتْ مَا زَلَّ عَنْ سَرْدِهَا لأُبْصِرَ الدَّارِعُ كَالشَّيْهَمِ

الشيهم: ذكر القنافذ.

وقال أيضًا ينعت درعًا:

وَدِلاَصٍ كَأَنَّهَا بَعْضُ مَاءِ الثِّمَادِ

الدلاص: الدرع البراقة.

حُلَّةُ الأَيْمِ خُيِّطَتْ بِعُيُونِ الجَرَادِ

حلة الأيم: يريد سلخ الحية.

خِلْتُهَا وَالنِّبَالُ تَهْوِى كَرِجْلِ الجَرَادِ

شَـــيْـــهَـــمًـــا أَوْ هِـــيَ الـ ـقَـــتَـــادَةُ لاَ كَـــالقَـــتَـــادِ

الشيهم: ذكرُ القنافذ.

تِـلْـكَ فِي الـطَـيِّ قَـــــدْرُ مَـــشْـــرَبِ ظَمْـــآنَ صَـــادِ

وقد شبه بعضهم وجه الفارس باديًا من الدرع بالقمر طالعًا من الماء.

وقال أيضًا على لسان درع:

تَضَـــيَّـــفُنِـى الذَّوَابِلُ مُكْـرَهَاتٍ فَـتَـــرْحَلُ مَـا أُذِيقَتْ مِـنْ لَمَـاجِ

تقول الدرع: تصيبنى الرماح فلا تؤثر فى.

تَفِـىءُ غُـــرُوبُهُـنَّ الزُّرْقُ عَـنِّى بِلاَ كَـــرَبٍ يُعَـــدُّ وَلاَ عِـنَاجِ

يقول: ترجع أسنة الرماح الزرق مكسرات.

فَلَوْ كَـــانَ المُثَـــقَّفُ جُـــمْلَةَ اسْمٍ أَبَى التَّـرْخِيـمَ صَارَ حُـرُوفَ هَاجِ

أى لو كان الرمح اسمًا لا يحتمل الترخيم، يريد صلبًا مندمجًا ثم قارع هذه الدرع لصار حروفًا متفرقة يتهجاها الإنسان واحدًا واحدًا أى انكسر الرمح وصار قطعًا متفرقة.

كَـبَـيْـتِ الشِّـــعْـرِ قَطَّعَـــهُ لِوَزْنٍ هَجِـينُ الطَّبْعِ فَـهْـوَ بِلاَ انْتِـسَـاجِ

شبه الرمح بعد تقطعه بمقارعة الدرع ببيت من الشعر قطع بميزان العروض ليعرف وزنه رجل هجين الطبع، أى: بليده.

* * *

المختار من لزوميات أبى العلاء المعرى

قال:

بُعْدى مِنَ النَّاسِ بُرءٌ مِنْ سَقَامِهِمِ ... وَقُرْبُهُمْ لِلْحجَى وَالدِّينِ أَدْوَاءُ
كَالْبَيْتِ أُفْرِدَ لاَ إِيطَاءَ يُدْرِكُهُ ... وَلاَ سِنَادَ وَلاَ فِى اللَّفْظِ إِقْوَاءُ

وقال أيضًا:

أَقْضِيَةٌ لاَ تَزَالُ وَارِدَةً ... تَحَارُ مِنْ كَوْنِهَا الأَلِبَّاءُ
جُدَّ مُقِيمٌ وَخَابَ ذُو سَفَرٍ ... كَأَنَّهُ فِى الهَجِيرِ حِرْبَاءُ

وقال أيضًا:

تَوَاصَلَ حَبْلُ النَّسْلِ مَا بَيْنَ آدَمٍ ... وَبَيْنِى وَلَمْ يُوصَلْ بِلاَمِى بَاءُ
تَثَاءَبَ عَمْرٌو إِذْ تَثَاءَبَ خَالِدٌ ... بِعَدْوَى فَمَا أَعْدَتْنِى الثُّوبَاءُ
عَلَى الوُلْدِ يَجْنِى وَالِدٌ وَلَوَ أَنَّهُمْ ... وُلاَةٌ عَلَى أَمْصَارِهِمْ خُطَبَاءُ
وَزَادَكَ بُعْدًا مِنْ بَنِيكَ وَزَادَهُمْ ... عَلَيْكَ حُقُودًا أَنَّهُمْ نُجَبَاءُ
يَرَوْنَ أَبًا أَلْقَاهُمُ فِى مُؤَرَّبٍ ... مِنَ العَقْدِ ضَلَّتْ حَلَّهُ الأُرَبَاءُ

وقال أيضًا:

رُوَيْدَكَ قَدْ غُرِرْتَ وَأَنْتَ حُرٌّ ... بِصَاحِبِ حِيلَةٍ يَعِظُ النِّسَاءَ
يُحَرِّمُ فِيكُمُ الصَّهْبَاءَ صُبْحًا ... وَيَشْرَبُهَا عَلَى عَمْدٍ مَسَاءَ
يَقُولُ لَكُمْ غَدَوْتُ بِلاَ كِسَاءٍ ... وَفِى لَذَّاتِهَا رَهَنَ الكِسَاءَ
إِذَا فَعَلَ الفَتَى مَا عَنْهُ يَنْهَى ... فَمِنْ جِهَتَيْنِ لاَ جِهَةٍ أَسَاءَ

وقال أيضًا:

إِنَّمَا هَذِهِ المَذَاهِبُ أَسْبَا ... بٌ لِجَذْبِ الدُّنْيَا إِلَى الرُّؤَسَاءِ
فَانْفَرِدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَالقَائِلُ الصَّا ... دِقُ يُضْحِى ثِقْلاً عَلَى الجُلَسَاءِ

وقال أيضًا:

لَعَلَّ أُنَاسًا فى المَحَارِيبِ خَوَّفُوا ... بآىِ كَنَاسٍ فِى المَشَارِبِ أَطْرَبُوا
إِذَا رَامَ كَيْدًا بِالصَّلَاةِ مُقِيمُهَا ... فَتَارِكُهَا عَمْدًا إِلَى اللهِ أَقْرَبُ
فَلَا يُمْسِ فَخَّارًا مِنَ الفَخْرِ عَائِدٌ ... إِلَى عُنْصُرِ الفَخَّارِ لِلنَّفْعِ يُضْرَبُ

قوله إلى عنصر الفخار: الفخار هو الخزف أو الطين المطبوخ.

لَعَلَّ إِنَاءً مِنْهُ يُصْنَعُ مَرَّةً ... فَيَأْكُلُ فِيهِ مَنْ أَرَادَ وَيَشْرَبُ
وَيُحْمَلُ مِنْ أَرْضٍ لأُخْرَى وَمَا دَرَى ... فَوَاهًا لَهُ بَعْدَ البِلَى يَتَغَرَّبُ

وقال آخر:

يَحْسُنُ مَرْأَى لِبَنِى آدَمَ ... وَكُلُّهُمْ فِى الذَّوْقِ لاَ يَعْذُبُ
مَا فِيهِمُ بَرٌّ وَلاَ نَاسِكٌ ... إِلاَّ إِلَى نَفْعٍ لَهُ يَجْذِبُ
أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ ... لاَ تَظْلِمُ النَّاسَ وَلاَ تَكْذِبُ

وقال أيضًا:

دُنْيَاكَ دَارٌ إِنْ يَكُنْ شُهَّادُهَا ... عُقَلاَءَ لاَ يَبْكُوا عَلَى غُيَّابِهَا
وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّ كُلاً رَاغِبٌ ... فِى أُمِّ دَفْرٍ وَهْوَ مِنْ عُيَّابِهَا

وقال أيضًا:

لِلْمَلِيكِ المُذَكَّرَاتُ عَبِيدٌ ... وَكَذَاكَ المُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ
فَالهِلاَلُ المنيفُ وَالبَدْرُ وَالفَرْ ... قَدُ وَالصُّبْحُ وَالثَّرى وَالمَاءُ
وَالثُّرَيَّا وَالشَّمْسُ وَالنَّارُ وَالنَّثْـ ... ـرَةُ وَالأَرْضُ وَالضُّحَا وَالسَّمَاءُ
هَذه كُلُّهَا لِرَبِّكَ مَا عَا ... بَكَ فِى قَوْلِ ذَلِكَ الْحُكَمَاءُ
خَلِّنِى يَا أُخَىَّ أَسْتَغْفِرُ اللـ ... ـهَ فَلَمْ يَبْقَ فِىَّ إِلاَّ الذِّمَاءُ
وَيُقَالُ الكِرَامُ قَوْلاً وَمَا فِى الـ ... ـعَصْرِ إِلاَّ الشُّخُوصُ وَالأَسْمَاءُ
هَذه الشُّهْبُ خِلْتُهَا شَبَكَ الدَّ ... هْرِ لَهَا فَوْقَ أَهْلِهَا إِلْمَاءُ
إِنَّ دُنْيَاكَ مِنْ نَهَارٍ وَلَيْلٍ ... وَهْىَ فِى ذَاكَ حَيَّةٌ عَرْمَاءُ

وقال أيضًا:

سِيَّانِ مَنْ لَمْ يَضِقْ ذَرْعًا بُعَيْدَ رَدًى ... وَذَارِعٍ فِى مَغَانِى فِتْيَةٍ سُحُبَا

الذارع: زق الخمر. يقول: إن المرء بعد الموت يكون هو والزق سيان.

فَافْرَقْ مِنَ الضِّحْكِ وَاحْذَرْ أَنْ تُحَالِفَهُ ... أَمَا تَرَى الغَيْمَ لَمَّا استَضْحَكَ انْتَحَبَا

وقال أيضًا:

فَاهْجُرْ صَدِيقَكَ إِنْ خِفْتَ الفَسَادَ بِهِ ... إِنَّ الهِجَاءَ لَمَبْدُوءٌ بِتَشْبِيبِ

وَالكَفُّ تُقْطَعُ إِنْ خِيفَ الهَلاَكُ بِهَا ... عَلَى الذِّرَاعِ بِتَقْدِيرٍ وَتَسْبِيبِ

وقال أيضًا:

تَقَادَمَ عُمْرُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... نُجُومُ اللَّيَالِي شَيْبُ هَذِي الغَيَاهِبِ

وَإِنَّ قُطُوفَ السَّاعِ فِيمَا عَلِمْتَهُ ... أَحَثُّ مُرُورًا مِنْ وِسَاعِ السَّلاَهِبِ

وقال أيضًا:

لاَ تَلْبَسِ الدُّنْيَا فَإِنَّ لِبَاسَهَا ... سَقَمٌ وَعَرٌّ الجِسْمَ مِنْ أَثْوَابِهَا

وَلْتَفْعَلِ النَّفْسُ الجَمِيلَ لأَنَّهُ ... خَيْرٌ وَأَحْسَنُ لاَ لأَجْلِ ثَوَابِهَا

وقال أيضًا:

خَفْ دَنِيًّا كَمَا تَخَافُ شَرِيفًا ... صَالَ لَيْثُ الشَّرَى بِظُفْرٍ وَنَابِ

وَالصِّلاَلُ الَّتِي يُخَافُ رَدَاهَا ... شَرُّهَا فِي الرُّءُوسِ وَالأَذْنَابِ

وقال أيضًا:

أَيَا جَسَدَ المَرءِ مَاذَا دَهَاكَ ... وَقَدْ كُنْتَ مِنْ عُنْصُرٍ طَيِّبِ

تَصِيرُ طَهُورًا إِذَا مَا رَجَعْتَ ... إِلَى الأَصْلِ كَالمَطَرِ الصَّيِّبِ

قال بعض الحكماء: كانت الروح فى المحل الأرفع طاهرة خالصة حتى تلبس بها هذا الجسم فتلطخت بحمأته ثم جاء الموت فاستلها منه وردها إلى أصلها بيضاء نقية فمثلها مثل نقطة صافية من الغيث فى مزنها نزلت فى صبيب المطر فاختلطت بطين الأرض وتلوثت به وبينا هى كذلك إذ طلعت الشمس وقرعها شعاعها فاجتذبها مما هى فيه وردها إلى ما كانت عليه خالصة صافية.

وَمَالَكَ مَالٌ وَإِنْ حُزْتَهُ ... فَأَعْطِ عُفَاتَكَ أَوْ خَيِّبِ

وقال أيضًا:

دَهْرِى قَتَادٌ وَحَالِى ضَالَةٌ ضَؤُلَتْ عَمَّا أُرِيدُ وَلَوْنِى لَوْنُ لَبْلاَبِ
وَإِنْ وُصِلْتُ فَشُكْرِى شُكْرُ بَرْوَقَةٍ تَرْضَى بِبَرْقٍ مِنَ الأَمْطَارِ خَلاَّبِ

البروقة: شجيرة إذا غامت السماء اخضرت بدون مطر ومنه المثل: «أشكر من بروقة».

وقال أيضًا:

وَمَا العُلَمَاءُ وَالجُهَّالُ إِلاَّ قَرِيبٌ حِينَ تَنْظُرُ مِنْ قَرِيبِ
مَتَى مَا يَأْتِنى أَجَلِى بِأَرْضٍ فَنَادِ عَلَى الجَنَازَةِ لِلْغَرِيبِ

وقال أيضًا:

وَجَانِبِ النَّاسَ تَأْمَنْ سُوءَ فِعْلِهِمِ وَأَنْ تَكُونَ لَدَى الجُلاَّسِ مَمْقُوتَا
لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَذُمُّوا كُلَّ مَنْ صَحِبُوا وَلَوْ أَرَاهُمْ حَصَى المَعْزَاءِ يَاقُوتَا

وقال أيضًا:

أَغْنَى الأَنَامِ تَقِىٌّ فِى ذُرَى جَبَلٍ يَرْضَى القَلِيلَ وَيَأْبَى الوَشْىَ وَالتَّاجَا
وَأَفْقَرُ النَّاسِ فِى دُنْيَاهُمُ مَلِكٌ يُضْحِى إِلَى اللَّجِبِ الجرَّارِ مُحْتَاجَا

وقال أيضًا:

أَتَعُوجُ أَم لَيْسَ المَشُوقُ بِعَائِجٍ هَاجَتْ وَسَاوِسُهُ لِبَرْقٍ هَائِجِ
سُبْحَانَ مَنْ بَرَأَ النُّجُومَ كَأَنَّهَا دُرٌّ طَفَا مِنْ فَوْقِ بَحْرٍ مَائِجِ

وقال أيضًا:

أَلْبَابِلِيَّةُ بَابُ كُلِّ بَلِيَّةٍ فَتَوَقَّيَنَّ هُجُومَ ذَاكَ البَابِ
جَرَّتْ مُلاَحَاةَ الصَّدِيقِ وَهَجْرَهُ وَأَذَى النَّدِيمِ وَفُرْقَةَ الأَحْبَابِ
أُمُّ الحَبَابِ وَإِنْ أُمِيتَ لَهِيبُهَا بِمِزَاجِهَا وَافَتْ كَأُمِّ حُبَابِ

وقال أيضًا:

أَصَاحِ هِىَ الدُّنْيَا تُشَابِهُ مَيْتَةً وَنَحْنُ حَوَالَيْهَا الكِلاَبُ النَّوَابِحُ
فَمَنْ ظَلَّ مِنْهَا آكِلاً فَهْوَ خَاسِرٌ وَمَنْ رَاحَ عَنْهَا سَاغِبًا فَهْوَ رَابِحُ

وقال أيضًا:

عَجَبِي لِلطَّبِيبِ يُلْحِدُ فِي الخَا لِقِ مِنْ بَعْدِ دَرْسِهِ التَّشْرِيحَا
رُبَّ رُوحٍ كَطَائِرِ القَفَصِ المَسْ جُونِ تَرْجُو بِمَوْتِهَا التَّسْرِيحَا

وقال أيضًا:

دَعَوا وَمَا فِيهِمِ ذَاكَ وَلاَ أَحَدٌ يَخْشَى الإِلَهَ فَكَانُوا أَكْلُبًا نُبُحَا
وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ دِينٌ وَلاَ نُسُكٌ فَلاَ تَغُرُّكَ أيدٍ تَحْمَلُ السُّبُحَا

وقال أيضًا:

هِيَ الرَّاحُ أَهْلاً لِطُولِ الهِجَاءِ وَإِنْ خَصَّهَا مَعْشَرٌ بِالمدَحْ
قَبِيحٌ بِمَنْ عَدَّ بَعْضَ البِحَارِ تَغْرِيقُهُ نَفْسَهُ فِي قَدَحْ

عد: أى أجاز.

وقال أيضًا:

لاَ يَفْقِدَنْ خَيْرَكُمْ مُجَالِسُكُمْ وَلاَ تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ سَبَخُ
وَلاَ كَقَوْمٍ حَدِيثُ يَوْمِهِمِ مَا أَكَلُوا أَمْسَهُمْ وَمَا طَبَخُوا

وقال أيضًا:

إِنْ كَانَ قَلْبُكَ فِيهِ خَوْفُ بَارِئِهِ فَلاَ تُجَاوِرْ حِذَارَ الله بِالحَسَدِ
هُمَا نَقِيضَانِ لاَ يَسْتَجْمِعَانِ بِهِ وَالظَّبْيُ غَيْرُ مُقِيمٍ فِي ذُرَى الأَسَدِ
وَالرُّوحُ فِي حُبِّ دُنْيَاهَا مُعَذَّبَةٌ حَتَّى يُقَالَ لَهَا بِينِي عَنِ الجَسَدِ
مَا لاَ تُطِيقُ هَلاَكٌ حِينَ تَحْمِلُهُ وَالدُّرُّ يَهْلِكُ دُونَ النَّظْمِ فِي المَسَدِ

وقال أيضًا:

نُفَارِقُ العَيْشَ لَمْ نَظْفَرْ بِمَعْرِفَةٍ أَيُّ المَعَانِي بِأَهْلِ الأَرْضِ مَقْصُودُ
لَمْ تُعْطِنَا العِلْمَ أَخْبَارٌ يَجِيءُ بِهَا نَقْلٌ وَلاَ كَوْكَبٌ فِي الأَرْضِ مَرْصُودُ
وَأَبْيَضٌ مَا اخْضَرَّ مِنْ نَبْتِ الزَّمَانِ بِنَا وَكُلُّ زَرْعٍ إِذَا مَا هَاجَ مَحْصُودُ

وقال بعضهم:

وأنا نبات والزمان حصادنا أليس يوفى كل شهر بمنجل

وقال أيضًا:

لاَ شَـــامَ للسُّلْطَـانِ إلاَّ أَنْ يُرَى ... نَعَمُ البَـدَاوَةِ كَـالنَّعَـامِ الطَّارِدِ
وَيَكُونَ للبَـادِينَ عَـذْبُ مِـيَـاهه ... مِـــثْلَ المُدَامَـــةِ لاَ تَحِـلُّ لِوَارِدِ
وَتَظَلُّ أَبْـيَـاتٌ لَهُمْ شَـعْـرِيَّةٌ ... كَـبُيُوتِ شِعْرٍ فِى البِلاَدِ شَوَارِدِ
وَيَقُـوم مَلْكٌ فِى الأَنَامِ كَـأَنَّهُ ... مَلَكٌ يُبَـرِّحُ بِالخَـبِـيثِ المَارِدِ
صنعُ اليَـدَيْنِ بِقَـتْلِ كُلِّ مُخَـالِفٍ ... بِالسَّيْفِ يَضْـرِبُ بِالحَـدِيدِ البَـارِدِ

وقال أيضًا:

قَلَّدْتَنِى الْـفُـتْـيَـا فَـتَـوَّجْنِى غَـدًا ... تَاجًـا بِإِعْـفَـائِـى مِنَ التَّقْلِـيـدِ
وَمِنَ الـرَّزِيَّةِ أَنْ يَـكُونَ فُـــؤَادُكَ ... الوَقَّـادُ فِى جَـسَـدٍ عَلَيْـهِ بَـلِـيـدِ
وَحَـــوَادِثُ الأَيَّامِ تُـولَدُ جِـلَّةٌ ... وَتَعُـودُ تَصْـغُـرُ ضِـدَّ كُلِّ وَلِـيـدِ

وقال أيضًا:

مَنْ يُوقَ لاَ يُكْـلَمْ وَإِنْ عَـمَـدَتْ ... لَهُ نُبَلٌ تُغَـادِرُ شَخْـصَـهُ كَالقُنْفُـذِ
بَلَغَـتْـهُ مُـرْهَفَـةُ النِّصَـالِ وَأَثْبِـتَتْ ... فِـيـمَـا عَلَيْـهِ وَكُلُّهَـا لَـمْ يَنْفُـذِ

وقال أيضًا:

مَـتَى مَا فَـعَلْتَ الخَيْـرَ ثُمَّ كُفِـرْتَهُ ... فَـلاَ تَأْسَـفَنْ إِنَّ المُـهَـيْـمِنَ آجِـرُ
فَتَزَوَّدْ جَـمِـيـلاً جِئْـتَـهُ عَنْ جِـزَايَةٍ ... تُؤَمِّـلُ أَوْ رِبْحٍ كَـــأَنَّكَ تَاجِـــرُ

وقال أيضًا:

حَاجِى نَظِيمُ جُـمَانٍ وَالحَيَـاةُ مَعِى ... سِلْكٌ قَصِيـرٌ فَيَأْبَى جَمْعَهَـا القِصَرُ
أَمَّـــا المُرَادُ فَـــجَـمٌّ لاَ يُحِـيطُ بِهِ ... شَرْحٌ وَلَكِنَّ عُـمْرَ المَرءِ مُخْتَـصَرُ
وَالدَّهْرُ يَخْطُبُ أَهْلَ اللُّبِّ مُـذْ عَقَلُوا ... مَا خَافَ عَيًـا وَلاَ أَذْرَى بِهِ الحَصَرُ
وَالغَىُّ فِى كُلِّ شَىءٍ لَيْسَ يَـعْدَمُـهُ ... بَاغِيـهِ حَتَّى مِنَ الأَعْـنَابِ يُعْتَـصَرُ

وقال أيضًا:

مَنْ يَخْضُبِ الشَّعَـرَاتِ يُحْسَبْ ظَالِمًا ... وَيُعَـدَّ أَخْرَقَ كَـالظَّلِيمِ الخَـاضِبِ

الظليم: ذكر النعام، والخاضب: هو الظليم إذا اغتلم واحمرت ساقاه: وأكل الربيع فاحمر ظنبوباه.

وَالشَّيْبُ فِي لَوْنِ الحُسَامِ فَلاَ تَدَعْ ... جَسَدَ النَّجِيعِ عَلَى الحُسَامِ القَاضِبِ

الجسد: الدم.

عُمْرِي غَدِيرٌ كُلُّ أَنْفَاسِي بِهِ ... جُرَعٌ تُغَادِرُهُ كَأَمْسِ النَّاضِبِ

وقال أيضًا:

قَدْ صَحِبْنَا الزَّمَانَ بِالرَّغْمِ مِنَّا ... وَهْوَ يُرْدِي كَمَا عَلِمْتَ الصِّحَابَا
وَالجُسُومُ التُّرَابُ تَحْيَا بِسُقْيَا ... فَلِهَذَا قُلْنَا سُقِيتَ السَّحَابَا

وقال أيضًا:

حَدِيثُ فَوَاجِرٍ وَشَرَابُ خَمْرٍ ... وَقَتْلَى يُطْرَحُونَ لأُمِّ عَمْرِو
وَمَهْلَكُ دَوْلَةٍ وَقِيَامُ أُخْرَى ... كَذَاكَ الدَّهْرُ أَمْرٌ بَعْدَ أَمْرِ

وقال أيضًا:

مَا أَجْهَلَ الأُمَمَ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ ... وَلَعَلَّ سَالِفَهُمْ أَضَلُّ وَأَتْبَرُ
يَدْعُونَ فِي جُمُعَاتِهِم بِسَفَاهَةٍ ... لأَمِيرِهِمْ فَيَكَادُ يَبْكِي المِنْبَرُ
مَا قِيلَ فِي عِظَمِ المَلِيكِ وَعِزِّهِ ... فَاللهُ أَعْظَمُ فِي القِيَاسِ وَأَكْبَرُ
وَكَأَنَّمَا دُنْيَاكَ رُؤْيَا نَائِمٍ ... بِالعَكْسِ فِي عُقْبَى الزَّمَانِ تُعَبَّرُ
فَإِذَا بَكَيْتَ بِهَا فَتِلْكَ مَسَرَّةٌ ... وَإِذَا ضَحِكْتَ فَذَاكَ عَيْنٌ تَعْبَرُ
سُرَّ الفَتَى مِنْ جَهْلِهِ بِزَمَانِهِ ... وَهْوَ الأَسِيرُ لِيَوْمِ قَتْلٍ يُصْبَرُ
لَعِبَتْ بِهِ أَيَّامُهُ فَكَأَنَّهُ ... حَرْفٌ يُلَيَّنُ فِي الكَلاَمِ وَيُنْبَرُ

النبر: الهمز.

شَرُفَ اللَّئِيمُ وَكَمْ شَرِيفٍ رَأْسُهُ ... هَدَرٌ يُقَطُّ كَمَا يُقَطُّ المِزْبَرُ

المزبر: القلم.

وَالشَّرُّ يَجْلُبُهُ العَلاَءُ وَكَمْ شَكَا ... نَبْأً عَلَيَّ مَا شَكَاهُ قُنْبُرْ

وقال أيضًا:

لاَ تَدْنُوَنَّ مِنَ النِّسَاءِ ... فَإِنَّ غِبَّ الأَرْيِ مُرُّ
وَالبَاءُ مِثْلُ البَاءِ تَخْـ ... ـفِضُ لِلدَّنَاءَةِ أَوْ تَجُرُّ

وقال أيضًا:

كَأَنَّ وَلِيدًا مَاتَ قَبْلَ سُقُوطِهِ ... عَلَى الأَرْضِ نَاجٍ مِنْ حُبَالَتِهِ طَفْرَا
تَمَنَّيْتُ أَنِّي بَيْنَ رَوْضٍ وَمَنْهَلٍ ... مَعَ الوَحْشِ لاَ مِصْرًا أَحُلُّ وَلاَ كَفْرَا

وقال أيضًا:

يا سَاكِنَى الأَرْضِ كَمْ رَكْبٍ سَأَلْتُهُمُ ... بِمَا فَعَلْتُمْ فَلَمْ أَعْرِفْ لَكُمْ خَبَرَا
زَالَتْ خُطُوبٌ فَلَمْ يُذْكَرْ شَدَائِدُهَا ... وَالْعَوْدُ يَنْسَى إِذَا مَا أُعْفِيَ الدَّبَرَا

وقال أيضًا:

وَالسَّعْدُ يُدْرِكُ أَقْوَامًا فَيَرْفَعُهُمْ ... وَقَدْ يُنَالُ إِلَى أَنْ تَعْبُدَ الحَجَرَا
وَشَرَّفَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ قَبَائِلَهَا ... وَلَمْ تُبَايِنْ عَلَى عِلاَّتِهَا الشَّجَرَا

وقال أيضًا:

وَكَمْ سَاعٍ لِيُخْبَرَ فِي بِنَاءٍ ... فَلَمْ يُرْزَقْ بِمَا يَبْنِيهِ خَبْرَا
كَأُمِّ القَزِّ يَخْرُجُ مِنْ حَشَاهَا ... ذُرَى بَيْتٍ لَهَا فَيَعُودُ قَبْرَا

وقال أيضًا:

لَقَدْ عَجِبُوا لأَهْلِ البَيْتِ لَمَّا ... أَتَاهُمْ عِلْمُهُمْ فِي مَسْكِ جَفْرِ
وَمِرْآةُ المُنَجِّمِ وَهْيَ صُغْرَى ... أَرَتْهُ كُلَّ عَامِرَةٍ وَقَفْرِ

وقال أيضًا:

وَيَدُلُّنِي أَنَّ المَمَاتَ فَضِيلَةٌ ... كَوْنُ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ غَيْرُ مُيَسَّرِ
لَوْلاَ نَفَاسَتُهُ لَسُهِّلَ نَهْجُهُ ... كَأَذَى الضَّعِيفِ عَلَى لَئِيمِ المَكْسِرِ

يقال: لئيم المكسر لمن يوجد لئيمًا عند الخبر.

وقال أيضًا:

قَدِمَ الفَتَى وَمَضَى بِغَيْرِ تَثِيَّةٍ ... كَهِلاَلِ أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِهِ
لَقَدِ اسْتَرَاحَ مِنَ الحَيَاةِ مُعَجَّلٌ ... لَوْ عَاشَ كَابَدَ شِدَّةً فِي دَهْرِهِ

وقال أيضًا:

مَا بَالُ هَذَا اللَّيْلِ طَالَ وَقَدْ يُرَى ... مُتَقَاصِرًا عَنْ جلسَةِ السُّمَّارِ

أَتَرُومُ فَجْرًا كَالحُسَامِ وَدُونَهُ نَجْمٌ أَقَامَ تَمَكُّنَ المِسْمَارِ

وقال أيضًا:

حَادِثْ كِتَابَكَ فَهْوَ آمَنُ جَانِبًا مِنْ أَهْلِ تَسْبِيدٍ وَأَهْلِ وَقَارِ
وَفَوَائِدُ الأَسْفَارِ جَمْعُ السَّفْرِ فِي الـ ـدُّنْيَا تَفُوقُ فَوَائِدَ الأَسْفَارِ

وقال أيضًا:

الدَّهْرُ يَصْمُتُ وَهْوَ أَبْلَغُ نَاطِقٍ مِنْ مُوجِزٍ نَدِسٍ وَمِنْ ثَرْثَارِ
يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْنِ مِنْ ظَلْمَائِهِ وَنَهَارِهِ مَا هَمَّتَا بِعِثَارِ

وقال أيضًا:

أَحْسِنْ جِوَارًا لِلْفَتَاةِ وَعُدَّهَا أُخْتَ السِّمَاكِ عَلَى دُنُوِّ الدَّارِ
كَتَجَاوُرِ العَيْنَيْنِ لَنْ تَتَلاقَيَا وَحِجَازُ بَيْنِهِمَا قَصِيرُ جِدَارِ

وقال بعضهم:

أجاور من أهوى ولا وصل بيننا كأني ومن أهواه ثغر مفلج

وقال أيضًا:

كُنْتُ طِفْلاً فِي المَهْدِ وَالآنَ لاَ أَهْـ ـوَى رُجُوعًا إِلَيْهِ فَاعْجَبْ لأَمْرِي
وَلَعَلِّي كَذَاكَ فِي دَارِيَ الأُخْرَى إِذَا مَا ادَّكَرْتُ رَيِّقَ عُمْرِي

وقال أيضًا:

أَوْجَزَ الدَّهْرُ فِي المَقَالِ إِلَى أَنْ جَعَلَ الصَّمْتَ غَايَةَ الإِيجَازِ
مَنْطِقًا لَيْسَ بِالنَّثِيرِ وَلاَ الشِّعْـ ـرِ وَلاَ فِي طَرَائِقِ الرُّجَّازِ
وَعَدَتْنَا الأَيَّامُ كُلَّ عَجِيبٍ وَتَلَوْنَ الوُعُودَ بِالإِنْجَازِ
هِيَ مِثْلُ الغَوَانِي إِنْ تَحْسُنِ الأَوْ جُهُ مِنْهَا فَالثِّقْلُ فِي الأَعْجَازِ
مَنْ يُرِدْ صَفْوَ عِيشَةٍ يَبْغِ مِنْ دُنْيَاهُ أَمْرًا مُبَيَّنَ الإِعْجَازِ
فَافْعَلِ الخَيْرَ إِنْ جَزَاكَ الفَتَى عَنْـ ـهُ وَإِلاَّ فَاللهُ بِالخَيْرِ جَازِي
لاَ تُقَيِّدْ عَلَيَّ لَفْظِي فَإِنِّي مِثْلُ غَيْرِي تَكَلُّمِي بِالمَجَازِ

وقال أيضًا:

أَلوَغْدُ يَجْعَلُ مَا أُنِيلَ غَنِيمَةً ... وَيَغِيرُ فى الأَطْمَاعِ كُلَّ مُغَارِ
وَالحُرُّ يَجْزِى بالصَّنِيعَةِ مُسْدِيًا ... فَكَأَنَّ فِعْلَهُمَا نِكَاحُ شِغَارِ

وقال أيضًا:

تَحَفَّظْ بِدِينِكَ يَا نَاسِكًا ... يَرَى أَنَّهُ رَابِحٌ مَا خَسِرْ
فَلَسْتَ كَغَيْرِكَ أُطْلِقْتَ فى ... حَيَاتِكَ بَلْ أَنْتَ عَانٍ أُسِرْ
وَلِلسَّبْكِ رُدَّ كَسِيرُ الزُّجَا ... جِ وَلاَ يُسْبَكُ الدُّرُّ إِنْ يَنْكَسِرْ
وَلاَ تَيْأَسَنَّ مِنَ المُلْكِ أَنْ ... يَعُودَ إِذَا جَيْشُ قَوْمٍ كُسِرْ
فَقَدْ يَرْجِعُ القَمَرُ المُسْتَنِيـ ... ـرُ مُقْتَبِلاً بَعْدَ أَنْ يَسْتَسِرْ
هُوَ الدَّهْرُ يَفْنَى وَنَفْسِى عَلَى ... وَنَاهَا وَكَوْنُ مُنَاهَا عَسِرْ
وَكَمْ فِيكَ يَا بَحْرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ ... وَلكِنَّ لُجَّكَ لاَ يَنْحَسِرْ
فَأَكْرِهْ عَلَى الخَيْرِ مَجْبُولَةً ... عَلَى غَيْرِهِ فِى عَلاَنٍ وَسِرْ
فَلَمْ يُجْعَلِ التِّبْرُ حَلْىَ الفَتَا ... ةِ حَتَّى أُهِينَ وَحَتَّى كُسِرْ

وقال أيضًا:

وَالصُّبْحُ قَدْ غَسَلَ الدُّجَى بِمَعِينِهِ ... إِلاَّ بَقِيَّةَ إِثْمِدِ الأَشْفَارِ

وقال أيضًا:

الدِّينُ إِنْصَافُكَ الأَقْوَامَ كُلَّهُمُ ... وَأَىُّ دِينٍ لآبِى الحَقِّ إِنْ وَجَبَا
وَالمَرءُ يُعْنِيهِ قَوْدُ النَّفْسِ مُصْحِبَةً ... لِلْخَيْرِ وَهْوَ يَقُودُ العَسْكَرَ اللَّجِبَا

وقال أيضًا:

عَلَى المَوْتِ يَجْتَارُ المَعَاشِرُ كُلُّهُمْ ... مُقِيمٌ بِأَهْلِيهِ وَمَنْ يَتَغَرَّبُ
وَمَا الأَرْضُ إِلاَّ مِثْلَنَا الرِّزْقَ تَبْتَغِى ... فَتَأْكُلُ مِنْ هَذَا الأَنَامِ وَتَشْرَبُ

وقال أيضًا:

وَمَا دَفَعَتْ حُكَمَاءُ الرِّجَالِ ... حَتْفًا بِحِكْمَةِ بُقْرَاطِهَا
وَلَكِنْ يَجِىءُ قَضَاءٌ يُرِيكَ ... أَخَا غَيِّهَا مِثْلَ سُقْرَاطِهَا

وقال أيضًا:

مِنَ النَّاسِ مَنْ لَفْظُهُ لُؤْلُؤٌ يُبَادِرُهُ اللَّقْطُ إِذْ يُلْفَظُ
وَبَعْضُهُمُ قَوْلُهُ كَالحَصَا يُقَالُ فَيُلْغَى وَلاَ يُحْفَظُ

وقال أيضًا:

كَأَنَّ إِبَارًا فِى المَفَارِقِ خَيطَتْ بُرُودَ المَنَايَا وَاللَّيَالِى سُلُوكُهَا

وقال بعضهم:

لما رأيت البياض حين بدا فى أسود الشعر صحت واحزنى
هذا وحق الإله أحسبه أول خيط سدى من الكفن
فَلاَ تَرْغَبُوا فى المُلْكِ تَعْصُونَ بِالظُّبَا عَلَيْهِ فَمِنْ أَشْقَى الرِّجَالِ مُلُوكُهَا

وقال أيضًا:

وَالمَرءُ مِثْلُ الحَرْفِ بَيْنَ سُهَادِهِ وَكَرَاهُ يَسْكُنُ تَارَةً وَيُحَرَّكُ
قَدْ يُدْرِكُ السَّاعِى لِبَارِيهِ رِضًا وَرِضَى البَرِيَّةِ غَايَةٌ لاَ تُدْرَكُ

وقال أيضًا:

إِذَا قَالَ فِيكَ النَّاسُ مَا لاَ تُحِبُّهُ فَصَبْرًا يَفِىْ ودُّ العَدُوِّ إِلَيْكَا
وَقَدْ نَطَقُوا مَيْنًا عَلَى اللهِ وافْتَرَوْا فَمَا لَهُمُ لاَ يَفْتَرُونَ عَلَيْكَا

وقال أيضًا:

وَجَدْتُكُمُ لَمْ تَعْرِفُوا سُبُلَ الهُدَى فَلاَ تُوضِحُوا لِلْقَوْمِ سُبلَ المَهَالِكِ
أَخِيرٌ عَلَى مَجْرَى قَدِيمٍ كَلَهْذَمٍ يُفَرِّجُ لِلْخَطَّىِ ضِيقَ المَسَالِكِ
إِذَا كَانَ هَذَا التُّرْبُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا فَأَهْلُ الرَّزَايَا مِثْلُ أَهْلِ المَمَالِكِ

وقال أيضًا:

وَبَيْنَ بَنِى حَوَّاءَ وَالخَلْقِ كُلِّهِ شُرُورٌ فَمَا هَذِى العَدَاوَةُ وَالذَّحْلُ
اتَّقِ اللهَ حَتَّى فِى جَنَى النَّحْلِ شُرْتَهُ فَمَا جَمَعَتْ إِلاَّ لأَنْفُسِهَا النَّحْلُ

وقال أيضًا:

جَهِلْتُ أَقَاضِى الرَّىِّ أَكْثَرُ مَأْثَمًا بِمَا نَصَّهُ أَمْ شَاعِرٌ يَتَعَزَّلُ
وَكَمْ مِنْ فَقِيهٍ خَابِطٍ فِى ضَلاَلَةٍ وَحُجَّتُهُ فِيهَا الكِتَابُ المُنَزَّلُ

وَقَارِؤُكُمْ يَرْجُو بِتَطْرِيبِهِ الغِنَى ... فَآضَ كَمَا غَنَّى لِيَكْسِبَ زُلْزُلُ
فَمَا لِعَذَابٍ فَوْقَكُمْ لاَ يَعُمُّكُمْ ... وَمَا بَالُ أَرْضٍ تَحْتَكُمْ لاَ تُزَلْزَلُ

وقال أيضًا:

وَقْتٌ يَمُرُّ وَأَقْدَارٌ مُسَبَّبَةٌ ... مِنْهَا الصَّغِيرُ وَمِنْهَا الفَادِحُ الجَلَلُ
وَاللهُ يَقْدِرُ أَنْ يُفْنِي بَرِيَّتَهُ ... مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ وَلَكِنْ جُنْدُهُ العِلَلُ

وقال أيضًا:

يَتَحَارَبُ الطَّبْعُ الَّذِي مُزِجَتْ بِهِ ... مُهَجُ الأَنَامِ وَعَقْلَهُمْ فَيَسْفُلُهُ
وَيَظَلُّ يَنْظُرُ مَا سَنَاهُ بِنَافِعٍ ... كَالشَّمْسِ يَسْتُرُهَا الغَمَامُ وَظِلُّهُ

وقال أيضًا:

مَالِي غَدَوْتُ كَقَافِ رُؤْبَةَ قُيِّدَتْ ... فِي الدَّهْرِ لَمْ يُقْدَرْ لَهَا إِجْرَاؤُهَا

يشير إلى أرجوزة رؤبة التي أولها: وقائم الأعماق خاوي المخترق.

أُعْلِلْتُ عِلَّةَ قَالَ وَهْيَ قَدِيمَةٌ ... أَعْيَى الأَطِبَّةَ كُلُّهُمْ إِبْرَؤُهَا
مُلَّ المُقَامُ فَكَمْ أُعَاشِرُ أُمَّةً ... أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلاَحِهَا أُمَرَاؤُهَا
ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا ... فَعَدَوا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أُجَرَاؤُهَا
فَرِقًّا شَعَرْتُ بِأَنَّهَا لاَ تَقْتَنِي ... خَيْرًا وَأَنَّ شِرَارَهَا شُعَرَاؤُهَا
وَإِذَا النُّفُوسُ تَجَاوَزَتْ أَقْدَارَهَا ... حَذْوَ البَعُوضِ تَغَيَّرَتْ سُجَرَاؤُهَا
كَصَحِيحَةِ الأَوْزَانِ زَادَتْهَا القُوَى ... حَرْفًا فَبَانَ لِسَامِعٍ نَكْرَاؤُهَا
سُبْحَانَ خَالِقِكَ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ ... غَبْرَاءُ تُوقَدُ فَوْقَهَا خَضْرَاؤُهَا
هَلْ تَعْرِفُ الحَسَدَ الجِيَادُ كَغَيْرِهَا ... فَالبُهْمُ تُحْسَدُ بَيْنَهَا غَرَّاؤُهَا
وَوَجَدْتُ دُنْيَانَا تُشَابِهُ طَامِثًا ... لاَ تَسْتَقِيمُ لِنَاكِحٍ أَقْرَاؤُهَا
هُوِيَتْ وَلَمْ تُسْعِفْ وَرَاحَ غَنِيُّهَا ... تَعِبًا وَفَازَ بِرَاحَةٍ فُقَرَاؤُهَا
وَتَجَادَلَتْ فُقَهَاؤُهَا مِنْ حُبِّهَا ... وَتَقَرَّأَتْ لِتَنَالَهَا قُرَّاؤُهَا
وَإِذَا زَجَرْتَ النَّفْسَ عَنْ شَغَفٍ بِهَا ... فَكَأَنَّ زَجْرَ غَوِيِّهَا إِغْرَاؤُهَا

وقال أيضًا:

لَوْ تَعْلَمُ النَّحْلُ بِمُشْتَارِهَا ... لَمْ تَرهَا فِى جَبَلٍ تَعْسِلُ
وَالخَيْرُ مَحْبُوبٌ وَلَكِنَّهُ ... يَعْجَزُ عَنْهُ الحَيُّ أَوْ يَكْسَلُ
وَالأَرْضُ لِلطُّوفَانِ مُشْتَاقَةٌ ... لَعَلَّهَا مِنْ دَرَنٍ تُغْسَلُ

وقال أيضًا:

وَالأَرْضُ غَذَّتْنَا بِأَلْطَافِهَا ... ثُمَّ تَغَذَّتْنَا فَهَلْ أَنْصَفَت
تَأْكُلُ مَنْ دَبَّ عَلَى ظَهْرِهَا ... وَهِىَ عَلَى رَغْبَتِهَا مَا اكْتَفَتْ

هذا كما قيل: إنى آكل التفاحة لأنها ستأكلنى.

وقال أيضًا:

خَيْرٌ لَعَمْرِى وَأَهْدَى مِنْ إِمَامِهِمُ ... عُكَّازُ أَعْمَى هَدَتْهُ إِذْ غَدَا السُّبُلاَ
مَنِ اهْتَدَى بِسِوَى المَعْقُولِ أَوْرَدَهُ ... مَنْ بَاتَ يُهْدِيهِ مَاءً طَالَمَا تَبَلاَ

وقال أيضًا:

وَرُبَّ شَهَادَةٍ وَرَدَتْ بِزُورٍ ... أَقَامَ لِنَصِّهَا القَاضِى عُدُولَهْ
وَمِنْ شَرِّ البَرِيَّةِ رَبُّ مُلْكٍ ... يُرِيدُ رَعِيَّةً أَنْ يَسْجُدُوا لَهْ

وقال أيضًا:

إِذَا طَرَقَ المِسْكِينُ دَارَكَ فَاحْبُهُ ... قَلِيلاً وَلَوْ مِقْدَارَ حَبَّةِ خَرْدَلِ
وَلاَ تَحْتَقِرْ شَيْئًا تُسَاعِفُهُ بِهِ ... فَكَمْ مِنْ حَصَاةٍ آيَدَتْ ظَهْرَ مِجْدَلِ

وقال أيضًا:

أَعَجِبْتَ لِلطِّفْلِ الوَلِيدِ بِمَهْدِهِ ... لَمْ يَخْطُ كَيْفَ سَرَى بِغَيْرِ رَوَاحِلِ
قَدْ عَاشَ يَوْمَيْهِ وَعُمِّرَ ثَالِثًا ... ثُمَّ اسْتَرَاحَ مِنَ المَدَى المُتَمَاحِلِ
كَمْ سَارَ مِنْ سَنَةٍ أَبُوهُ فَيَا لَهُ ... قَطَعَ المَسَافَةَ فِى ثَلاَثِ مَرَاحِلِ

وقال أيضًا:

غَلَبَتِ الشُّرُورُ وَلَوْ عَقَلْنَا صُيِّرَتْ ... دِيَةُ القَتِيلِ كَرَامَةً لِلْقَاتِلِ

وقال أيضًا:

لاَ تَطْلُبَنَّ بِغَيْرِ حَظٍّ رُتْبَةً ... قَلَمُ البَلِيغِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ

سكَنَ السَّمَا كَأن السَّمَاءَ كِلاَهُمَا هَذَا لَهُ رُمْحٌ وَهَذَا أَعْزَلُ

وقال أيضًا:

أَتَى وَلَدٌ بِسِجِلِّ العَنَاءِ فَيَا لَيْتَ وَارِدَهُ مَا وَصَلْ

يريد بسجل العناء الدنيا.

وَإِنْ أَنْظَرَتْهُ خُطُوبُ الزَّمَا نَ عَضَّ بِنَابٍ شَدِيدِ العَضَلْ
وَرِيعَ مِنَ الغَيْرِ الطَّارِقَاتِ بِالرُّمْحِ صَرَّ وَبِالسَّيْفِ صَلْ
وَقَالَ لَهُ صَلِّ دَاعِيَ الهُدَى وَقَالَ لَهُ مُلْحِدٌ لاَ تُصَلْ
وَشَبَّ وَشَابَ وَأَفْنَى الشَّبَابَ وَسَقْيًا لَهُ مِنْ خِضَابٍ نَصَلْ
وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ يَجِيءُ الحِمَامُ فَانْظُرْ عَلَى أَيِّ شَيءٍ حَصَلْ
فَيَا رَاحَةَ النَّفْسِ عِنْدَ المَمَاتِ إِنْ كَانَ هَذَا الحِسَابُ انْفَصَلْ

وقال أيضًا:

لَقَدْ صَدَئَتْ أَفْهَامُ قَوْمٍ فَهَلْ لَهَا صِقَالٌ وَيَحْتَاجُ الحُسَامُ إِلَى الصِّقْلِ
وَكَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا بَنِيهَا وَسَاءَنِى مَعَ النَّاسِ مَيْنٌ فِى الأَحَادِيثِ وَالنَّقْلِ
سَأَتْبَعُ مَنْ يَدْعُو إِلَى الخَيْرِ جَاهِدًا وَأَرْحَلُ عَنْهَا مَا إِمَامِى سِوَى عَقْلِى
وَمَنْ كَانَ فِى الأَشْيَاءِ يَحْكُمُ بِالحِجَا تَسَاوَى لَدَيْهِ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ يَقْلِى

وقال أيضًا:

يَخُونُكَ مَنْ أَدَّى إِلَيْكَ أَمَانَةً فَلَمْ تَرْعَهُ يَوْمًا بِقَوْلٍ وَلاَ فِعْلِ
فَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ شِئْتَ فِى الأَرْضِ أَوْ أَسِئْ فَإِنَّكَ تُجْزَى حَذْوَكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ

وقال أيضًا:

مَاذَا يَرِيبُكَ مِنْ غُرَابٍ طَارَ عَنْ وَكْرٍ يَكُونُ بِهِ لِبَازٍ مَسْقَطُ
وَافَضْحَتَا لَكَ فِى شِمَالِكَ غَادِيًا عُودُ المِرَاةِ وَفِى يَمِينِكَ مِلْقَطُ
أَوَ مَا قَرَأْتَ سِجِلَّ دَهْرِكَ نَاطِقًا بِالهُلْكِ يُشْكَلُ بِالخُطُوبِ وَيُنْقَطُ

عود المراة: يريد المرآة التى ينظر فيها صورته وما بدا عليه من الشيب وعلى ذكر المرآة أذكر عبارة لطيفة وجدتها فى أوراق أعجمية وهى أن بعض الشعراء

كان يهوى غانية حسناء ولا يعلمها بذلك وإنما يذكر لها أنه يهوى حسناء صفتها كذا وكذا وينعتها بكل نعت جميل ووصف نبيل فسألته ذات يوم أن يريها محبوبته تلك التى يصف فأبى عليها ذلك فقالت: فأرنى صورتها إذن، فقال: أما صورتها أرسلها لك غداً ثم أرسل فى غده (مرآة).

وقال أيضًا:

بَقِيتُ وَإِنْ كَانَ البَقَاءُ مُحَبَّبًا ... إِلَى أَنْ وَدِدْتُ العَيْشَ لاَ يَتَزَيَّدُ
وَمَا العُمْرُ إِلاَّ كَالْبِنَاءِ فَإِنْ يَزِدْ ... عَلَى حَدِّهِ يَهْوِ الرَّفِيعُ المُشَيَّدُ

وقال أيضًا:

المَالُ يُسْكِتُ عَنْ حَقٍّ وَيُنْطِقُ فِى ... بُطْلٍ وَتُجْمَعُ إِكْرَامًا لَهُ الشِّيعُ
وَجِزْيَةُ القَوْمِ صَدَّتْ عَنْهُمُ فَغَدَتْ ... مَسَاجِدُ القَوْمِ مَقْرُونًا بِهَا البِيَعُ

وقال أيضًا:

وَخَفَّ بِالجَهْلِ أَقْوَامٌ فَبَلَّغَهُمْ ... مَنَازِلاً بِسَنَاءِ العِزِّ تَلْتَفِعُ
أَمَا رَأَيْتَ جِبَالَ الأَرْضِ لاَزِمَةً ... قَرَارَهَا وَغُبَارَ الأَرْضِ يَرْتَفِعُ

وقال أيضًا:

الدَّهْرُ كَالشَّاعِرِ المُقْوِى وَنَحْنُ بِهِ ... مِثْلُ الفَوَاصِلِ مَخْفُوضٌ وَمَرْفُوعُ
مَا سَرَّ يَوْمًا بِشَىءٍ مِنْ مَحَاسِنِهِ ... إِلاَّ وَذَاكَ بِسُوءِ الفِعْلِ مَشْفُوعُ

وقال أيضًا:

فَإِنْ أَكْدَى المُنِيلُ فَلاَ تَلُمْهُ ... فَقَدْ تَخْلُو مِنَ الرِّسْلِ الضُّرُوعُ
وَذَكِّرْ بِالتُّقَى نَفَرًا غُفُولاً ... فَلَوْلاَ السَّقْىُ مَا نَمَتِ الزُّرُوعُ

وقال أيضًا:

إِنَّ شَقًّا يَلُوحُ فِى بَاطِنِ البُرَّ ... ةِ قَسْمٌ بَيْنِى وَبَيْنَ الضَّعِيفِ

وقال أيضًا:

صَحِبْنَا دَهْرَنَا دَهْرًا وَقَدْمًا ... رَأَى الفُضَلاءُ أَنْ لاَ يَصْحَبُوهُ
وَغِيظَ بِهِ بَنُوهُ وَغِيظَ مِنْهُمْ ... فَعَذَّبَ سَاكِنِيهِ وَعَذَّبُوهُ

فَإنْ يَأْكُلْهُمُ أسَفًا وَحِقْدًا ... فَقَدْ أكَلَ الغَزَالَ مُرَبِّبُوهُ
رَجَوا أنْ لاَ يُخِيبَ لَهُمْ دُعَاءٌ ... وَكَمْ سَأَلَ الفَقِيرُ فَخَيَّبُوهُ
أَلَظُّوا بِالقَبِيحِ فَتَابَعُوهُ ... وَلَوْ أُمِرُوا بِهِ لَتَجَنَّبُوهُ

وقال أيضًا:

إنْ صَحَّ عَقْلُكَ فَالتَّفَرُّدُ نِعْمَةٌ ... وَنَوَى الأَوَانِسِ غَايَةُ الإِينَاسِ
أَبْلَسْتُ مِنْ وَسْوَاسِ حَلْيٍ خِلْتُهُ ... إِبْلِيسَ وَسْوَسَ فِي صُدُورِ النَّاسِ

وقال أيضًا:

يَا رَبِّ أَخْرِجْنِي إِلَى دَارِ الرِّضَا ... عَجَلاً فَهَذَا عَالَمٌ مَنْكُوسُ
ظَلُّوا كَدَائِرَةٍ تَحَوَّلَ بَعْضُهَا ... مِنْ بَعْضِهَا فَجَمِيعُهَا مَعْكُوسُ
وَأَرَى مُلُوكًا لاَ تَحُوطُ رَعِيَّةً ... فَعَلاَمَ تُؤْخَذُ جِزْيَةٌ وَمَكُوسُ

وقال أيضًا:

يَسُوسُونَ الأُمُورَ بِغَيْرِ عَقْلٍ ... وَيَنْفُذُ أَمْرُهُمْ فَيُقَالُ سَاسَهْ
فَأُفٌّ لِلأَنَامِ وَأُفٌّ مِنِّي ... وَمِنْ زَمَنٍ رِيَاسَتُهُ خَسَاسَهْ

وقال أيضًا:

لاَ يَسْتَوِي ابْنَاكَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... إِنَّ الحَدِيدَةَ أُمُّ السَّيْفِ وَالجَلَمِ

من أحسن ما قيل فى شقى الجلم قول القائل:

ومصطنعين ما اتهما بعشق ... وإن وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لشيء ... سوى معنى القطيعة والفراق
اضْرِبْ وَلِيدَكَ تَأْدِيبًا عَلَى رَشَدٍ ... وَلاَ تَقُلْ هُوَ طِفْلٌ غَيْرُ مُحْتَلِمِ
فَرُبَّ شِقٍّ بِرَأْسِ جَرَّ مَنْفَعَةً ... وَقِسْ عَلَى شِقِّ رَأْسِ السَّهْمِ وَالقَلَمِ

وقال أيضًا:

تَبَارَكْتَ أَنْهَارُ البِلاَدِ سَوَائِحٌ ... بِعَذْبٍ وَخُصَّتْ بِالمُلُوحَةِ زَمْزَمُ
هُوَ الحَظُّ عَيْرُ البِيدِ سَافَ بِأَنْفِهِ ... خُزَامَى وَأَنْفُ العَوْدِ بِالذُّلِّ يُخْزَمُ

obeikandl.com

تَوَهَّمْتُ خَيْرًا فِي الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... وَكَانَ خَيَالاً لاَ يَصِحُّ التَّوَهُّمُ
فَمَا النُّورُ نَوَّارٌ وَلاَ الفَجْرُ جَدْوَلٌ ... وَلاَ الشَّمْسُ دِينَارٌ وَلا البَدْرُ دِرْهَمْ

وقال أيضًا:

وَكُلٌّ يُوَصِّي النَّفْسَ عِنْدَ خُلُوِّهِ ... بِزُهْدٍ وَلَكِنْ لا تَصِحُّ العَزَائِمُ
وَأَيْنَ فِرَارِي مِنْ زَمَانِي وَأَهْلِهِ ... وَقَدْ غَصَّ شَرًّا نَجْدُهُ وَالتَّهَائِمُ
وَفِي كُلِّ شَهْرٍ تَصْرَعُ الدَّهْرَ جِنَّةٌ ... فَتَعْقِدُ فِيهِ بِالهِلاَلِ التَّمَائِمُ

وقال أيضًا:

المَوْتُ نَوْمٌ طَوِيلٌ لاَ هُبُوبَ لَهُ ... وَالنَّوْمُ مَوْتٌ قَصِيرٌ بَعْثُهُ أَمَمُ
وَفِي الخُمُولِ حِمَامٌ وَالفَتَى قَبَلٌ ... وَفِي النَّبَاهَةِ عَيْشٌ وَالفَتَى رِمَمُ

وقال أيضًا:

قَالَ المُنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلاهُمَا ... لاَ تُحْشَرُ الأَجْسَادُ قُلْتُ إِلَيْكُمَا
إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ ... أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالخَسَارُ عَلَيْكُمَا

وقال أيضًا:

دُنْيَاكَ أَشْبَهَتِ المُدَامَةَ ظَاهِرٌ ... حَسَنٌ وَبَاطِنُ أَمْرِهَا مَا تَعْلَمُ
أَنْفِقْ لِتُرْزَقَ فَالثَّرَاءُ الظُّفْرُ إِنْ ... يُتْرَكْ يَشِنْ وَيَعُودُ حِينَ يُقَلَّمُ

وقال أيضًا:

إِذَا أُلِفَ الشَّيءُ اسْتَهَانَ بِهِ الفَتَى ... فَلَمْ يَرَهُ بُؤْسَى تُعَدُّ وَلاَ نُعْمَا
كَإِنْفَاقِهِ مِنْ عُمْرِهِ وَمَسَاغِهِ ... مِنَ الرِّيقِ عَذْبًا لاَ يُحِسُّ لَهُ طَعْمَا
وَمَا ارْتَابَ فِي لُقْيَى الرَّدَى وَكَأَنَّهُ ... حَدِيثٌ أَتَى مِنْ كَاذِبٍ يُبْطِلُ الزَّعْمَا

وقال أيضًا:

جَارَانِ شَاكٍ وَمَسْرُورٌ بِحَالَتِهِ ... كَالغَيْثِ يَبْكِي وَفِيهِ بَارِقٌ بَسَمَا

وقال أيضًا:

الجِسْمُ وَالرُّوحُ مِنْ قَبْلِ اجْتِمَاعِهِمَا ... كَانَا وَدِيعَيْنِ لاَ هَمًّا وَلاَ سَقَمَا
تَفَرُّدُ الشَّيءِ خَيْرٌ مِنْ تَأَلُّفِهِ ... بِغَيْرِهِ وَتَجُرُّ الأُلْفَةُ النِّقَمَا

وقال أيضًا:

اسْمَعْ مَقَالَةَ ذِى لُبٍّ وَتَجْرِبَةٍ ... يُفِدْكَ فِى اليَوْمِ مَا فِى دَهْرِهِ عَلَمَا
إِذَا أَصَابَ الفَتَى خَطْبٌ يَضُرُّ بِهِ ... فَلاَ يَظُنَّ جَهُولٌ أَنَّهُ ظُلِمَا
قَدْ طَالَ عُمْرِىَ طُولَ الظُّفْرِ فَاتَّصَلَتْ ... بِهِ الأَذَاةُ وَكَانَ الحَظُّ لَوْ قُلِمَا

وقال أيضًا:

اصْدُقْ إِلَى أَنْ تَظُنَّ الصِّدْقَ مَهْلَكَةً ... وَعِنْدَ ذَلِكَ فَاقْعُدْ كَاذِبًا وَقُمِ
فَالمَيْنُ مَيْتَةُ مُضْطَرٍّ أَلَمَّ بِهَا ... وَالحَقُّ كَالمَاءِ يُجْفَى خِيفَةَ السَّقَمِ

وقال أيضًا:

مَنْ لِى بِنَاجِيَةٍ سَفِيهَةِ مَدْلَجٍ ... فَالعِيسُ لَمْ تُحْمَدْ ذَوَاتِ حُلُومِ
رُوحُ الظَّلُومِ إِذَا هَوَتْ فَإِذَا ارْتَقَتْ ... فَكَأَنَّمَا هِىَ دَعْوَةُ المَظْلُومِ

وقد أهدى بعض الأمراء فرسًا لشاعر فمات الفرس ليلة وصوله فكتب إليه الشاعر يقول: إنه لا شىء أسرع من الفرس الذى أهديته إلىَّ، فقد وصلَ من الدنيا إلى الآخرة فى ليلة واحدة.

وقال أيضًا:

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ زُرْقُ أَسِنَّةٍ ... بِهَا كُلُّ مَنْ فَوْقَ التُّرَابِ طَعِينُ
وَلاَئِحَ هَذَا الفَجْرِ سَيْفٌ مُجَرَّدٌ ... أَعَانَ بِهِ صَرْفَ الزَّمَانِ مُعِينُ

وقال أيضًا:

مَا كَانَ فِى الأَرْضِ مِنْ خَيْرٍ وَلاَ كَرَمٍ ... فَضْلٌ مَنْ قَالَ إِنْ الأَكْرَمِينَ فَنُوا
أَعْفَى المَنَازِلِ قَبْرٌ يُسْتَرَاحُ بِهِ ... وَأَفْضَلُ اللَّبْسِ فِيمَا أَعْلَمُ الكَفَنُ

وقال أيضًا:

بِئْسَتِ الأُمُّ لِلأَنَامِ هِىَ الدُّنْـ ... ـيَا وَبِئْسَ البَنُونُ لِلأُمِّ نَحْنُ
كُلُّنَا لاَ يَبَرُّهَا بِمَقَالٍ ... فَاعْذُرُوهَا إِذْ لَيْسَ بِالفِعْلِ تَحْنُو
فَسَدَ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاتْرُكُوا الإِعْـ ... ـرَابَ إِنَّ الفَصَاحَةَ اليَوْمَ لَحْنُ

وقال أيضًا:

وَأَحْسَبُ النَّاسَ لَوْ أَعْطُوا زَكَاتَهُمُ ... لَمَا رَأَيْتَ بَنِي الإِعْدَامِ شَاكِينَا
فَإِنْ تَعِشْ تُبْصِرِ البَاكِينَ قَد ضَحِكُوا ... وَالضَّاحِكِينَ لِفَرْطِ الجَهْلِ بَاكِينَا

وقال أيضًا:

فَأُودِعَنْ فَاتِكًا حَصَاةً ... وَأُودِعَنْ نَاسِكًا جُمَانَهْ
كِلاَهُمَا لَيْسَ بِالمُؤَدِّى ... إِلَيْكَ فِي المُودَعِ الأَمَانَهْ

وقال أيضًا:

يَشْقَى الوَلِيدُ وَيَشْقَى وَالِدَاهُ بِهِ ... وَفَازَ مَنْ لَمْ يُوَلِّهْ عَقْلَهُ وَلَدُ
إِذَا تَلَبَّسَ بِالشُّجْعَانِ جَبَّنَهُمْ ... وَبِالكِرَامِ أَسَرُّوا الضَّنَّ أَوْ صَلَدُوا

وقال أيضًا:

أَرَى حَيَوَانَ الأَرْضِ غَيْرَ أَنِيسِهَا ... إِذَا اقْتَاتَ لَمْ يَفْرَحْ بِظُلْمٍ وَلاَ جِدَا
أَتَعْلَمُ أُسْدَ الغِيلِ بَعْدَ افْتِرَاسِهَا ... تُحَاوِلُ دُرًّا أَوْ تُحَاوِلُ عَسْجَدَا
وَمَا اتَّخَذَ الأَبْرَادَ سِرْحَانُ قَفْرَةٍ ... وَلاَ شَبَّ نَارًا أَيْنَ غَارَ وَأَيْجَدَا
وَأَضْعَفُ مَنْ تَلْقَاهُ مِنْ آلِ آدَمٍ ... إِذَا مَا شَتَا يَبْغِي وَقُودًا وَبُرْجُدَا

البرد: كساء مخطط.

وقال أيضًا:

اصْمُتْ وَإِنْ تَأْبَ فَانْطُقْ شَطْرَ مَا سَمِعَتْ ... أُذْنَاكَ فَالفَمُ نِصْفُ اثْنَيْنِ فِي العَدَدِ
وَاجْعَلْهُ غَايَةَ مَا يَأْتِي اللِّسَانُ بِهِ ... وَإِنْ تَجَاوَزَ لَمْ يَقْرُبْ مِنَ السَّدَدِ

وقال أيضًا:

تَمَنَّتْ شِيعَةُ الهَجَرِي نَصْرًا ... لَعَلَّ الدَّهْرَ يَسْهُلُ فِيهِ حَزْنُ

الهجرى: هو القرمطى الخارجى المشهور.

وَقَدْ أَضْحَتْ جَمَاعَتُهُمْ شَرِيدًا ... فَلا يَفْنَى لَهُمْ أَسَفٌ وَحُزْنُ
وَقَالُوا إِنَّهَا سَتَعُودُ يَوْمًا ... فَتَثْبُتُ مَا سَقَى الآفَاقَ مُزْنُ

أى: إنهم يقولون بأن الدولة ستعود لنا، وتثبت فينا وإن تفرقنا الآن ليس إلا أمرًا مؤقتًا.

وَبَيْتُ الشِّعْرِ قُطِّعَ لاَ لِعَيبٍ ... ولكِنْ عَنَّ تَصْحِيحٌ وَوَزْنُ

وقال أيضًا:

لاَ يَتْرُكَنَّ قَلِيلَ الخَيْرِ يَفْعَلُهُ ... مَنْ نَالَ فِي الأَرْضِ تَأْيِيدًا وَتَمْكِينا
فَالطَّبْعُ يَكْسِرُ بَيْتًا أَوْ يُقَوِّمُهُ ... بِأَهْوَنِ السَّعْيِ تَحْرِيكًا وَتَسْكِينَا

وقال أيضًا:

تَشَاءَمَ بِالعَوَاطِسِ أَهْلُ جَهْلٍ ... وَأَهْوِنْ إِنْ خَفَتْنَ وَإِنْ عَطَسْنَهْ
وَأَعْمَارُ الَّذِينَ مَضَوا صِغَارًا ... كَأَثْوَابٍ بَلِينَ وَمَا لُبِسْنَهْ

وقال أيضًا:

لَقَدْ جَاءَنَا هَذَا الشِّتَاءُ وَتَحْتَهُ ... فَقِيرٌ مُعَرًّى أَوْ أَمِيرٌ مُدَوَّجُ

مدوج: لابس الدواج.

وَقَدْ يُرْزَقُ المَجْدُودُ أَقْوَاتَ أُمَّةٍ ... وَيُحْرَمُ قُوتًا وَاحِدٌ وَهْوَ أَحْوَجُ

وقال أيضًا:

وَقَلَّمَا تُسْعِفُ الدُّنْيَا بِلاَ تَعَبٍ ... وَالدُّرُّ يُعْدَمُ فَوْقَ المَاءِ طَافِيهِ
وَمَنْ أَطَالَ خِلاَجًا فِي مَوَدَّتِهِ ... فَهَجْرُهُ لَكَ خَيْرٌ مِنْ تَلاَفِيهِ

الخلاج: الاضطراب وعدم الاستقامة.

وَرُبَّ أَسْلاَفِ قَوْمٍ شَانَهُمْ خَلَفٌ ... وَالشِّعْرُ يُؤْتَى كَثِيرًا مِنْ قَوَافِيهِ
عَجِبْتُ لِلْمَالِكِ القِنْطَارِ مِنْ ذَهَبٍ ... يَبْغِي الزِّيَادَةَ وَالقِيرَاطُ كَافِيهِ
وَكَثْرَةُ المَالِ سَاقَتْ لِلْفَتَى أَشَرًا ... كَالذَّيْلِ عَثَّرَ عِنْدَ المَشْيِ ضَافِيهِ

وقال أيضًا:

تَمَنَّيْتُ أَنِّي مِنْ هِضَابِ يَلَمْلَمٍ ... إِذَا مَا أَتَانِي الرُّزْءُ لَمْ أَتَأَلَّمِ
فَمِي أَخَذَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي وَإِنَّنِي ... لأَشْرَبُ مِنْهُ فِي إِنَاءٍ مُثَلَّمِ

وقال أيضًا:

وَمِنَ الرَّزَايَا مَا يُفِيءُ لَكَ العُلاَ ... كَالمِسْكِ فَاحَ بِمَوْقِعِ الأَفْهَارِ

وقال أيضًا:

وَالدَّهْرُ أَرْقَمُ بِالصَّبَاحِ وَبِالدُّجَى ... كَالصِّلِّ يَفْتِكُ بِاللَّدِيغِ إِذَا انْقَلَبْ
وَأَرَى الْمُلُوكَ ذَوِي الْمَرَاتِبِ غَالَبُوا ... أَيَّامَهُمْ فَانْظُرْ بِعَيْنِكَ مَنْ غَلَبْ

وقال أيضًا:

لاَ تَقْسُنِي عَلَى الَّذِي شَاعَ عَنِّي ... إِنَّ دُنْيَاكَ مَعْدِنٌ لِلْخِلاَبِ
قَدْ يُسَمَّى الْفَتَى الْجَبَانَ أَبُوهُ ... أَسَدًا وَهْوَ مِنْ خِسَاسِ الكِلاَبِ

وقال أيضًا:

اسْتَنْبَطَ الْعُرْبُ فِي الْمَوَامِي ... بَعْدَكَ وَاسْتَغْرَبَ النَّبِيطُ
كَأَنَّ دُنْيَاكَ مَاءُ حَوْضٍ ... آخِرُهُ آجِنٌ خَبِيطُ

وقال أيضًا:

إِذَا انْفَرَدَ الْفَتَى أُمِنَتْ عَلَيْهِ ... دَنَايَا لَيْسَ يُؤْمِنُهَا الْخِلاَطُ
فَلاَ كَذِبٌ يُقَالُ وَلاَ نَمِيمٌ ... وَلاَ غَلَطٌ يُخَافُ وَلاَ غِلاَطُ
وَكَمْ نَهَضَ امْرُؤٌ مِنْ بَيْنِ قَوْمٍ ... وَفِي هَادِيهِ مِنْ خِزْيٍ عِلاَطُ

العلاط: سمة تكون فى العنق.

وقال أيضًا:

إِذَا أَعْمَلَ الفِكْرَ الفَتَى جَعَلَ الغِنَى ... مِنَ المَالِ فَقْرًا وَالسُّرُورَ بِهِ حُزْنَا
يَكُونُ وَكِيلاً لِلْبَرِيَّةِ بَاذِلاً ... وَلِلْوَارِثِيهِ إِنْ أَرَادَ لَهُ خَزْنَا

وقال أيضًا:

فَيَا دَارَ الخَسَارِ أَلِي خَلاَصٌ ... فَأَذْهَبُ فِي الجَنُوبِ أَوِ الشَّمَالِ
وَظُلْمٌ أَنْ أُحَاوِلَ فِيكِ رِبْحًا ... وَلَمْ أَخْرُجْ إِلَيْكِ بِرَأْسِ مَالِ

وقال أيضًا:

تُحَارِبُنَا أَيَّامُنَا وَلَنَا رِضًا ... بِذَلِكَ لَوْ أَنَّ المَنَايَا تُهَادِنُ
إِذَا كَانَ جِسْمِي لِلرَّغَامِ أَكِيلَةً ... فَكَيْفَ يَسُرُّ النَّفْسَ أَنِّي بَادِنُ

وقال أيضًا:

أَلَمْ تَرَ عَالَمًا يَمْضِي وَيَأْتِي ... سِوَاهُ كَأَنَّهُ مَرْعِيٌّ بَقْلِ

وَكَيْفَ أُجِيدُ فِى دَارٍ بِنَاءً وَرَبُّ الدَّارِ يُؤْذِنُنِى بِنَقْلِ

وقال أيضًا:

يَوَدُّ الفَتَى أَنَّ الحَيَاةَ بَسِيطَةٌ وَأَنَّ شَقَاءَ العَيْشِ لَيْسَ بَعِيدُ
كَذَاكَ نَعَامُ القَفْرِ يَخْشَى مِنَ الرَّدَى وَقُوتَاهُ مَرْوٌ بِالفَلاَ وَهَبِيدُ

المرو: الحجارة، والهبيد: حب الحنظل.

وَقَدْ يُخْطِئُ الرَّأْىَ امْرُؤٌ وَهْوَ حَازِمٌ كَمَا اخْتَلَّ فِى وَزْنِ القَرِيضِ عَبِيدُ

عبيد: هو عبيد بن الأبرص الشاعر المشهور يشير إلى قصيدته التى أولها:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالقُطَبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ

وفيها أبيات خارجة عن الوزن منها قوله:

والمرء ما عاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيبُ

وقال أيضًا:

أَعُدُّ لِبَذْلِكَ الإِحْسَانَ فَضْلاً وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ بَخِلُوا وَسَادُوا
فَجُدْ إِنْ شِئْتَ مُرْبِحَةَ اللَّيَالِى فَمَا لِلْجُودِ فِى سُوقٍ كَسَادُ
أَبَيْتُ المَالِ بَيْتٌ مِنْ مَقَالٍ مَتَى يُنْقَصْ يُلَمَّ بِهِ الفَسَادُ

يريد: ليس بيت المال كبيت الشعر الذى يفسد إن نقص منه حرف.

وقال أيضًا:

وَالخَيْرُ يَجْلُبُ شَرًّا وَالذُّبَابَ دَعَا إِلَى الجَنَى أَنَّهُ فِى الطَّعْمِ قِنْدِيدُ
وَأَشْرَفُ النَّاسِ فِى أَعْلَى مَرَاتِبِهِ مِثْلُ الصَّدِيدِ وَلَكِنْ قِيلَ صِنْدِيدُ

وقال أيضًا:

اصْغُرْ لِتَعْظُمَ كَمْ تَجَمَّعَ وَاثِبٌ ثُمَّ اسْتَعَزَّ فَعَزَّ بَعْدَ صَغَارِ

* * *

فصل
فيما اخترناه من رسائل أبى العلاء المعرى

إنَّ لأَبِى الْعَلاء رَسَائِل كَثِيرَة فِى الأَدَب كَأَحْسَن مَا كَتَبَ الكَاتِبُون وَقَد نَحَا فِيهَا مَنْحَى الشِّعْر مِنَ الإِكْثَار مِنَ التَّشْبِيهَات وَالمَعَانى المُخْتَرَعَة وَغَيْرِهَا مِنَ المُحَسِّنَات، وَرُبَّمَا أَطَالَ الْقَوْلَ فِى بَعْضِهَا حَتَّى تَكُونَ الرِّسَالَةُ الوَاحِدَةُ كِتَابًا مُسْتَقِلاً وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ فِى آخِرِ رِسَالَة مُطَوَّلَة لَهُ كَتَبَهَا جَوَابًا عَنْ رِسَالَة مُخْتَصَرَة جَاءَتْهُ مِنْ بَعْضِ الوُزَرَاء فَقَال: (وَلاَ يُنْكِرُ الإِطَالَةَ عَلَىَّ فَإِنَّ الخَالِصَ مِنَ النُّضَارِ العَيْنِ طَالَمَا اشْتُرِى بِأَضْعَافِه فِى الزِّنَة مِنَ اللُّجَيْنِ)، وَقَد اخْتَرْتُ بَعْضَ هَذِه الرَّسَائِلِ وَأَلْحَقْتُهُ بِجُمْلَة المُخْتَارِ مِنْ كَلاَمِه لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ البَلاَغَة الفَائِقَة وَالأَغْرَاضِ البَعِيدَة وَشَرَحْتُهُ شَرْحًا شَامِلاً يُبَيِّنُ مَقَاصِدَهُ وَيُوَضِّحُ مَعَانِيه وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِى ذِكْرِه فَأَقُولُ:

Obeikandl.com

رسالة المنيح[١]

كتبها إلى أبى القاسم الحسين بن على المغربى[٢]

إِنْ كَانَ لِلآدَابِ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا نَسِيمٌ يَتَضَوَّعُ، وَلِلذَّكَاءِ نَارٌ تُشْرِقُ وَتَلْمَعُ، فَقَدْ فَغَمَنَا عَلَى بُعْدِ الدَّارِ أَرَجُ أَدَبِهِ، وَمَحَا اللَّيْلَ عَنَّا ذَكَاؤُهُ بِتَلَهُّبِهِ، وَخَوَّلَ الأَسْمَاعَ شُنُوفًا غَيْرَ ذَاهِبَةٍ، وَأَطْلَعَ فِى سُوَيْدَاوَاتِ الْقُلُوبِ كَوَاكِبَ لَيْسَتْ بِغَارِبَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّا مَعْشَرَ أَهْلِ هَذِهِ الْبَلْدَةِ وُهِبَ لَنَا شَرَفٌ عَظِيمٌ، وَأُلْقِىَ إِلَيْنَا كِتَابٌ كَرِيمٌ، صَدَرَ عَنْ حَضْرَةِ السَّيِّدِ الْحَبْرِ، وَمَالِكِ أَعِنَّةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ، قِرَاءَتُهُ نُسْكٌ، وَخِتَامُهُ بَلْ سَائِرُهُ مِسْكٌ، وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ[٣] أُجِلَّ عَنِ

---

(١) المنيح ثامن سهام الميسر وأحد الثلاثة التى لا نصيب لها.

(٢) أبو القاسم الحسين بن على هذا هو المعروف بالوزير المغربى وقد كان أحد الدهاة الفحول المقدمين فى النثر والنظم وله من الكتب كتاب إصلاح المنطق وكتاب أدب الخواص وكتاب المأثور فى ملح الخدور وقد هرب من مصر فى سنة أربعمائه لما قتل الحاكم أباه وعمه وأخويه فتوجه إلى الحجاز وأطمع صاحب مكة وهو الحسن بن جعفر العلوى فى ملك مصر وبايعه بالخلافة ودعا الناس إليه ولقبه بالرشيد ولو لم يتدارك الحاكم الأمر ويتلافاه بدهائه لملك الحسن بن جعفر مصر واستتب أمره. فلما لم ينجح أبو القاسم فى مقصده هذا توجه إلى العراق وكانت له فيها وقائع وحوادث كثيرة وقد وزر فيها للقادر بالله العباسى وتوفى سنة أربعمائه وثمانى عشرة بميافارقين وحمل إلى الكوفة بوصية منه ودفن بها فى تربة مجاورة لمشهد الإمام على رضى الله عنه وقد بسط القول عن تاريخه الإمام المقريزى فى خططه عند الكلام على بساتين الوزير.

(٣) التضوع تحرك الطيب وانتشاره وهو مأخوذ من ضاع يضوع يقال: ضاعه ذلك الأمر إذا حركه، قال بشر بن أبى خازم:

* يضوع فؤادها منه بغام *

وفغمه الطيب ملأ خياشيمه، والشنوف جمع شنف وهو القرط شبه كلمات ذلك الكتاب بالشنوف، وما زال الأدباء يشبهون الألفاظ الحسنة والكلمات النفيسة بالأقراط فى الآذان قال قائلهم:

لقد عشقت أذنى كلامًا سمعته ... رخيمًا وقلبى للمليحة أعشق

ولو عاينوها لم يلوموا على البكا ... كريمًا سقاه الخمر بدر محلق

وكيف تناسى من كأن حديثه ... بأذنى وإن غنيت قرط معلق =

التَّقْبِيلِ فَظِلاَلُهُ الْمُقَبَّلَةُ، وَنُزِّهَ أَنْ يُبْتَذَلَ فَنُسَخُهُ الْمُبْتَذَلَةُ، وَإِنَّهُ عِنْدَنَا لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، وَلَوْلاَ الإِلاَحَةُ، عَلَى مَا ضُمِّنَ مِنَ الْمَلاحَةِ، وَالْخَشْيَةُ عَلَى دُجَى مِدَادِه مِنَ التَّوَزُّعِ، وَنَهَارِ مَعَانِيهِ مِنَ التَّشَتُّتِ وَالتَّقَطُّعِ، لَعَكَفَتْ عَلَيْهِ الأَفْوَاهُ بِاللَّثْمِ، وَالْمَوَارِنُ بِالانْتِشَاءِ وَالشَّمِّ، حَتَّى تَصِيرَ سُطُورُهُ لَمًى فِي الشِّفَاهِ، وَخِيلاَنًا عَلَى مَوَاضِعِ السُّجُودِ مِنَ الْجِبَاهِ[1]، وَلَوْلاَ مَا حَظَرَهُ الدِّينُ مِنَ الْقِمَارِ، وَعَابَهُ مِنْ رَأْيِ الْجَهَلَةِ الأَغْمَارِ، وَأَنَّ شَرِيعَةَ الإِسْلاَمِ اعْتَرَضَتْ دُونَ إِجَالَةِ الأَزْلاَمِ، لَضَرَبْنَا عَلَيْهِ بِالسَّبْعَةِ الْفَائِزَةِ، وَالثَّلاثَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لِحَظِّ بِالْحَائِزَةِ، وَمَعَاذَ الأَحْلاَمِ أَنْ يَطْمَئِنَّ خَلَدُ الْمُنَافِسِ الشَّحِيحِ إِلَى أَحْكَامِ النَّافِسِ وَالْمَنِيحِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَوْلِيَاءُ سَيِّدِنَا جَعَلَ اللهُ لِشَانِئِه كَوْكَبَ الرَّجْمِ وَحَادِيَ النَّجْمِ، تَيْسِرُ عَلَى إِقَامَةِ الصَّحِيفَةِ فِي الْمَنَازِلِ لِلأُنْسِ الْمَطْلُوبِ، لاَ عَلَى مَقَادِيرِ السَّحَا مِنْ ذَلِكَ الطِّرْسِ الْمَكْتُوبِ، وَأَحْسَبُهُمْ يُوقِعُونَ عَلَيْهَا السُّهْمَةَ الْوَاقِعَةَ عَلَى كَفَالَةِ الْبَتُولِ، وَالْحَاكِمَةَ فِي السَّفْرِ بَيْنَ صَوَاحِبِ الرَّسُولِ[2]، فَيَا شَرَفَهُ مِنْ صَكٍّ بِالْفَخْرِ يُبْجَحُ بِهِ عَلَى النُّظَرَاءِ

= والسويداوات جمع سويداء وهى حبة القلب وقول أبى العلاء وأطلع فى سويداوات القلوب كواكب ليست بغاربه يشبه قول أبى تمام:

* وكأنما هى فى القلوب كواكب *

(٢) وقوله أجل عن التقبيل يقول إن هذا الكتاب لا يقبل وإنما يقبل ظله وأن نسخته التى بخط الوزير لا تبتذل ولا تتناولها يد وإنما يبذل ما نسخ من صورها لتتداولها أيدى القراء والأدباء. والإلاحة الإشفاق. والموارن جمع مارن وهو الأنف وما لان منه. والانتشاء الشم. واللمى سمرة فى الشفتين والعرب تستحسنه قال ذو الرمة:

لمياء فى شفتيها حوة لعس وفى اللثاة وفى أنيابها شنب

يقول لولا أننا نخشى أن تمحو القبول سطور فى هذا الكتاب لأخذنا فى تقبيله وشمه حتى يعلق مداده بالشفاه والجباه فيكون فى الشفاه لمى وفى الجباه خيلان.

(١) حظر أى منع، والقمار كان فى الجاهلية بقداح الميسر وغيرها وكانوا يفتخرون به قال الأعشى:

فقد أخرج الكاعب المستراة من خدرها وأشيع القمارا

وقال آخر:

نباهى بها أكفاءنا ونهينها ونشرب فى أثمانها ونقامر

فلما جاء الإسلام حرم القمار وعطلت قداح الميسر، والأغمار الأغبياء الجهلاء والإجالة الإدارة =

حِيرِيَّ الدَّهْرِ، مُوَشَّحًا بِكُلِّ شَذْرَةٍ أَعْذَبَ مِنْ سُلَافِ الْعُنْقُودِ، وَأَحْسَنَ مِنَ

= والأزلام هى سهام الميسر وهى عشرة سبعة لها أنصباء وهى التى عناها بالسبعة الفائزة، وثلاثة لا نصيب لها. وهى المعنية بقوله ليست لحظ بالحائزة، وتفصيل ذلك أن أهل الثروة والمروءة والسخاء من العرب كانوا يشترون جزوراً ويجزءونها ثمانية وعشرين جزءاً ثم يتساهمون عليها بعشرة أقداح ويقال لها الأزلام والأقلام سبعة منها لها أنصباء وهى الفذ وله نصيب واحد، والتوءم وله نصيبان، والرقيب وله ثلاثة أنصباء والحلس وله أربعة أنصباء، والنافس وله خمسة أنصباء، والمسبل وله ستة أنصباء، والمعلى وله سبعة أنصباء، وثلاثة منها لا أنصباء لها وهى المنيح والسنيح والوغد، ثم يجعلون القداح فى خريطة تسمى الربابة ويضعونها على يدى عدل منهم يسمى المجيل والمفيض والياسر والضريب ثم يجيلها أى يحركها باليد ثم يدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحًا قدحًا فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب المعين له ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئًا وغرم ثمن الجزور وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء والأيتام والأرامل ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم، والبرم اللئيم العديم المروءة وقد قيل:

وفارق الناس داء البخل وانبعثت إلى المكـارم نفس النكس والبرم

ومعاذ مصدر عاذ يعوذ إذا التجأ ومنه معاذ الله. والأحلام جمع حلم وهو العقل، يقسم بالعقول لأنها عظيمة والعرب لا تقسم إلا بالعظيم عندها ومنه ﴿والشَّمْسِ وضُحاها ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذا تلاها﴾ [الشمس: ١، ٢] ونحو ذلك، والخلد القلب، والنافس القدح الخامس، والمنيح القدم الثامن، وأولياء سيدنا أى أصحابه الذين يلونه ويليهم، والثانى المبغض، وكوكب الرجم يعنى الشهب، وحادى النجم هو الدبران وهم يتشاءمون به قال القائل:

إذا دبران منـك يومًا لقيتـه أؤمل أن ألقاك يومًا بأسعد

وقال بعضهم وأظنه طفيل الغنوى:

أما ابن طـوق فقـد أوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها

وتيسر من يسر الرجل إذا لعب بالقداح المار ذكرها، والسحا واحدته سحاة وهى القطعة تسحى من القرطاس، والسهمة الاستيهام بالأزلام وهى القرعة وقوله كفالة البتول المراد مريم عليها السلام وقد كانوا اقترعوا على كفالتها وذلك بأن ألقوا الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة فى اليم وقالوا كل من جرى قلمه على عكس جرى الماء فالحق معه فلما فعلوا ذلك صار قلم زكريا كذلك فسلموا له الأمر وكفلها صلوات الله عليهما وقد أشار الله تعالى إلى ذلك فى القرآن الكريم فقال عز من قائل: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] وقول أبى العلاء والحاكمة فى السفر بين صواحب الرسول إشارة إلى ما كان يفعله ﷺ من الاقتراع بين أزواجه إذا أراد سفراً أو غزوة وكانت القرعة لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى غزوة المريسيع وبسببها نزل آية التيمم حين فقدت عقدها كما هو مبين فى محاله.

والمعنى: يقول لولا أن الإسلام حرم القمار لضربنا على هذا الكتاب بالأزلام لأنه لنفاسته لا يسلمه=

الدِّينَارِ الْمَنْقُودِ، فَجَاءَ كَلَوَائِحِ الْبُرُوقِ، أَوْ يُوحَ عِنْدَ الشُّرُوقِ[١]، وَلَمْ يَزَلْ لِوَلِيِّهِ إِلَى جَنَابِهِ جَنَبُ الْفَانِيَةِ، إِلَى عَيْشِ الْغَانِيَةِ، وَأَنْضَاءِ الإِعْلاَلِ، إِلَى إِفْضَاءِ الإِبْلاَلِ، وَلَوْ أَنَّ شَوْقَهُ إِلَى حَضْرَتِهِ الْجَلِيلَةِ تَمَثَّلَ، فَمَثَلَ، وَتَجَسَّمَ، حَتَّى يُتَوَسَّمَ، لَمَلأَ ذَاتَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، وَشَغَلَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلَمْ يَكْتَفِ حَتَّى يُكَلِّفَ الْخَطْوَةَ، أَنْ تَسَعَ صَهْوَةً، وَالرَّاحَةَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ السَّاحَةِ[٢]، وَبَلَغَ وَلِيَّهُ السَّلاَمُ الَّذِي لَوْ مَرَّ بِسَلَمَةَ وَارِيَةٍ لأَغْدَقَتْ، أَوْ سَلَمَةَ عَارِيَةٍ لأَوْرَقَتْ، فَحَمَلَ فُؤَادِي مِنَ الطَّرَبِ عَلَى رَوْقِ الْيَعْفُورِ، بَلْ فَوْقَ جَنَاحِ الْعُصْفُورِ، فَكَأَنَّمَا

= كل منا لصاحبه حتى يحظى بشرفه دونه ويقول معاذ الله أن يرضى المنافسون فى هذا الكتاب بأحكام الأزلام وهى لا تعقل. ويقول ولو لم يحرم الإسلام إجالة الأزلام كنا نسير على إقامة الصحيفة فى المنازل للأنس والاستفادة بقراءتها فأينا فاز قدحه أقيمت فى منزله دون سواه لا أننا نيسر على مقادير سحاها أى قطعها فمن خرج له قدح له نصيب واحد أخذ منها قطعة ومن خرج له قدح له نصيبان أخذ قطعتين كما كان يفعل ذلك فى الجزور الذى يقترع عليه فى الجاهلية، ثم يقول وأحسب أولياء سيدنا يستهمون على هذه الصحيفة كما كان النبى ﷺ يستهم بين أزواجه إذ لم يمكنهم أن ييسروا عليها لحظر الإسلام ذلك.

(١) الصك الكتاب، ويبجح يفخر، والنظراء المماثلون، وحيرى الدهر أى مدة الدهر ويوح الشمس، وحكاه يعقوب يوح، وكان ابن الأنبارى يقول هو بوح بالباء وهو تصحيف وذكره أبو على الفارسى فى الحلبيات عن المبرد بالياء المعجمة باثنتين وكذلك ذكره أبو العلاء المعرى فى شعره فقال:

* وأنت متى سفرت رددت يوحًا *

ولما دخل بغداد اعترض عليه فى هذا البيت فقيل له: صحفته وإنما هو بوح بالباء واحتجوا عليه بما ذكره ابن السكيت فى ألفاظه فقال لهم: هذه النسخ التى بأيديكم غيرها شيوخكم ولكن أخرجوا النسخ العتيقة فأخرجوا النسخ العتيقة فوجدوها كما ذكره أبو العلاء. وقال ابن خالويه: هو يوح بالياء المعجمتين باثنتين وصحفه ابن الأنبارى فقال: بوح وجرى بين ابن الأنبارى وبين أبى عمر الزاهد كل شىء حتى قالت الشعراء فيهما ثم أخرجنا كتاب الشمس والقمر لأبى حاتم السجستانى فإذا هو يوح بالياء المعجمة باثنتين، وأما البوح بالباء فهو النفس لا غير.

(٢) جنب الفانية إلى عيش الغانية أى شوق المرأة الفانية إلى رجوعها للصبا، وأنضاء، الإغلال إلى إفضاء الإبلال أى شوق المرضى إلى الشفاء والبرء وذات الطول والعرض يعنى الأرض والصهوة المطمئن من الأرض تأوى إليه ضوال الإبل. والمعنى أن الشوق إليه لو تجسم لملأ الأرض والفضاء ولم يكتف بذلك حتى يكلف كل ذى ضيق منهما أن يحمل من ذلك الشوق ما يحمله ذو السعة ومن هذا المعنى قول أبى تمام:

وأنفس تسع الأرض الفضـــاء فلا ... يرضون أو يجشموها فوق ما تسع

رَفَعَنِى الْفَلَكُ، أَوْ نَاجَانِى الْمَلَكُ، جَذَلاً بِمَا لَوْ جَارَ تَبَدُّلُ الْغَرِيزَةِ، وَتَحَوُّلُ النَّحِيزَةِ، لَنَقَلَنِى مِنْ آلَى الْعَامَّةِ، إِلَى عَالِى السَّامَّةِ، نَقْلَ الكيمياء، مَا خَالَطَ من الْمُزَأْبَقِ الْجَائِزِ، إِلَى جُمْلَةِ النَّضَارِ الْمُمَايِزِ[1]، وَكِدْتُ لَوْلاَ اشْتِمَالُ الْمَخَاوِفِ عَلَى هَذِهِ الْمَحِلَّةِ، وَاشْتِغَالُ الضَّمَائِرِ بِقَبَسِ الْغُلَّةِ، أَحْسَبُ سَلاَمَهُ السَّلاَمَ الَّذِى ذَكَرَهُ الْبَارِئُ جَلَّ اسْمُهُ فِى قَوْلِهِ ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ، أَقَبَلْدَتُنَا جِنَانٌ، أَمْ وَضَحَ لأَهْلِهَا الْغُفْرَانُ، أَمْ نُشِرُوا بَعْدَمَا قُبِرُوا، أَمْ جُزُوا الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا، فَهُمْ يُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا، وَإِنْ نَالُوا بِمَنِّهِ أَوْصَافَ الأَتْقِيَاءِ الأَبْرَارِ، فَقَدْ نَزَلَتْ بِهِمْ خَلَّةٌ مِنْ خِلاَلِ الأَشْقِيَاءِ الْكُفَّارِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِأَسَدِ الْبَلاَغَةِ افْتُرِسُوا، وَبِأَسْبَابِهَا عُقِدَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ الْجَوَابِ فَخَرِسُوا، فَكَأَنَّمَا قِيلَ لَهُمْ هَذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ، وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ[2]، وَإِنَّمَا غَرِقُوا فِى لُجِّ التَّبَانَةِ فَصَمَتُوا، وَسَمِعُوا صَوَاعِقَ الإِبَانَةِ فَخَفَتُوا، فَقَلَمُ كَاتِبِهِمْ عُودُ النَّاكِتِ، وَجَوَابُ بَلِيغِهِمْ حَيْرَةُ السَّاكِتِ، عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ رَامُوا تَصْرِيفَ الْخِطَابِ فَصُرِفُوا، وَعَرَفُوا مَكَانَ فَضْلِهِ فَاعْتَرَفُوا، وَتَرَاءَوْهُ مِنْ مَبَارِكِ الْعُرُوجِ، فَلَمَحُوهُ فِى مَآرِكِ الْبُرُوجِ، وَاسْتَنْهَضَتْهُمُ الْهِمَمُ إِلَى مُدَانَاتِهِ

(١) السلمة الصخرة، والسلمة الشجرة المعروفة، وعارية لا ورق لها، وروق اليعفور أى قرن الغزال، ويريد بذلك القلق والاضطراب كما قال:

وبلدة مثل ظهر الظبى بت بهـا ... كأننى فوق روق الظبى من حذر

وقال امرؤ القيس:

ولا مثل يوم فى قداران ظلته ... كأنى وأصحابى على قرن أعفرا

وقال المرار الفقعسى:

كأن قلوب أدلائها ... معلقة بقرون الظباء

والجذل الفرح، والنحيزة الطبيعة، وآلى العامة الآلى المقصر يريد مقصرى العامة، والسامة الخاصة من الناس، والمزأبق الدرهم المطلى بالزئبق، والمعنى أنه لو جاز أن الطبيعة تتبدل والغريزة تتحول لنقلنى من العامة الذين أنا منهم وصيرنى من الخاصة كما تحول الكيمياء النحاس إلى ذهب.

(٢) خلة أى صفة، والمعنى أنه لما جاء ذلك الكتاب إلى بلدتنا عظم أمره عند أهلها حتى ظنوا سلامه السلام الذى ذكره الله فى القرآن خطابًا لأهل الجنة وظنوا أنفسهم فيها حيث أنهم يخاطبون به، إلا أنهم وإن نالوا أوصاف أهل الجنة بذلك فقد أشبهوا أهل النار فى شىء آخر وهو الخرس والعى عن جواب ذلك الكتاب حتى كأنما قيل لهم: ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥].

فَعَجَزُوا، وَوَعَدُوا هَوَاجِسَهُمُ التَّبَلُّدَ فَأَنْجَزُوا، وَلَنْ تُوجَدَ آثَارُ النُّوقِ، فِى أَوْكَارِ الأَنُوقِ[1]، فَهُمْ يَتَأَمَّلُونَ وَمِيضَهُ الآلِقَ، وَيَحْمَدُونَ الإِلهَ الْخَالِقَ، عَلَى مَا مَنَحَهُ سَيِّدَهُمْ مِنَ الاقْتِدَارِ، بِدَقِيقِ الأَفْكَارِ، عَلَى إِعَادَةِ الْيَمِّ كَالْغَدِيرِ الْمُسَمَّى بِالْغَدرِ وَإِلْحَاقِ السُّهَى بِالقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ[2]، وَلَمْ يَزَلِ الْمَاشِى الْعَازِمُ أَسْرَعَ مِنْ رَاكِبِ الرَّازِمِ، فَكَيْفَ بِمَنِ امْتَطَى عَزْمُهُ كَتِدَ الرِّيحِ، وَحَكَمَ لَهُ سَعْدُهُ بِالسَّعْى النَّجِيحِ وَخَصَّهُ بَارِئُهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ بِطَبْعٍ رَاضَ صِعَابَ الأَعْرَاضِ، حَتَّى ذَلَّلَهَا، وَأَبَسَّ بِوُحُوشِ اللُّغَاتِ فَأَهَّلَهَا، فَصَارَ حَزْنُ كَلاَمِ الْعَرَبِ إِذَا نَطَقَ بِهِ سَهْلاً، وَرَكِيكُهُ إِنْ أَيَّدَهُ بِصَنْعَتِهِ قَوِيًّا جَزْلاً، فَمَثَلُهُ مَثَلُ جَارِسَةِ الْكَحْلاءِ، تَسْمَحُ بِالْمَسَائِبِ الْمِلاءِ، تَطْعَمُ الْغَرَبَ، وَتَجُودُ بِالضَّرَبِ، وَتَجْنِى مُرَّ الأَنْوَارِ، فَيَعُودُ شَهْدًا عِنْدَ الاشْتِيَارِ، وَكَالْهَوَاءِ فِى مَذْهَبٍ لاَ أَعْتَقِدُهُ، وَقَوْلٍ سِوَاىَ مَنْ يُسَدِّدُهُ، يَجْتَذِبُ

(١) التبانة الفطانة، والناكت الذى يبحث الأرض بعود أو قلم وإنما يفعل ذلك لحياء أو شغل قلب قال الشاعر:

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم ... لتطلب العــلات بالعيــدان

والأنوق طير لا يسكن إلا أعالى الجبال، والعروج جمع عرج وهو الجملة من الإبل والمعنى أنهم راموا أن يأتوا بمثل ما أتى به من الأدب والبلاغة فلم يمكنهم وقوله «تراوده من مبارك العروج» يريد أنهم رأوه قريبًا فى أعينهم فالتمسوه فوجدوه فى بروج السماء بعدًا. وقوله ولن توجد آثار النوق يريد كما أنه يستحيل أن ترقى الإبل إلى أوكار الطير كذلك يستحيل على هؤلاء أن يرقوا إلى منزلته.

(٢) وميضه أى لمعه يقال: ومض البرق يمض قال امرؤ القيس:

أصاح ترى برقًا أريك وميضه ... كلمع اليــدين فى حبى مكلل

والآلق اللامع. واليم البحر. والغدير هو ما يغادره السيل وقيل: إنه سمى غديرًا لأنه يغدر بأهله وذلك أنه ينقطع أشد ما تكون الحاجة إليه ويشهد له المثل أغدر من الغدير وقال الكميت:

ومن غــدره نبز الأولون ... بأن لقبوه الغدير الغديرا

ويروى لغيره:

لى فى بطون اليعملات مزادة ... تروى إذا غــدر الغدير الطامى

السهى نجم خفى فى بنات نعش والمعنى أنه أتى بالمعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة والمعانى الخفية واضحة كالبدر.

أَجْزَاءَ الْبُخَارِ، فَيَسْقِي مَنْ تَحْتَهُ عَذْبَ الأَمْطَارِ[١]، وَمَنْ لَنَا بِأَنَّ اللَّفْظَ الْمَشُوفَ، يُمَثَّلُ عَلَيْهِ التَّمْثِيلَ عَلَى الْحُرُوفِ، فَتُكَلَّفَ أَلْبَابُنَا اقْتِضَابَ الْعَسِيرِ، وَرُكُوبَ مَا لَيْسَ بِيَسِيرٍ، فَعَسَاهَا تُبِلُّ بِفَقْرَةٍ رَاهِرَةٍ، أَوْ تَظْفَرُ بِاسْتِخْرَاجِ لُؤْلُؤَةٍ فَاخِرَةٍ، عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْعَنَاءِ سُؤَالُ الْبَرِمِ، وَرِيَاضَةُ الْهَرِمِ، وَهَيْهَاتَ بَعُدَتْ مَحَالُّ الْغَفْرِ الطَّالِعِ، عَنْ مَزَالِّ الْغُفْرِ الظَّالِعِ، وَأَعْجَزَ الْبَارِقُ يَدَ السَّارِقِ، وَجَلَّتِ الشُّمُوسُ عَنْ سُكْنَى الرُّمُوسِ، وَلَوِ اجْتَهَدَ الْخُزَزُ مَدَى عُمْرِهِ مَا أَشْبَهَ ضَغِيبُهُ زَئِيرَ الأَسَدِ، وَلَنْ يَصِيرَ سَوْطُ بَاطِلٍ فِي الْقُوَّةِ كَالْمَسَدِ[٢]، وَلَوَدِدْتُ لَوْ رُزِقَ لاَمُهُ، مَا رُزِقَ كَلاَمُهُ، لِيَنَالَ

(١) العازم المجد الذى لا يرده شىء. والرازم من الإبل الذى لا يقوم من الهزال. والكتد ما بين الكاهل إلى الظهر. وراض أى ذلل. وأبس يقال أبس بالناقة إذا دعاها للحلب قال امرؤ القيس:

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره ... طريف بن مال ليلة الجوع والخصر
إذا البازل الكوماء راحت عشية ... تلاوذ من صوت المبسين بالشجر

ويريد بوحوش اللغات غريبها ووحشيها والجارسة النحلة قال ابن السكيت: جرست النحل الأزهار إذا أكلته. والكحلاء نبت مرعى النحل وتسمح بالمسائب الملاء أى تجود بأوعية العسل الملاء. والغرب نبت ضعيف مر ينبت على الأنهار والضرب العسل والاشتيار يقال اشتار العسل إذا جناه من الخلية والمعنى أنه للطافته وحدة ذهنه يرد الألفاظ الوحشية المهملة إنسية مستعملة يعنى لحذقه يستعمل اللغة الغريبة فيقربها من الأذهان بحيث تألفها الطباع فمثله فى ذلك مثل النحل الذى يأكل المر من النبات ثم يلقيه عسلاً وقد نظم هذا المعنى أبو العلاء فقال:

ردت لطافته وحدة ذهنه ... وحش اللغات أوانسا بخضابه
والنحل يجنى المر من نور الربى ... فيعود شهداً فى طريق رضابه

ومثل لذلك أيضا بالهواء الذى يجذب ماء البحار وهو ملح ثم يمطره على الناس غيثًا عذب المذاق وهنا أذكر عبارة لطيفة وهى أن جلال الدين الرومى صاحب كتاب المثنوى المشهور كان يملى على تلامذته كل ما نظمه من ذلك الكتاب يومًا فيومًا فاتفق ان مضت عليه أيام لم يتيسر له فيها نظم شىء منه فألح التلامذة فى الطب فقال لهم شعراً معناه: (مهلاً فلا بد من برهة من الزمن حتى يستحيل الدم إلى لبن).

(١) المشوف المجلو البليغ. واقتضاب العسير يقال: اقتضب الناقة إذا ركبها قبل أن تراض. والعسير الناقة التى لم تتم رياضتها استعارها للكلام الممتنع. وتبل تشفى. والبرم الضجر. ورياضة الهرم فى أمثال العرب من العناء. رياضة الهرم والغفر منزلة من منازل القمر. والغفر ولد الأروية وهى أنثى الوعول. والظالع الأعرج. والبارق البرق. والخزز ولد الأرنب. والضغيب صوت الأرنب وسوط باطل هو الذى تسميه العامة حبل الشمس وهو ذلك الضوء الضعيف الذى يدخل من الكوة فيرى فيه شىء كالهباء وفى المثل أرق من خيط باطل. والمسد حبل متين من ليف والمعنى يقول لو كان =

خُلُودَ الزَّمَان، وَتُعْطِيَهُ الْحَوَادِثُ أَوْكَدَ أَمَان، فَإِنَّهُ أَوْلَى النَّاس، بِإِضَاءَةِ النِّبْرَاسِ، إِذْ كَانَ فِى زَكَاء الْهِمَّةِ مَغْرِسُهُ، وَبِأَجْذَالِ الْحِكْمَةِ مُذْ نشأَ تَمَرَّسُهُ، حَتَّى عَلاَ مِنْهَا سَرَاةَ الْمِنْبرِ، وَرَكِبَ طَالِبُهُ أُصُولَ السَّخْبَرِ[1]، وَقَدْ كَانَ فِيمَنْ مَضَى قَوْمٌ جَعَلُوا الرَّسَائِلَ، كَالْوَسَائِلِ، وَتَزَيَّنُوا بِالسَّجْعِ، تَزَيُّنَ الْمُحُولِ بِالرَّجْعِ، مَا رَقُوا فِى دَرَجَتِه، وَلاَ وضَعُوا قَدَمًا عَلَى مَحَجَّتِه، لَكِنَّهُمْ تَعَايَنُوا فَمَا تَبَايَنُوا، وَتَنَاضَلُوا فَلَم يَتَفَاضَلُوا، وَلَوْ طَمِعُوا فِى الْوُصُولِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْفُصُولِ، لاخْتَارُوا الرُّتَبَ، عَلَى الرُّتَبِ، وَرَضُوا اعْتِسَافَ السَّبِيلِ، وَارْتِعَاء الْوَبِيلِ، لِيُدْرِكُوا بِطَلَبِهِمْ مَا أَدْرَكَهُ عَنْ غَيْرِ جِدٍّ، وَاغْتَرَفَهُ مِنْ بَدِيهِهِ الْعِدِّ، وَكُلُّهُمْ لَوْ شَاهَدَهُ لَرَضِىَ بِأَنْ يُدْعَى السُّكَّيْتَ فِى حَلْبَةِ سَيِّدُنَا فِيهَا سَابِقُ الرِّهَانِ، وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ رُجًّا فِى قَنَاةٍ هُوَ مِنْهَا مَوْضِعُ السِّنَانِ[2]، وَلَمَّا وَرَدَتْ مَعَ عَبْدِهِ مُوسَى تِلْكَ الْغَرَائِبُ الْمُؤْنِسَةُ،

= لفظه البليغ يقبل أن يمثل عليه ويقلد كما يقلد الخط الحسن والحروف الجميلة لكلفنا أنفسنا تقليد ذلك عسانا أن نظفر بإنشاء جملة لطيفة وعبارة منمقة تشبه عبارته. ثم قال: ولكن ذلك لا يكون أبدًا ومن حاوله يكون كمن حاول مالاً من بخيل أو رياضة الهرم. وقوله: بعدت محال العفر الطالع يقول: إننا لا نتساوى فى المنزلة فهو فى الثريا ونحن فى الثرى. وقوله ولو اجتهد الخلق مدى عمره يريد أننا لا نكون مثله أبدًا كما لا يكون صوت الأرنب مثل صوت الأسد.

(١) لامه أى شخصه قال الراجز:

مهرية تخطر فى ذمامها ... لم يبق منها السير غير لامها

والنبراس المصباح. وسراة المنبر أعلاه. والسخبر ضرب من النبت يطول ثم ينثنى من أصوله فيقال للذى تغير عن عهده: ركب أصول السخبر، وقال حسان يهجو الحارث بن عوف المرى من غطفان:

إن تغدروا فالغدر منكم شيمة ... والغدر ينبت فى أصول السخبر

والمعنى يدعو له بأن يخلد جسمه كما خلد اسمه وكلامه فى الدنيا لأنه أولى الناس بالبقاء ودوام الحياة وعبر عن ذلك بإضاءة النبراس.

(٢) جعلوا الرسائل كالوسائل أى جعلوها ذرائع يتوسلون بها إلى طلب المال والمحول الأراضى المجدبة. وبالرجع أى بالمطر. والأرض الهامدة إذا نزلت بها الأمطار أخذت زخرفها وازينت وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] يريد أن هؤلاء سجعوا فى كلامهم بإسجاع أرادوا أن يتزينوا بها كتزين المحول بالرجع. والرتب الشظف والشدة. والوبيل يقال وبل المرتع أى صار وخيمًا. والعد الماء الذى له مادة لا تنقطع. والسكيت العاشر من خيل السباق. والزج الحديدة التى فى أسفل الرمح. وتعاينوا أى تنافروا. =

وَالْقَلائِدُ الْمُنْفِسَةُ، كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الآيَاتِ التِّسْعِ الَّتِى أَلْقَاهَا الرَّحْمَنُ عَلَى ابْنِ عِمْرَانَ، أَبْطَلَتْ كَيْدَ السُّحَّارِ، وَعَصَفَتْ بِهَشِيمِ الأَشْعَارِ، وَوَرَدَ فِى أَلْوَاحِهِ عَصَوَانِ الْمِيمِيَّةُ، وَالْوَاوِيَّةُ، فَوَجَدَ فِى وَطْنِهِ أَشْبَاحَ أَوْزَانٍ تُتَخَيَّلُ، وَأَنْقَاءَ أَذْهَانٍ، تَتَهَيَّلُ، فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ[1]، مَا خَبَرَ عَبْدُهُ حَتَّى اخْتَبَرَ، وَلاَ عَبَرَ إِلاَّ بَعْدَمَا اعْتَبَرَ، شَاهِدُنَا فِيمَا سَمِعْنَاهُ الْمَعْنَى الْحَصِيرِ، فِى الْوَزْنِ الْقَصِيرِ، كَصُورَةِ كِسْرَى فِى كَأْسِ الْمَشْرُوبِ، وَتِمْثَالِ قَيْصَرَ فِى الإِبْرِيزِ الْمَضْرُوبِ، لَمْ يُزْرِ بِهِ ضِيقُ الدَّارِ، وَقِصَرُ الْجِدَارِ، إِنْ تَغَزَّلَ فَحَنِينُ الْعُودِ، أَوْ تَجَزَّلَ فَهَدِيرُ الرُّعُودِ[2]، وَإِنْ كَانَ أَدَامَ اللهُ شَرَفَ الدُّنْيَا بِهِ اسْتَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ مَا اسْتَكْبَرْنَاهُ، وَاسْتَنْزَرَ مِنْ أَدَبِهِ الَّذِى اسْتَعْمَرْنَاهُ، فَالسِّرْبُ الْوَحْشِىُّ يَعْجَبُ مِنْ

= وتناضلوا تعارضوا بالكلام والأشعار. والمعنى يقول لو طمعوا أن يصلوا إلى أدب الوزير وبلاغته لبذلوا كل مرتخص وغال ليدركوا من ذلك أقل شيء.

(١) الآيات التسع هى العصا. واليد البيضاء. والطوفان والجراد. والقمل والضفادع. والدم. وفلق الحجر. وتفجر الصخرة. وابن عمران هو موسى عليه السلام. ويريد بالعصوان قصيدتان. والأنقاء الرمال يريد وجد أذهانًا سيالة ذكية.

(٢) المعنى الحصير المقصود به المعنى الواسع الكبير. وصورة كسرى المقصود بها الصور التى كانت تصور على كؤوس الشراب وكانت عادة الفرس أن يصوروا عليها صور ملوكهم وقد أشار إلى ذلك أبو نواس فى قوله:

تدار علينا الكأس فى عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارس
قوارتها كسرى وفى جنباتها ... مها تدريها بالقسى الفوارس

وتمثال قيصر المراد به صورته على الدينار وكانت الدنانير التى تستعملها العرب فى العصر الأول رومية ثم ضربها المسلمون وقد صور بعض ملوك المسلمين صورته على الدينار قال الثعالبى فى اليتيمة حكى ابن لبيب غلام أبى الفرج البغا أن سيف الدولة أمر بضرب دنانير للصلات فى كل دينار عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته فأمر يومًا لابى الفرج منها بعشرة دنانير فقال ارتجالاً:

نحن بجـود الأمير فى حرم ... نرتع بين السعود والنعم
أبدع من هذه الدنانير لم يجـ ... ـر قديمًا فى خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته ... فى دهرنا عوذة من العدم

وقوله لم يزر به أى إن ضيق الكأس وقصر الدينار لم ينقصا شيئًا من صورتى كسرى وقيصر بل وسعاهما تمامًا فالمعنى أن الوزير قادر على صوغ المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة فتدل عليها تلك الألفاظ وتمثلها للعيان كما دلت الصورة على الملك وملكه.

وَقُوف الأجْدَل، عَلَى شُرُفَات الْمجْدَل، وَهُوَ غَيْرُ حَافِلٍ بِمَا أَتَى، وَلاَ مُعْتَقِد أَنَّهُ اسْتَعْلَى[١]، وَإِنْ كَانَ فى وَانِيَة آدَابِنَا بَقِيَّةُ إِرْقَال، وَلآنِيَة أَفْهَامِنَا خَفِيَّةُ صِقَال، فَسَوْفَ تَنْتَفِعُ وَهُوَ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ ذَرِيعَةُ الانْتِفَاعِ، وَتُضِيءُ بِمَا أَهْدَى إِلَيْهَا مِنَ الشُّعَاعِ، إِضَاءَةَ الصُّفْرِ، بِمَا قَابَلَ مِنَ النَّيِّرَاتِ الزُّهْرِ، وَقَدْ يُرَى خَيَالُ الْجَوْزَاءِ عَلَى رِفْعَتِهَا، فى أَضَاةِ الْمِرْآةِ مَعَ ضَعَتِهَا، وَيُورِقُ الْعُودُ، بِبَرَكَةِ السُّعُودِ، وَتَفِيضُ الرَّدْهَةُ، عَنْ نَوْءِ الْجَبْهَةِ[٢]، وَلَوْ تَفَوَّهَ بِمَقَال جَامِد، وَهَمَّ بِاخْتِيَال هَامِد، لَنَشَرَتِ الْمَعَرَّةُ صُحُفَ الافْتِخَارِ، وَسَحَبَتْ ذَيْلَ الْعَظَمَةِ وَالاسْتِكْبَارِ، عُجْبًا أَنَّ فِكْرَهُ يَلْحَظُهَا لَحْظَ السَّاهِى السَّامِدِ، لاَ يَلْفِظُ بِذِكْرِهَا لَفْظَ الْحَامِدِ الْعَامِدِ[٣]، وَإِنَّمَا هُوَ فى الرَّحِيلِ عَنْهَا كَجِسْمٍ ذِى رُوحٍ، نُقِلَ مِنَ الْغِرْقِئِ إِلَى اللُّوحِ، وَهِىَ بَعْدَهُ كَقَسِيمَةِ الْوَسِيمَةِ ذَهَبَ عِطْرُهَا، وَبَقِىَ نَشْرُهَا[٤]، وَإِنَّمَا شَرُفَتْ عَلَى مَا سِوَاهَا،

---

(١) السرب جماعة الغزلان. والأجدل الصقر. والمجدل القصر والمعنى: إن كان الوزير يرى فضله العظيم يسيراً فلا عجب فمثله مثل الصقر الذى يقف على قنن الجبال وشرفات القصور فتراه الغزلان وهى بادنى الوادى فتعجب لذلك وهو لا يعجب من نفسه ولا يرى أنه أتى شيئًا يتعجب منه ولا ارتقى رقية سامية.

(٢) الوانية المتأخرة والإرقال نوع من السير. والصفر النحاس. والأضاة الماء. والسعود يريد سعود النجوم. والردهة الحفرة يجتمع فيها الماء والجبهة منزلة من منازل القمر، والمعنى: يقول إن كان بقى عندنا ذهن يقبل التثقيف والتلبيب فسوف ننتفع بما ترسله إلينا من كتبك وفصاحتك. ونتعلم منها الأدب وتضىء بها أذهاننا كما يضىء النحاس ويلمع إذا قابلته الشمس. وقوله: وقد يرى خيال الجوزاء إلى آخره يريد لا عجب أن تبعث فى نفوسنا بعضًا من فصاحتك وأن يظهر فينا شىء من أدبك فقد يرى خيال الجوزاء على رفعتها فى المرآة على ضعتها وقد تفيض الردهة مما يسكب عليها من المطر النازل من منزلة من منازل القمر.

(٣) يقول: لو أنه ذكر اسم المعرة فى حديثه ولو غير مصحوب بمدح وتقريظ أو أنها خطرت على باله مرة لطارت المعرة فرحًا بذلك وافتخاراً بأنها خطرت على باله وجاء اسمها ضمن أقواله ولو لم يتعمد ذلك أو يصحبه بالثناء عليها.

(٤) الغرقئ الغلالة التى بين قشرة البيضة وبياضها وفى المثل أرق من غرقئ البيض. واللوح الجو والفضاء. والقسيمة جونة العطر. والوسيمة المرأة الجميلة والمعنى. يقول ان رحيل الوزير عن المعرة وانتقاله إلى بلده كانتقال الفرخ من البيضة إلى فضاء الدنيا. ويقول إن المعرة بعده كحقة العطر التى نفد منها العطر ولم يبق بها إلا نشره يريد ما خلفه الوزير بها من حسن أحدوثته وطيب ذكره.

وَطَالَتْ عَنِ الْبِلاَدِ دُونَ مَا وَالاَهَا، لإِقَامَتِه بِهَا فى تِلْكَ الأَيَّامِ، وَإِنَامَتِه عَنْ أَهْلِهَا نَوَاظِرَ أَرَامٍ، فَعُرِفَتْ عِنْدَ ذَلِكَ بِه، وَنَالَتْ خَيرَهَا مِنْ حَسَبِه، كَمَا تَنَالُ كُلُّ دَارٍ يَحُلُّهَا، وَإِنَّمَا الْمَنَازِلُ الَّتى يَنْزِلُهَا كَالشُّهُبِ الشَّامِيَةِ وَالْيَمَانِيَةِ، الْمُوفِيَةِ عَلَى الْعِشْرِينَ بِثَمَانِيَةٍ، نَزَلَ بِهَا الزِّبْرِقَانُ فَاشْتَهَرَتْ، وَنَسَبَتِ الْعَرَبُ إِلَيْهَا كُلَّ سَحَابَةٍ أَمْطَرَتْ، وَكَمْ فى أَدِيمِ الْخَضْرَاءِ مِنْ أَشْبَاحٍ مُضِيئَةٍ زَهْرَاءَ، اجْتَنَبَهَا فى السَّيْرِ فَخَمَلَتْ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيْهَا قَطْرُ سَحَابَةٍ هَمَلَتْ[1]، وَرَأْىُ عَبْدِه أَنَّ ضَرْبَةَ اللاَّزِمِ، عَلَى الْمُتَأَدِّبِ الْحَازِمِ، اتِّخَاذُ آثَارِه عَاشَ حَاسِدُهُ بِالْخُلُقِ الشَّكِسِ، وَالْجَدُّ الْمُنْعَكِسِ، مَشَاهِدَ للأَدَبِ مَحْضُورَةً، وَمَحَافِلَ بِالْمُذَاكَرَةِ مَعْمُورَةً، كَمَا يَتَّخِذُ تَقِيُّ الْخَلَفِ، مَوَاطِئَ زَكِيِّ السَّلَفِ، مَوَاقِفَ يَتَخَيَّرُهَا لِطَهَارَتِهَا ، وَمَسَاجِدَ يَتَدَيَّرُهَا لآثَارَتِهَا، وَإِنَّمَا فُضِّلَ الطُّورُ بِالْكَلِيمِ، وَالْمَقَامُ بِإِبْرَاهِيمَ، وَلَقَدْ سَمَوْنَا بِمُجَاوَرَتِه، قَبْلَ مُحَاوَرَتِه، سُمُوَّ الْيَثْرِبِىِّ، بِجِوَارِ النَّبِىِّ[2]، وَلَعَلَّ الْمَعَرَّةَ قَدْ نَظَرَتْ أَصَحَّ النَّظَرِ، وَفَكَّرَتْ فِيمَا لاَ يَنْتَقِضُ مِنَ الفِكَرِ، فَعَلِمَتْ أَنَّهُ عِقْدٌ لاَ يَصْلُحُ لِمُقَلِّدِهَا، وَسِوَارٌ يَرْتَفِعُ لِجَلاَلَتِه عَنْ يَدِهَا، وَتَاجٌ لاَ يُطِيقُ حَمْلَهُ مَفْرِقُهَا،

---

(١) أزام: هى السنة الشديدة، قال الشاعر:

أهان لها الطعام فلم يضعه غـداة الروع إذ أزمت أزام

ويريد بالشهب الشامية واليمانية منازل القمر الثمانية والعشرين والزبرقان القمر. وقوله نسبت العرب إليها كل سحابة أمطرت يريد ما تذكره العرب من قولها أمطرنا بنوء الجبهة. أو الغفر. أو السماك ونحوه. والخضراء السماء. والمراد بأشباح مضيئة زهراء النجوم الأخرى التى ليست منازل للقمر. والمعنى أن المعرة شرفت على جميع الأمصار بكون الوزير حلها برهة من الزمن وكذلك كل دار يحلها تشرف على غيرها وتتميز عن سواها فمثل الوزير مثل القمر الذى لما نزل فى منازله الثمانية والعشرين المعروفة شهرت ونسبت إليها العرب نزول المطر وغيرها من النجوم التى لم ينزلها هجرت ولم ينسب إليها شىء.

(٢) الخلق الشكس أى العسر. والجد الحظ. ويتديرها يتخذها داراً ولأثارتها أى لشرفها وفضلها. والمعنى يقول يجب على المتأدبين أن يتخذوا منازله التى نزلها أسواقا للأدب يجتمعون فيها ويتذاكرون فيفعلون بذلك مثل ما يفعل الناس من احترام الأمكنة التى نزلها الأنبياء والصالحون كمقام إبراهيم وهو الحجر الذى كان يقوم عليه حين كان يبنى البيت.

وَجَوْنَةٌ يَشْرَقُ بِذُرُورِهَا مَشْرِقُهَا، وَهُوَ أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ مِثْلُ مَا نُقِلَ مِنَ الْمَحَارِ، إِلَى مَفْرِقِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، وَمَغَانِيهِ الأُولَى كَالشَّجَرَةِ بَعْدَ اجْتِنَاءِ الثَّمَرَةِ، وَالصَّدَفَةِ بِغَيْرِ جَوْهَرَةٍ، وَالْكِنَانَةِ الْخَالِيَةِ مِنَ السِّهَامِ، وَالْعَنَانَةِ الْجَالِيَةِ فِي الْجَهَامِ، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْنَا أَنَّ الْغَيْثَ مِنَ الدُّجُونِ، فِي مِثْلِ السُّجُونِ، وَأَنَّ مَوْضِعَ الزَّهْرَةِ، أَعْلَى الْعَبْهَرَةِ، وَأَنَّ الْقَمَرَ، لَمْ يُخْلَقْ لِلسَّمَرِ، وَلَيْسَ لِلْمُسْتَعِيرِ أَنْ يَحْسَبَ الْعَارِيَةَ هِبَةً، وَلاَ يَظُنَّ رَدَّهَا إِلَى الْمُعِيرِ مِثْلَبَةً، لَكِنْ شَرَفٌ لِلصُّعْلُوكِ، الْعَارِيَةُ مِنَ الْمُلُوكِ[1]، وَقَدْ أَفَادَتْ هَذِهِ الْبُقْعَةُ الصِّيتَ الْبَعِيدَ، وَانْقَادَتْ لَهَا أَزِمَّةُ الْجَدِّ السَّعِيدِ، لَيَالِيَ أَمْنَتْهَا الْمَكَارِمُ عَلَيْهِ، وَاسْتَوْدَعَتْهَا الْبَرَاعَةُ حِدَّةَ أَصْغَرَيْهِ، فَظَعَنَ وَأَرَجُهُ مُقِيمٌ، وَارْتَحَلَ وَلِلثَّنَاءِ تَخْيِيمٌ، فَهِيَ كَشَهْرَيْ رَبِيعٍ سُمِّيَا مَعَ الشُّهُورِ، فِي أَوَائِلِ الدُّهُورِ، ثُمَّ انْتَقَلاَ مِنَ الْجِدَّةِ، إِلَى الشِّدَّةِ، وَكَانَ مَعَهُمَا جُمَادَيَانِ فَصَارَتَا بَعْدَ الْجُمُدِ، إِلَى الْوُمُدِ، وَأَبَتِ الأَلْقَابُ، التَّغَيُّرَ بِمَمَرِّ الأَحْقَابِ، فَنَفَدَتِ الرُّسُومُ،

(١) المقلد مكان القلادة من العنق قال القائل:

* ضخم مقلدها عبل مقيدها *

والجونة الشمس. ويشرق من شرق بريقه أى غص. والذرور من ذرت الشمس أى طلعت والمحار الصدف. ومفرق الجبار يريد تاج الملك. والعنانة السحابة والجالية. الواضحة والجهام السحاب الذى هرق ماءه. والدجون جمع دجن وهو الغيم والمعنى. قوله: مثل ما نقل من المحار يريد أن انتقال الوزير من المعرة إلى بلده كانتقال اللؤلؤة من الصدف إلى تاج الملك. وقوله: ومغانيه الأولى. كالشجرة بعد اجتناء الثمرة يريد أنه لما ترك المعرة ورحل عنها بقيت بعده كالشجرة بلا ثمرة. وقوله: ولم يخف علينا أن الغيث من الدجون لما قال: إن المعرة بعد الوزير كالغمامة بلا ماء ولم يخف علينا أن ماء الغمامة كان فيها كأنه فى سجن وذلك أنه لا ينتفع به إلا إذا خرج من الغمامة وما دام فيها فلا فائدة منه. وقوله: وإن القمر لم يخلق للسمر يقول: إن القمر خلق لمنافع كثيرة ولم يخلق لمجرد السمر فى ضوئه وكذلك الوزير لم يخلق لمجرد انتفاع أهل المعرة بوجوده عندهم وإنما خلق للعالم أجمع ينتفعون به على وجوه شتى. وكما أن القمر لما لم يكن للسمر فهو يغيب فى بعض ليالى الشهر فكذلك لا غرو إذا غاب الوزير عن المعرة. وقوله: وليس للمستعير أن يحسب العارية هبة أى ليس لأهل المعرة أن يحسبوا أن مروره عليهم وتشريفهم بالنزول عندهم برهة من الزمن إقامة ولا يجزعوا من رحيله عنهم. وقوله: وإن موضع الزهرة أعلى العبهرة يريد كما أن زهرة النرجس أو الياسمين لا تنبت إلا فى طرف الغصن وأعلاه ولا يكون محلها فى وسطه أو أدناه فكذلك محل الوزير إنما هو مدينته التى يسكنها وليست المعرة.

وَخَلَدَت الْوُسُومُ[١]، وَلَوْلاَ جَفَاءُ التُّرْبَة وَالأحْجَار، عَنِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلاَقِ الْجَار، لأَصْبَحَتْ سَاحَتُهَا للتَّأَدُّبِ مُخْتَارَةً، وَالْفَصَاحَةُ مِنْ عِنْد أَهْلِهَا مُمْتَارَةً، فَقَدْ قِيلَ إِنَّ أَصْلَ الطِّيبِ عِنْدَ عَبَدَة الأَبْدَاد، أَنَّ آدَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَبَطَ فِى تِلْكَ الْبِلاَد، وَلَكِنْ أَبَى الْجُلْمُودُ قَبُولَ الطَّبْعِ الْمَحْمُود، وَعُذِرَت الْكَابِيَةُ فِى الْهُمُود، وَالإِنْسُ بِاجْتِذَابِ الْخَلِيقَةِ أَخْلَقُ، وَحَوَاسُّهُمْ بِطِلاَبِ الْفَضِيلَةِ أَوْلَى وَأَلْيَقُ[٢]، فَلَوْلاَ تَنَبَّهُوا وَقَدْ نُبِّهُوا، وَأَشْبَهُوا الْمَرْئِىَّ إِذْ تَشَبَّهُوا، وَمَا هَمَّ ابْنُ دَايَةَ، بِصَيْدِ الْجَدَايَةِ، فَكَيْفَ يَلْتَقِطُ الْقَارَ بِالْمِنْقَارِ، وَيَسْتُرُ الْقِرْوَاحَ بِالْجَنَاحِ، أَمْ كَيْفَ يُمِدُّ الطِّرَافُ مِنَ النِّسْعِ، وَيُقَدُّ النِّجَادُ مِنَ الشِّسْعِ، هَذَا مَا لا يَكُونُ، وَلاَ تَسْبِقُ إِلَيْهِ الظُّنُونُ، وَالظُّلْمُ الْبَيِّنُ، وَالْخَطْبُ الَّذِى لَيْسَ بِهَيِّنٍ، تَكْلِيفُ الْقُطْبِ النَّابِتِ، مُدَانَاةَ الْقُطْبِ الثَّابِتِ، وَإِلْزَامُ نَسْرِ الْحَافِرِ، مَرَامَ النَّسْرِ الطَّائِرِ[٣]، وَإِذَا غَلاَ الْمِرْجَلُ،

---

(١) الصيت بعد الذكر ومسيره فى الأرض وأصغراه قلبه ولسانه. والجمد الشتاء والومد الحر. والمعنى أنه وإن ارتحل الوزير عن المعرة إلى غيرها فإن اسمه وذكره مقيم بها وذلك كشهرى ربيع فإن العرب سمتهما كذلك لوقوعهما إذ ذاك فى أول الربيع وهو حلول الشمس برج الحمل ثم انتقل هذا الزمن إلى غيرهما من الشهور وبقيت التسمية لهما مع انتقال الصفة عنهما وكذلك الجماديان.

(٢) ممتارة من الميرة والكابية النار المغطاة بالرماد. والهمود الانطفاء وعبدة الأبداد أى الأصنام وقوله إن أصل الطيب هذا من المزاعم المشهورة قال ابن الأثير فى تاريخه ما نصه وقيل إن آدم عليه السلام حج من الهند أربعين حجة ماشيًا ولما أنزل إلى الهند كان على رأسه إكليل من شجر الجنة فلما وصل إلى الأرض يبس فتساقط ورقه فنبتت منه أنواع الطيب بالهند والمعنى أنه لو كان للأرضين والبلدان قابلية التخلق بالأخلاق الفاضلة لأصبحت ساحة المعرة موطن الأدب بحلوله فيها كما أصبحت الهند موطن الطيب بحلول آدم عليه السلام فيها ولأصبح أهل المعرة أهل فصاحة وبلاغة ولكن أبت المعرة ولها العذر فإنه ليس للمدائن ونحوها من الجمادات التخلق بالأخلاق الفاضلة وإنما كان الأولى بالأنيس الذى فيها وهم سكانها أن يتخلقوا بأخلاق الوزير وصفاته فيصبحوا جميعهم فصحاء أدباء.

(٣) المرئى المفعول من رأيت الشىء فهو مرئى. وابن داية الغراب والجداية الغزالة. والقار الأكام. والقرواح الناقة الطويلة القوائم. والطراف قبة من الأدم. والنسع حزام الناقة. والنجاد نجاد السيف. والشسع سير النعل والقطب النابت شجرة صغيرة. والقطب الثابت النجم المعروف. ونسر الحافر ظفر الجواد. والنسر الطائر نجم من منازل القمر. والمعنى يقول لولا تنبه أهل المعرة وأشبهوا الوزير فى أدبه وفضله ثم قال وكيف يكون ذلك وما هم الغراب بأن يصيد الغزالة فكيف يلتقط الأكام =

مِنْ عَدْوِ الأَرْجَلِ، وَخَلاَ الْفَقِيرُ بِالْوَقِيرِ، فَإِنَّمَا ذَاكَ اتِّفَاقٌ، لاَ إِحْقَاقٌ، وَغَايَةٌ لَيْسَ وَرَاءَهَا نِهَايَةٌ، وَقَدْ ضَمَّ الْمَسَانَّ وَمِهَارَهُ مَيْدَانُ الْقِيَاسِ، وَشَمَلَ الْخَشَاشَ وَجَوَارِحَهُ جَوُّ الْمِرَاسِ، فَسُبِقَ الْغَذَوِيُّ، وَاقْتُنِصَ الْقُمْرِيُّ، وَإِنْ قِيلَ فُلاَنٌ أَدِيبٌ، وَفُلاَنٌ أَرِيبٌ، فَإِنَّ وِفَاقَ الأَسْمَاءِ، لاَ يَمْنَعُ الْفِرَاقَ عِنْدَ الرِّمَاءِ، الْعَرَادَةَ، سَمِيَّةُ الْجَرَادَةِ، وَالذُّبَابُ، سَمِيُّ طَرَفِ الْقِرْضَابِ، وَقَدْ تُدْعَى الثُّمَامَةُ جَلِيلَةً، وَبَعْضُ الْهَامَةِ قَبِيلَةً[1]، وَلَيْسَ كُلُّ مُثَوِّبٍ مُبَشِّرًا، وَلاَ كُلُّ مُتَثَائِبٍ مُؤَشِّرًا، أَعْرَضَ شَأْوٌ لاَ

= ويرفعها بمنقاره يريد أن أهل المعرة ليس لهم من الأدب حظ يسير فكيف يكون مبلغهم منه مبلغ الوزير.

(١) المرجل القدر. والأرجل الفرس الذى فى إحدى رجليه بياض وهم يتشاءمون منه يقول إن لحق هذا الفرس المشئوم الصيد فجيء به وطبخ على المرجل والوقير القطيع من الغنم يكون فيه كلبه وحماره قال أبو النجم:

تنبحه الحيات فى كسورها ... نبح كلاب الحى فى وقيرها

يريد إن وجد عندنا خلة من خلال الأدب فليس ذلك من كسبنا وإنما وجد عندنا اتفاقًا كما يتفق للراعى الفقير الذى لا يملك شيئًا أن يكون بين يديه قطيع من الغنم يتولاه فمن رآه كذلك فلا يحسبن أن ذلك له وإنما هو شيء وجد بين يديه اتفاقًا أو أنه يريد أن يقول إذا وجد عندنا شيء من الأدب فهو نزر حقير كوقير الراعى الفقير والمسان جمع مسن من الخيل. والمهار جمع مهر ويريد بميدان القياس ميدان السباق والخشاش من الطير ما لا يصيد منها والغذوى يريد الصغير من الخيل. والرماء الزيادة. والعرادة اسم فرس كانت فى الجاهلية لهبيرة بن عبد مناف أحد بنى عرين ابن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة وهو الذى يلقب بالكلحبة والعرادة اسم للجرادة وهم يشبهون الفرس بها كثيرًا ويروى:

وأدرك إبقاء العرادة ظلعها ... وقد تركتنى من حزيمة أصبعا

وقال الكلحبة فى فرسه:

تسائلنى بنو جشم بن بكر ... إغراء العرادة أم بهيم

كميت غير محلفة ولكن ... كلون الصرف عل به الأديم

والذباب معروف. طرف القرضاب وهو السيف يسمى ذبابًا أيضًا والجليلة الثمامة ويقال للثمام الجليل. والقبيلة إحدى قبائل الرأس وهو القطع المشعوب بعضها إلى بعض والمعنى إن وجدنا شيئًا تافهًا من الفصاحة فجمعنا بذلك والوزير ميدان الأدب فليس ذلك بشيء فقد يجمع الميدان الواحد بين المسن من الخيل وبين المهار ويجمع فضاء الجو بين جوارح الطير وبين خشاشه فتسبق المهار ويصطاد الخشاش فلا يشرفها ويعليها كونها جمعت مع ما هو أعظم منها فى خطة لأنها لم تكن فيها إلا مغلوبة مقهورة. وكذلك إن شاركناه فى لفظ الأديب فليس لنا به فخر فقد يطلق اللفظ =

يُتَعَلَّقُ بِنَصَبِه، وَعَنَّ أَمَدٌ لاَ يُتْعَبُ فى طَلَبِه، وَإِنَّمَا يُحْكَمُ بِثَمَرِ الجَبَّارِ، لِمَنْ أَصْلَحَهُ فى وَقْتِ الإِبَارِ، وَيَصِيدُ ظَلِيمَ الْمَقَّاءِ، مَنْ رَهِدَ فى ظَلِيمِ السَّقَاءِ، نَامَ وَاللهِ اللاَّغِبُ، وَأَدْلَجَ الرَّاغِبُ.

تَسْأَلُنِى أُمُّ وُهَيْبٍ جَمَلاَ يَمْشِى رُوَيْدًا وَيَكُونُ الأَوَّلاَ

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ كَنَاظِرٍ مَعَ الصُّبْحِ فى أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ

وَلَيْسَ حُسْنُ الظَّاهِرِ لِلْمُتَظَاهِرِ، وَلا الْبَهَارُ بِالْبَاهِرِ، وَمِنَ الزُّورِ ادِّعَاءُ الْمَشَاءِ لِلنَّزُورِ، وَإِنْ جُنَّتِ الرِّيَاضُ، فى الأَنْوَاضِ، واعْتَمَّ الْعَقِيقُ، بِالشَّقِيقِ، فَإِنَّ الأَبَارِقَ، لَمْ تُبْسَطْ بِالنَّمَارِقِ، وَالْقِرَى، لَمْ يُفْرَشْ بِالعَبْقَرِى[1]، وَنَحْنُ عَلَى

= الواحد على مسميين متباينين فى الرفعة والانخفاض أحدهما فى الثريا والآخر فى الثرى كالذباب الذى يطلق على حد السيف ويطلق أيضًا على الطير الضعيف الحقير المعروف وكذلك فرس الكلحبة والجرادة يشتركان فى اسم العرادة والفرق بينهما عظيم.

(١) المثوب يقال ثوب الرجل أى أشار بثوبه، وأكثر ما يكون ذلك للتبشير بفتح ونحوه وقد يثوب الرجل لغير ذلك فيكون لطلب الإغاثة ونحوها كما قال:

وخير نحن عند الناس منهم إذا الداعى المثوب قال يالا

أى قال يا لفلان. وللمؤشر الذى فى أسنانه أشر وهو تحزيز فى أطرافها وهو مستحسن عند العرب. وقوله وليس كل مثوب مبشرًا يقول ليس كل من يدعى الأدب يتحلى بشارته يكون أديبًا. والجبار من النخل ما فات اليد قال القائل:

سوامق جبار أثيث فروعها وعالين قنوانا من البسر أحمرا

والابار تلقيح النخل وإصلاحه. والمقاء الأرض الواسعة فظليمها ذكر النعام وظليم السقاء لبن يشرب قبل أن يروب. قال الشاعر:

وقائلة ظلمت لكم سقائى وهل يخفى على العكد الظليم

واللاعب التعب. والمعنى أن للوزير فى الأدب مرتبة لا يبلغ إليها وكيف يبلغ إليها أحد ولم يعمل فى الحصول عليها ما عمل الوزير ولا سار فى إدراكها مسراه بل تخلف وتوانى وهل يحظى بثمر النخل إلا من لقحه وأصلحه دون غيره وهل يصيد الظباء إلا من طلبها ولم يقعده عنها طلب الراحة وحب الكسل فما مثل من يريد أن يكون فى مرتبة الوزير على تخلفه وعجزه فى الأدب وتوانيه فى الطلب والدأب إلا كمثل أم وهيب. ومثل من أراد ذلك أيضًا كمثل ما قال الشاعر:

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب

أى فاته الغرض وبعد عليه متناوله بعد النجوم. وقوله ليس حسن الظاهر للمتظاهر يريد ليس الحسن للمتظاهر بالحسن وإنما هو لمن عنده الحسن حقيقة وطبعًا أى ليس كل من يدعى الأدب =

شَحَطِ الْمَعَانِ، وَاعْتِرَاضِ السُّهُوبِ دُونَنَا وَالرِّعَانِ، لاَ نَعْدَمُ مِنْ قِبَلِهِ تَثْقِيفَ الْمَائِلِ، وَالإِرْشَادَ إِلَى الْمَنَارِ الْمَائِلِ، بِكِتَابٍ حِكْمَةٍ يُوفِدُهُ، وَعَهْدٍ بَصِيرَةٍ يَعْهَدُهُ، وَالْمُشْتَرِي وَالزُّهَرَةُ وَإِنْ نَأَيَا، يُبَلِّغَانِ الْمَحَابَّ مَنْ تَوَلَّيَا، فِي زَعْمِ الْمُنَجِّمِينَ، وَبَعْضِ الْفَلاسِفَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ هذِهِ الْمَقَالَةِ، وَنَسْتَكْفِيهِ الإِيغَالَ فِي طُرُقِ الْجَهَالَةِ، وَلَكِنَّ الْمَثَلَ مَضْرُوبٌ، وَالْخَلْقَ مُدَبَّرٌ مَرْبُوبٌ[1]، وَإِنْ ضَرَبَ أَرْوَاقَ التَّيَّةِ بِمِصْرَ، وَاسْتَخَفَّ مِنَ الأَشْغَالِ السَّنِيَّةِ كُلَّ إِصْرٍ، فَمَزَالِفُنَا بِإِذْنِ اللهِ مِمَّا يَرْعَاهُ، وَمَزَارِعُنَا، أَحَدُ مَا يَكْلَؤُهُ وَيَتَوَلاَّهُ، فَالسَّيَّارُ الْفَرْدُ عِنْدَهُمْ يَشْتَمِلُ بِوِلاَيَتِهِ عَلَى الأَقْطَارِ الْمُتَنَائِيَةِ، وَيَنْتَظِمُ بِهَا أَقَالِيمَ ضِدَّ الْمُتَسَاوِيَةِ[2]، وَكُلُّ خَالِصِ السَّامِ، وَقَدِيمِ سُمَى الْحُسَامِ، وَأَخَى حُشَاشَةٍ، مِنَ اللُّبِّ يَسْتَنْجِدُهَا، وَفَرَاشَةٍ مِنَ التَّمْيِيزِ يَسْتَرْفِدُهَا، مُذْ رَأَى رِيَّقَ سَامِهِ، وَاجْتَلَى بِالتَّدَبُّرِ رَوْنَقَ حُسَامِهِ، كَالسَّرَطَانِ فِي انْقِطَاعِ الصَّوْتِ النَّابِسِ، وَرُحَلَ فِي الْمِزَاجِ الْقَارِسِ، فَعِيُّهُمْ أَطْوَلُ مِنْ رِدَاءِ الْعَرُوسِ، وَوَعِيُّهُمْ أَبْكَأُ مِنْ دَرِّ الْخَرُوسِ، فَلَيْتَهُمْ كَذَوَاتِ الأَصْوَاتِ الْمُتَنَصِّفَةِ،

= أديبًا. وقوله ومن الزور ادعاء المشاء للنزور أى من الباطل أن يوصف الجاهل بالعلم. والمشاء كثرة الولد والنزور المرأة القليلة الأولاد ويقال جن النبت والروض إذا طال وقيل إذا أزهر. والأنواض جمع نوض وهو المسيل من الغلظ إلى السهل. والعقيق الوادى والأبارق جمع أبرق وهو غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين وتبسط تفرش والنمارق الوسائد. والقرى مسيل الماء. والعبقرى البسط. والمعنى إنه وإن وجد عندهم شيء من الأدب فهم ليسوا موضعًا لأن يوجد فيهم نفيسه وغريبه.

(١) المعان المنزل. والرعان رءوس الجبال. والمشترى هو السعد الأكبر. والزهرة السعد الأصغر. ويقول المنجمون إنه إذا حصل بينهما اتصال كانا سببًا فى التحابب. والمعنى يقول وإن بعد الوزير عنا فلا يزال ينفعنا بعلمه كالمشترى والزهرة اللذان يسببان فى الناس التحابب وإن بعدا عن الناس ثم استعاذ من هذه المقالة التى أتى بها للتمثيل وهى أن الزهرة والمشترى يسببان التحابب بين الـ- لأن ذلك من أضاليل الأولين والمنجمين الأقدمين الذين كانوا يجعلون للكواكب تأثيرًا على هذا العالم.

(١) ضرب أرواق التية بمصر أى حل مصر ونزلها. والإصر الثقل والمزالف هى المنازل التى تقرب من الريف. والسيار الفرد أحد الكواكب السبعة والمعنى يقول كما أن السيار الفرد عند المنجـ- يكون تأثيره على الأقاليم جميعها قريبها وبعيدها كذلك السيد يرعى أهل المعرة ويحوطهم وهـ -

وَالنَّاطِقِينَ بِأَسَلٍ مُنْحَرِفَةٍ، فَإِنَّ الْعُجْمَةَ، لأَسْهَلُ مِنَ الْبُكْمَةِ، وَالْحُبْسَةَ أَقَلُّ ضَرَرًا مِنَ الْخُرْسَةِ، وَتَمَنِّى الْفَائِتِ، كَمُحَاوَلَةِ إِحْيَاءِ الْمَائِتِ، وَمَنْ يَجْعَلُ الرَّبْوَةَ رُوبَةً، وَالسَّبْتَ عَرُوبَةً، وَضَائِعٌ أَدَاءُ الْفُرُوضِ قَبْلَ دُخُولِ الأَوْقَاتِ وَالإِحْرَامُ بَعْدَ مُجَاوَزَةِ الْمِيقَاتِ[1]، وَإِنْ كَانَ مَا اخْتُلِسَ مِنْهُمْ لاَ قِيمَةَ لَهُ فِى النَّقِيمَةِ، وَلاَ إِشَارَةَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الشَّارَةِ، فَارْتِيَاحُ اللاَّقِطَةِ، بِسَاقِطَةِ النَّقْدِ، كَارْتِيَاحِ الْمَاشِطَةِ، بِوَاسِطَةِ الْعِقْدِ، وَلاَ يُزَيِّنُ لأُمِّ السَّمِجَةِ مَقَتَهَا حُسْنُ الْبَهْجَةِ، وَلَكِنْ تَحْنُو عَلَيْهَا طُولَ الْحَيَاةِ، وَتَحْزَنُ لِفَقْدِهَا عِنْدَ الْمَمَاتِ[2]، وَجَوْرٌ نَحْرُ الأَفِيلِ، إِذَا لَمْ يَسْتَقِلَّ بِعِبءِ

(١) السام الذهب. والسمى الصيت والشهرة والخشاشة البقية. والفراشة أصلها الماء القليل واستعيرت فى هذا الموضع. وريق كل شىء أفضله. والسرطان حيوان من خلق الماء لا صوت له. وابكأ أى أقل لينًا. والدر اللين. والخروس هى البكر إذا وضعت البطن الأول والبكر إذا وضعت كانت أقل الناس لينًا. وذوات الأصوات المتصفة يريد العجماوات. والناطقون بأسل منحرفة العجم. والأسل الألسن والربوة ما ارتفع من الأرض. والروبة ما انخفض منها وعروبة يوم الجمعة والمعنى يقول كل أديب عندنا كان معروفا بالفطنة طائر الصيت فى الأدب لما رأى أدب الوزير بهره فطاش لبه وحبس كلامه وجمد لسانه وجسمه. ثم قال وإن هذا الحالة التى أصابت أدباءنا أقبح من حالة العجماوات والأعاجم فإن العجمة التى فى الحيوان خير من البكمة التى تعترى الإنسان. وقوله وتمنى الفائت يقول إنه لما جاء كتاب الوزير حبسوا عن الكلام وحصروا عن الإجابة عنه فمحاولتهم ما فاتهم من الكلام وغاب عنهم من البيان كمحاولة إحياء المائت وكمحاولة من يجعل المرتفع منخفضًا والمنخفض مرتفعًا والسبت جمعة وهكذا. وقوله وضائع أداء الفروض قبل دخول الأوقات يقول إنه لما جاءهم كتاب الوزير عجزوا عن الإجابة عنه وحبسوا فتظاهرهم بالأدب وانطلاق ألسنتهم بالكلام قبل هذا الوقت الذى كان ينبغى إظهار الأدب فيه والاقتدار على الفصاحة وتظاهرهم بعد ذلك أيضًا بالأدب حين يمضى هذا الوقت وتفوت تلك الفرصة باطل وعبث وعمل ضائع لضياع أداء الفروض قبل دخول الأوقات والإحرام بعد مجاوزة الميقات.

(٢) النقيمة من قولهم وقع ذلك فى نقيمتى أى فى نفسى وخلدى وكان أصل ذلك من قولهم نقمت الشىء إذا أنكرته وغضبت منه سمى الموضع الذى يقع فيه ذلك نقيمة بالمجاورة. وأهل الشارة هم الأدباء الأكياس. واللاقطة الآخذة الشىء من الأرض وفى المثل لكل ساقطة لاقطة. والمعنى أنه وإن يكن ما غاب من كلامهم وشرد عنهم من ألبابهم لا قيمة له فى الحقيقة إلا أنهم يرتاحون إليه ويعتدونه شيئًا ولا عجب فى ذلك فإن فرح اللاقطة الفقيرة بما سقط على الأرض من النقد المنثور على رأس العروس كفرح الماشطة بواسطة العقد وكذلك أم الفتاة السمجة لا تحملها محبتها للجمال ورؤيتها الحسن فى الوجوه الحسان أن تقتل بنتها بل تحبها على سماجتها وتشفق عليها وتصون مهجتها.

الْفِيلِ، وَهَدْمُ سَخِيفَاتِ الدُّورِ، إِذَا فَرَعَتْهَا مُنِيفَاتُ الْقُصُورِ، وَكَسْرُ الْمِرْمَاةِ، لِقِصَرِهَا عَنِ الْقَنَاةِ، وَدَفْنُ النَّابِ، إِذَا لَمْ تَلْحَقْ بِالشَّوَابِّ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَوَجَبَ تَرْكُ النَّغَمِ، إِلاَّ مَا كَانَ كَلا وَنَعَمْ، يُخْبَرُ بِهِ عَنِ الإِرَادَةِ، وَيُمْنَعُ قَلِيلُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ. وَلَحَرُمَ إِجْلاَلاً لِمَا قَالَ سَجْعُ الْكَلِمَتَيْنِ، وَتَقْفِيَةُ الْبَيْتَيْنِ، وَقَدْ كَانَتِ الْمُتَحَمِّسَةُ فِى جَاهِلِيَّتِهَا، وَسَدَنَةُ الأَوْثَانِ عَلَى أَوَّلِيَّتِهَا، لاَ تَتَّخِذُ بَيْتًا مُرَبَّعًا، إِجْلاَلاً لِلْكَعْبَةِ وَتَوَرُّعًا[1]، وَهَلْ طَالِبُ ذَلِكَ سِوَاهُ إِلاَّ كَمُفْنِى الشَّبِيبَةِ فِى نَسْجِ السَّبِيبَةِ، وَمُضِيعِ الشَّرْخِ، فِى الْتِمَاسِ الْبَرَمِ وَالْمَرْخِ، وَالسَّحَمُ، لاَ يَقْطَعُ الْوَحَمَ، وَالنَّشَمَ لاَ يُحْسَبُ مِنَ الرَّشَمِ، وَكُلُّهُمْ غَيْرُهُ يُنْفِقُ مِنْ رَأْسِ مَالِ نَزْرٍ، وَلاَ يُحْكَمُ عَلَى مَدِّهِ بِالْجَزْرِ، لَكِنْ يَنْفَدُ الثَّغْبُ بِالنُّغَبِ، وَيَفْنَى الشَّمَعُ بِخَفِيَّاتِ اللَّمَعِ[2]، وَهُمْ فِى

(١) الأفيل الصغير من الإبل. والمرماة سهم صغير. والناب الناقة المسنة والشواب النوق الفتية والنغم يريد الكلام والمتحمسة قريش ومن ينتسب إليهم كبنى عامر بن صعصعة وغيرهم والمعنى يقول من الجور أن يذم الناس أهل المعرة لأنهم لم يبلغوا مبلغ الوزير فى العلم والأدب كما أنه من الجور أن يقتل الجمل الصغير إذا عجز عن حمل ما يحمله الفيل وأن يكسر السهم لأنه أقصر من القناة ثم قال ولولا أن الأمر كذلك وأن المرء لا يكلف بما هو فوق طاقته لوجب إجلالاً لقوله ترك الكلام بالكلية إلا ما كان ضروريًا لقضاء الحاجات ككلمتى لا ونعم وضرب لذلك مثلاً بالعرب فى زمن الجاهلية إذ كانت لا تتخذ مسكنًا مربعًا تعظيمًا للكعبة لأنها مربعة.

(٢) السبيبة هى الشقة من الثياب. والشرخ عنفوان الشباب. والبرم ثمر العضاة. والمرخ شجر كثير النار. والمعنى أن من يطلب الأدب غير الوزير لا يحصل منه إلا على شىء تافه ويكون مثله كمثل من أفنى عمره فى التماس البرم والمرخ ومن أفنى زمن الشباب فى نسج شقة من الثياب ومن فعل ذلك فقد حصل بعد الكد والكدح على شىء تافه. والنشم شجر تعمل منه القسى والرشم أول ما يظهر من النبت. والسحم ضرب من النبت. والوحم الشهوة وأكثر ما يستعمل ذلك فى المرأة الحامل إذا اشتهت المأكولات وقد ينقل هذا اللفظ إلى الرجال قال الراجز:

* أرمان سلمى عام سلمى وحمى *

والثغب غدير فى غلظ من الأرض والنغب جمع نغبة وهى الجرعة والمعنى قوله السحم لا يقطع الوحم يريد أن من يطلب أن يبلغ أدب الوزير لا يحصل منه على شىء يقمع شهوته أو يرضيه. وقوله والنشم لا يحسب من الرشم يريد أن نسبة الوزير إلى غيره كنسبة كبار الشجر إلى صغار النبت وقوله ولا يحكم على مده بالجزر يريد أن الوزير بحر لا جَزْرَ له عظيم لا تنفد مادته وإن غيره كجدول تفنيه الجرع أو شمع يفنيه اللمع.

هَذَا الصُّقْعِ، كَأَسْنَانِ الْمَسَارِحِ، وَنَوَاجِذِ الْقُمْرِ الْقَوَارِحِ، تَنَكَّبُهُمُ الْفَوَائِدُ، تَنَكُّبَ السَّهْمِ الْعَائِرِ، وَالرَّكْبِ الْجَائِرِ.

بِنَاحِيَةٍ أَمَّا الْعَدُوُّ فَنَازِلٌ مُطِيفٌ بِهَا فِي مِثْلِ دَائِرَةِ الْمُهْرِ

يَحُولُ فِيهَا الْجَرِيضُ، دُونَ الْقَرِيضِ، وَالْحَذَارُ، دُونَ أَدَاءِ الاعْتِذَارِ، فَقَدْ أَدْمَى الْخُفَّ وَطْءُ الْقُفِّ، وَذَهَبَ الْخَارِبُ بِذِي الْغَارِبِ، وَإِنَّمَا هُوَ رِفْقٌ ثُمَّ اقْتِسَارٌ، وَلَيْسَ بَعْدَ السَّلَبِ إِلاَّ الإِسَارُ، فَهُمْ يَتَوَقَّوْنَ كَفَّةَ الْحَابِلِ، وَيَتَوَقَّعُونَ رَشْقَ النَّابِلِ، عَلَى أَنَّ الْقَارِبَ أَخُو الشَّارِبِ، وَالْهُبَعَ طَرِيدُ الرُّبَعِ، مَا أَقْرَبَ طَسْمًا مِنْ جَدِيسَ، وَأَدْنَى الْبَازِلَ مِنَ السَّدِيسِ[1]، لاَ يَزَالُونَ يُمَارِسُونَ جَابَةً، تَنْفِي النَّجَابَةَ نَفْيَ الدَّبَرِ لِلْوَبَرِ، وَالسَّبُعِ لابْنِ الضَّبُعِ، وَيَبِينُ الزَّلَلُ فِيهِمْ مِنْ خَوْفِ الثَّلَلِ، كَمَا بَانَ الْقَلَحُ مِنْ وَرَاءِ الْفَلَحِ، فَقَلِيلُ الْعِلْمِ مِنْهُمْ يُسْتَطْرَفُ، وَيُسْتَغْرَبُ وَلاَ يُكَادُ يُعْرَفُ، كَالشُّنُوفِ عَلَى الأُنُوفِ، وَالْحِقَابِ فِي وَسَطِ الْعُقَابِ، وَالْوَدَعِ فِي عُنُقِ الصَّدَعِ، وَالْفُورِ بَيْنَ أَهْلِ الْكُفُورِ، لأَنَّ سَالِمَهُمْ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ، وَإِنْ لَمْ

(١) الصقع الناحية. والمسارح الأمشاط ويقال للقوم المستوين فى الذم هم كأسنان المشط وهم كأسنان الحمار. والقمر القوارح هى الحمير والجريض الريق الذى يغص به. والقف الغلظ من الأرض والخارب الذى يسرق الإبل والغارب ما قدام السنام. والقارب السائر الذى لم يبق بينه وبين الماء إلا ليلة. والربع الفصيل الذى يولد فى أول النتاج. والهبع الفصيل الذى يولد فى آخره والاقتسار الإكراه وطسم وجديس قبيلتان من العرب العاربة والبازل من الإبل الذى ظهر نابه والسديس أصغر منه بسنة والمعنى يقول إن أهل المعرة فى بلد قد أحاط به العدو من كل جانب فلا تصل إليهم فائدة علم ولا نكتة أدب بل تحيد عنهم كما يحيد الركب الجائر عن الطريق فهم لذلك فى حالة قد حال فيها الجريض دون القريض يريد أن أهل المعرة لاشتغالهم بقتال الروم الذين يهاجمونهم فى كل يوم منصرفون عن العلم والأدب. وقوله فقد أدمى الخف وطء القف يريد أنهم نهبت آبالهم فهم يمشون على أقدامهم حتى نقبت. وقوله ذهب الخارب يريد أن العدو قد سلب أمتعتهم وإبلهم وليس بعد هذا السلب إلا الإسار وأن يذهبوا فريسة له فهم يتوقعون فى كل آن أن يظفر بهم وإن لم يقع لهم الهلاك بعد فليسوا منه ببعيد ثم ضرب لذلك أمثالاً فقال إن القارب الذى بينه وبين الماء ليلة كأنه الشارب من ذلك الماء لقربه منه. والهبع طريد الربع أى بعده قريب منه. وكذلك طسم وجديس متقاربتان. والبازل والسديس مثلهما وهذه كلها أمثال للأشياء المتقاربة يريد بها أن الهلاك قريب من أهل المعرة وإن لم يصبهم بعد فكأن قد.

يَكُنْ مَا خَافَ فَكَأَنْ قَدْ[١]، وَلَوْ رَحَلُوا قَبْلَ أَنْ يُوحَلُوا، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ فِى الْمَسِيرِ قَبْلَ أَنْ يُوكَلُوا، لَنَفَعَ الْفِرَارُ الْفُرَارَ، وَاسْتَرَاحَ الْفُقَارُ إِلَى وَضْعِ الأَوْقَارِ، وَكَمَ مُصَابَرَةُ الذَّرَعِ لاَبِسَ الدَّرَعِ، وَالْبِرِّ الْهِرَّ، وَإِنْ كَانَ دُونَ كَسْبِ الْعَتَادِ، مُمَارَسَةُ خَرْطِ الْقَتَادِ، فَقَتَدُ الْمَالِعِ أَوْطَأُ مِنَ الْعَتَدِ ذِى الْقَالِعِ، وَالْمَرْقَدُ جَافٍ عَلَى ابْنِ أَنْقَدَ[٢]، وَإِنَّمَا يَشْدُوا بِالتَّرَنُّمِ شَادِيهِمْ، وَيَغْدُو فِى أُولَى الدَّعْوَى غَادِيهِمْ، بَيْنَ أُنَاسٍ يَقْظَةُ أَحَدِهِمْ أَقْصَرُ مِنْ لَحْظَتِهِ، وَسَنَتُهُ أَطْوَلُ مِنْ سَنَتِهِ، وَحِلْيَةُ الدَّوَاةِ لَدَيْهِ أَحْلَى الأَدَوَاتِ، وَحُسْنُ الْيَرَاعَةِ، أَحْسَنُ الْبَرَاعَةِ فَإِذَا جَاءَ بَعْضُهُمْ بِسَمَارٍ، وَمَارَى بِتَفْضِيلِهِ مُمَارٍ، فَقَدْ سَجَدَ السَّفْسَافُ لِإِسَافٍ، وَأُهْدِىَ الْهَنَمُ لِلصَّنَمِ، وَالسُّرْفَةُ تَتَّخِذُ لِمَنْفَعَتِهَا الْغُرْفَةَ، وَرُبَّمَا عَنَتِ الْقَرَارَةُ بِالْعَرَارَةِ،

(١) الجابة المعيشة الغليظة. والدبر جرح فى ظهر الإبل ولا ينبت فى موضعه شعر. والثلل الهلاك. والقلح صفرة الأسنان. والفلح شق فى الشفة السفلى. والشنوف جمع شنف وهو القرط. والحقاب شىء محلى تضعه المرأة على وسطها. والصدع الوعل. والفور الظباء. والكفور القرى. ويقال فلان هامة اليوم أو غد أى قرب موته. ويقال للشىء الذى قد قرب كونه كان قد أى كأنه قد كان والمعنى أن أهل المعرة فى عيشة جافية لا تؤهلهم للعلم والحكمة، بل تنفى النجابة عنهم كما ينفى الدبر الوبر. وقوله فقليل العلم منهم يستطرف يريد أنهم لكثرة المخاوف عندهم ووقوف الأعداء لهم بالمرصاد لم ينصرفوا إلى العلم وطلبه بل شغلوا بأنفسهم عن ذلك فإذا وجد بينهم من عنده شىء قليل من العلم صار كالطرفة لغرابته وضرب لذلك أمثالاً بالشنوف على الأنوف والحقاب فى وسط العقاب إلى غير ذلك أى كما أن هذه الأمور إذا حصلت كانت مستغربة فكذلك وجود ذى العلم بين أهل المعرة يستغرب.

(٢) الفرار ولد البقرة الوحشية، ووكم أى قمع والذرع ولد البقرة الوحشية أيضًا ولابس الذرع الذئب. والبر الفأرة الصغيرة. والقتد واحد أقتاد الرحل. والعتد الفرس الموثق الخلق والقالع دائرة تكون فى ملبد الفرس وهى مكروهة. وابن أنقد القنفذ والمعنى يقول لو أن أهل المعرة هجروها ورحلوا إلى غيرها من البلدان قبل أن يصيبهم البلاء لنفعهم ذلك كما ينفع الفرار ولد البقرة الوحشية إذ ينجو به من الصائد. وقوله وكم مصابرة الذرع لابس الدرع يقول إن مصابرة ولد البقرة على الجرى والهرب صد عنه الذئب إذ أبعده عنه فلم يبطش به وكذلك حال هوب الفأر عن أن يبطش به الهر. وقوله وإن كان دون كسب العتاد ممارسة خرط القتاد فقتد المالع أوطأ من العتد ذى القالع يقول إن كان لا بد للعيش من عمل وجهد فالقيام على النوق والتقلب بها فى المجالات والتعيش من ذلك كما تفعل العرب خير وأهون من القيام على ظهور الخيل لمقاتلة الروم فى الثغور. وقوله والمرقد جاف على ابن أنقد يقول إن المقام فى المعرة لذلك صعب جاف.

وَجُعِلَ الْحِمَارُ عَلَى وَجْهِ الحِمَارِ وَلَيْسَ الضَّرِيعُ، بِالمرْعَى الْمَرِيعِ، عَلَى أَنَّ التَّفْكِيرَ قبلَ التَّكْبِيرِ وَالخِطْبَةُ، ثُمَّ الْخُطْبَةُ، فَأَمَّا بِحَضْرَةِ سَيِّدِنَا بَقِيَ وَوُقِيَ حَتَّى يَلِبَ الهَجْرُ إِلَى ضِيَاءِ الْفَجْرِ، وَلُوبَ صَلاَةِ الْعَصْرِ مِنَ الْقَصْرِ، فَمَا يَسَعُهُمْ غَيْرُ الاسْتِمَاعِ، وَالتَّسْلِيمِ بَعْدَ الإِجْمَاعِ[1]، فَإِنْ ذُكِرَ لَهُ أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ أَنَّ حَافِرَ الْقَلِيبِ، أَنْبَطَ الْمحْضَ الحَلِيبَ، وَأَنَّ الرَّسَلَ حُلِبَ الْعَسَلَ، وَأَنَّ نَجْلاً مِنْ رَاحٍ ظَهَرَ فِي هَجْلٍ بَرَاحٍ، فَعَارِضَتُهُ أَعْلَمُ بِالْمُعَارَضَةِ وَأُرْبِيَّةُ أُرْبَتِهِ أَقْدَرُ عَلَى الْمُنَاقَضَةِ، حَسْبُ التُّرْبَةِ نُطْفَةٌ تَشْفِي الْكُرْبَةَ وَالنَّاقَةَ، عُلْبَةٌ عِنْدَ الإِفَاقَةِ، وَالْجُمْجُمَةَ النِّيَابَةُ عَنِ السَّحَابَةِ الْمُثْجِمَةِ[2]، وَذِكْرُهُ عَبْدَهُ بِمَا يُشْبِهُ مِنَنَهُ صَنِيعَةٌ يَضِيقُ عَنْهَا بَاعُ الشُّكْرِ،

---

(١) يقول إن أهل المعرة أناس قليلو البضاعة فى العلم حسب أحدهم منه أن تكون له دواة محلاة وقلم مزخرف. والسمار اللبن الممذوق بالماء والمراد هنا الشىء التافه. وإساف اسم صنم. والهنم التمر والسرفة دويبة تتخذ بيتًا من حطام العيدان. وعنت الأرض بالنبت إذا أخرجته. والقرارة الأرض المطمئنة والعرارة واحدة العرار. والضريع نبت ينبت على وجه الماء لا ينتفع به. والخطبة هى طلب الزواج. والخُطبة هى خطبة النكاح. ويلب يدنو. والهجر نصف النهار. والقصر آخر النهار والمعنى يقول إن اتفق لبعض أهل المعرة أن يأتى من الأدب بشىء تافه ووجد من أهل بلده من يفضله ويعظمه فلا عجب فقديمًا سجد الرجل السفيه للصنم وأهدى إليه التمر. وقوله والسرفة تتخذ لمنفعتها الغرفة يقول كما أن للسرفة غرفة على قدرها تلائمها كذلك لأديب المعرة أدب على قدره. وقوله وربما عنت القرارة بالعرارة يريد إن اتفق لأديب المعرة أن يأتى بشىء من الأدب فلا عجب فقد يتفق أن تنبت العرارة فى القرارة أى يظهر هذا النبت النفيس فى هذا المحل المنحط. وقوله وجعل الحمار على وجه الحمار مثل المعنى المتقدم وقوله وليس الضريع بالمرعى المريع أى إن هذا الأدب الذى يوجد عند ذلك الأديب هو كالضريع الذى لا ينتفع به فى رعى أو غيره وقوله على أن التفكير قبل التكبير والخطبة يقول كيف يدعون الأدب وهم بعدما حصلوا آلته وهل تكون خطبة النكاح إلا بعد الخطبة وهى طلب النكاح والاتفاق عليه. وقوله فأما بحضرة سيدنا يريد إذا حضر سيدنا فما يسعهم إلا التسليم بفضله والإجماع على ذلك. وقوله حتى يلب الهجر إلى ضياء الفجر هذه جملة دعائية يريد بها أن يبقى الممدوح إلى أن تدنو الهاجرة من الفجر دنو وقت العصر من آخر النهار وهو ما لا يكون أبدًا.

(٢) القليب البئر. وانبط بلغ الماء واستخرجه. والمحض الحليب أى اللبن الخالص. الرسل الإبل. وقوله نجلاً من راح أى نبعًا من خمر. والهجل مطمئن من الأرض سهل. والبراح المتسع. والأربة الفطنة. والعلبة إناء يحلب فيه. والإفاقة الراحة بين الحلبتين. والجمجمة بئر فى غلظ من الأرض. والسحابة المثجمة الدائمة المطر. والمعنى يقول مخاطبًا للوزير إن مدحنى عندك مادح ووصفنى بما =

وَأَبْعَثُ وَهِيَ مِنِّي عَلَى ذُكْرٍ، غَرَسَتِ السُّرُورَ فِي سَرِيرَتِي، وَعَلَّمَتِ النَّفَاسَةَ نَفْسِي، وَخَلَّدَتِ الْغِبْطَةَ فِي خَلَدِي، إِلَى أَنْ أُمْسِيَ خَبِيَّ الرَّامِسِ، وَنَجِيَّ هِنْدِ الأَحَامِسِ، هَضَبَ حِسِّي بَعْدَمَا نَضَبَ، وَبَغَشَ نَسِيسِي وَقَدْ نَسَّ فَانْتَعَشَ، وَعَرَتْنِي الأَرِيحِيَّةُ الْمُشْتَقَّةُ مِنَ الرِّيَاحِ الْعَرِيَّةِ، فَمَلأَتِ الصَّدْرَ، وَأَمَرَتْنِي بِمُجَاوَزَةِ الْقَدْرِ، لأَنَّ الْجَنُوبَ، تُهَيِّجُ نَقْعَ الْجَبُوبِ، وَالشَّمَالَ، تُحَرِّكُ سَاكِنَ الرِّمَالِ، حَتَّى عَاتَبْتُ الضَّمِيرَ، وَالْتَفَتُّ إِلَى السِّرِّ الْخَمِيرِ، فَقُلْتُ السِّمَةُ فِي الْقَسَمَةِ أَزْيَنُ مِنَ الأَشَرِ لِلْبَشَرِ، وَطَالَمَا عَصَفَ النَّسِيمُ فَقَصَفَ، وَلَنْ أَكُونَ كَالْغُبَارِ ثَارَ مِنَ الْمَلاطِسِ فَزَارَ الْمَعَاطِسَ، أَسُكْرَانُ أَنَا أَمْ هَكْرَانُ، إِنْ كُنْتُ انْتَشَيْتُ فَالثَّمَلُ يُقَوِّي الأَمَلَ، أَوْ أَغْفَيْتُ فَالْوَسَنُ يُرِي الْحُلْمَ الْحَسَنَ[1]، هَذَا مَعَ إِحَاطَةِ الْيَقِينِ أَنَّ الْغَذَمَةَ، لاَ

= ليس فى من العلم والفضل فلا تصدقه وضرب لذلك جملة أمثال وهى قوله إن ذكر له إن حافر القليب انبط المحض الحليب إلى آخر ما قال، يريد: كما أنك لا تصدق من يخبرك بأن حافر البئر استخرج منها لبنًا لا ماء وأن حالب النوق حلب منها عسلاً وأنه ظهر نبع خمر فى الأرض فكذلك لا تصدق من يصفنى لك بالعلم فإننى لست بمعونه وأهله. وقوله حسب التربة نطفة تشفى الكربة يريد أنه كثير من الأرض أن يخرج منها الماء فكيف يطلب منها فوق ذلك.

(١) إلى أن أمسى خبى الرامس أى إلى أن أقبر. والرامس الدافن. ويقال لقى فلان هند الأحامس إذا مات. والنجى الذى يناجى بالقول أى يراجع فيه على قرب مكان. وهضبت حسى من قولهم هضبت السحابة إذا أمطرت. وبغش من قولهم بغشه المطر إذا أصابه منه شىء ليس بكثير. ونسيسى بقية نفسى. والأريحية خفة تدرك الإنسان إذا فرح. والعرية الريح الباردة. والجبوب الأرض الغليظة. والخمير المستور. والسمة أثر الكى. والقسمة الوجه. والأشر البطر. والملاطس جمع ملطس وهى فأس تكسر بها الحجارة. والمعاطس الأنوف. والهكران الناعس. وانتشيت سكرت. والثمل السكر والمعنى يقول إن مدحك لى أيها الوزير نعمة منك يضيق عنها شكرى ويقصر عن نعتها كلامى فقد ملأت قلبى سرورًا وأودعت صدرى حبورًا وانهضت حسى وانعشت نفسى ودخلنى منها أريحية حملتنى على الإعجاب بأمرى وأمرتنى بمجاوزة قدرى. ويقول حيث إن الأريحية مشتقة من الرياح وأن الرياح من شأنها أن تهيج ما مرت عليه من رمل ونقع فلا جرم أن هيجتنى وحركت ساكن نفسى وأثارت العجب والفخر الكامن فى رأسى. وقوله حتى عاتبت الضمير. يريد أنه لما حصل له ذلك عاتب نفسه على هذا البطر. وقوله طالما عصف النسيم فقصف يريد أن الشىء إذا تجاوز حده ضر. وقوله لن أكون كالغبار ثار من الملاطس يريد لن أضع نفسى فى موضع لا أستحقه. وفى اللزوميات:

قد يرفع الله الوضيع بنكبة ... كالنقع زار معاطسًا بملاطس =

تُشَدُّ مِنْهَا الْوَذَمَةُ، وَأَنَّ الْبَرَقَ لاَ يَسْتَحِقُّ كُسْوَةَ السَّرَقِ، وَأَنَّ الْبَدِيعَ لاَ يُمْلأُ مِنْ رِسْلِ الصَّدِيعِ، تَزِيدُ الْمَرَارَةُ بِسُقْيَا الْمُرَارَةِ، وَرِيُّ الْمَقِرِ لاَ يَخْلَعُ عَلَيْهِ لَوْنَ الشَّقِرِ، وَمَنْ أَنَا حَتَّى يَصِفَنِى بِالنِّقَالِ، وَيَزِنَ بى الثِّقَالَ، الْبَرِيرُ يُسَوِّدُ فَمَ الْفَرِيرِ، وَأَنَّى بِالنُّؤُورِ لِلنَّوَارِ، وَصِوَارِ الطِّيبِ لِلصُّوَارِ. هَلْ أَدَبى فى أَدَبِهِ إِلاَّ كَالْقَطْرَةِ فى الْمَطْرَةِ، وَالنَّحْلَةِ عِنْدَ النَّخْلَةِ، وَإِنَّمَا صَاحِبُ الدِّرْهَمَيْنِ غَنِىٌّ عِنْدَ صَاحِبِ الدِّرْهَمِ، وَالأَفْطَسُ أَشَمُّ فى تَحَيُّلِ الأَكْشَمِ، فَأَمَّا شَدَّادُ بْنُ عَادٍ، وَعَاقِرُ الْجِيَادِ فَالْبَدِىُّ تَوَهُّمُهُمَا الثَّرَاءَ الْيَدِىَّ، عِنْدَ جَالِبِ الْعَضَدِ، وَبَائِعِ الْخَضَدِ[1]، فَضَاقَ

= فاذهب لشانك فى الأمور ولا تبت كالنكس يجنح من حـذار العاطس

وقوله أسكران أنا أم هكران، يريد أن الأريحية لما جعلته يرى نفسه بالمنزلة العليا والمرتبة السامية التى كانت فوق أمانيه وآماله قال لا بد أن أكون قد سكرت أو حلمت حتى رأيت نفسى بهذه الحالة التى هى فوق قدرى ومنزلتى وذلك أن السكران يرى نفسه أكبر الناس كما قال:

شربت الخمر حتى خلت أنى أبو قابوس أو عبد المدان

وقال آخر:

إذا ما نديمى علنى ثم علنى ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجر الذيل تيهًا كأننى عليك أمير المؤمنين أمير

والنائم ربما يرى نفسه قد صار ملكًا وسلطانًا واستتبع حاشية وأعوانًا.

(١) الغذمة واحدة الغذم وهو ضرب من النبت. والوذمة واحدة الوذم وهى سيور تشد فى عرى الدلو ثم تعقد فى عراقيها.. والبرق الحمل. والسرق شقق من الحرير. والبديع السقاء الجديد. والرسل اللبن. والصديع القطيع من الظباء. والمرارة واحدة المرار وهو ضرب من النبت مر. والمقر الصبر. والشقر شقائق النعمان والنقال ضرب من سير الخيل. والبرير ثمر الأراك وإن أكلته الظباء تسود أفواهها. والفرير الظبى الفتى. والنؤور دخان الشحم وكانت النساء تستعمله فى الوشوم وتسويد اللثات. والنوار الظبية النفور من الوحش. وصوار الطيب العطر. والصوار قطيع بقر الوحش. والأكشم المقطوع الأنف. وشداد بن عاد هو بانى إرم ذات العماد. وعاقر الجياد هو سليمان عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣١، ٣٣]. والبدى العجب. واليدى الواسع. والعضد ما يقطع من الشجر. والخضد ما يؤخذ من أطراف العيدان الرطبة والمعنى يقول قد أخذنى الإعجاب بنفسى مع علمى بأن الغذمة لا تشد من الوذمة يريد مع علمى بانى لا أصلح أبدًا لبلوغ درجة الفضل والعلم. وقوله تزيد المرارة بسقيا المرارة أى إن هذا النبت المر كلما سقى الماء العذب نما وطاب وحيث إن طبيعته المرارة فهى تزيد فيه كلما طاب ونما =

ذَرْعى فى جزَاء مَا تَطَوَّلَ به ضيقَ ذَرْعِ النَّمْلَة بِاتخاذ الشَّمْلَة، وَالحمْنَانَة بِثَقْب الْجُمَانَة، فَلَيْتَهُ أَدَامَ اللهُ عزَّهُ اطَّلَعَ مِنْ عَبْده عَلَى كَنِين الاعْتقَاد، وَجَنِين السَّوَاد، فَيعْلَمَ أَنَّ الرُّوعَ، وَجَوَانِحَ الضُّلُوعِ مُفْعَمَةٌ لَهُ بِالإعْظَامِ، مُتْرَعَةٌ بِمَحَبَّته إِتْرَاعَ الْجَامِ لاَ لأَنَّهُ جَعَلَ حَصَاتى كَثَبِير، وَخَلَطَ عثيرى بِالْعَبِيرِ، وَلاَ لأَنَّ سَيِّدَنَا الرَّئيسَ الأَجَلَّ وَالِدَهُ، أَدَامَ اللهُ سُلْطَانَهُ سَبَقَ مِنَ الإِفْضَال بِمَا رَبَقَ، وَقَدَّمَ منْهُ مَا كَانَ نَشْرُهُ السَّدَمَ وَلَكِنْ لِمَا أُوتِىَ أَقَالِيدَ الْحوَارِ، وَنَطَق بِفُرُود حَضَارِ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ فى صَاغِيَةِ الأَدَبِ، كَتُبَّعٍ فى طَاغِيَةِ الْعَرَبِ، لَهِجْتُ بِحُبِّهِ لَهَجَ السُّوقَة، بِحُبِّ الْمَلِيكِ الرُّوقَة، إِذَا أَخَذَ بِالفَضْلِ، وَحَكَمَ بِالقَضَاءِ الْفَصْلِ[1]، وَنَصَحْتُ لَهُ نُصْحَ الْهُدْهُدِ لسُلَيْمَانَ، وَشَيَّعْتُ مَا أَذْكُرُ مِنْ نُبْله بِالأَيْمَان، أَصِفُ وَكُلُّ وَصْفِىَ صَحِيحٌ، وَأَحْلِفُ وَحَلِفِى تَسْبِيحٌ، حَتَّى استجْهَلَنى الَّذِى لاَ يَعْلَمُ، وَتَكَلَّمَ فى

= ويريد بهذا أن طبعه غير قابل للفضل فكلما زاد طلبًا له زاد بلادة وخلوًا منه. وقوله ورى المقر لا يخلع عليه لون الشقر يقول إن سقى هذا النبت وتعهده لا يغير لونه حتى يصير كلون الشقيق ويريد به الغرض المتقدم ذكره. وقوله ومن أنا حتى يصفنى بالنقال يريد من أنا حتى يصفنى الوزير بالتقدم فى العلم والأدب ويشبهنى بكبار العلماء وفحولهم ويزنهم بى. وقوله البرير يسود فم الفرير يريد أن ظبى الفلا إنما يسود لثاته بأكل هذا النبت البرى لا بالنثور الذى تستعمله النساء فى تسويد اللثاة لاستحسان العرب ذلك فإن ذلك أرفع من قدره ولا تصل يده إليه يريد أن أدب المعرى أدب يسير على قدره يناسب حاله لا كأدب الوزير وفضلاء الناس فإن ذلك لا تصل يده إليه كما لا يصل الظبى إلى النثور ولا الصوار إلى العطر. وقوله وإنما صاحب الدرهمين يريد أنى أعد أديبًا بالنسبة لأهل المعرة لا بالنسبة للوزير وأمثاله. وقوله أما شداد بن عاد يقول أما هذان العظيمان فمن العجب توهمهما الثروة والغنى عند من يبيع الخضد ويجلب العضد.

(١) الشملة كساء صغير. والحمنانة الصغيرة من القراد. وجنين السواد ما يخفيه سواد القلب. وثبير جبل. والعثير الغبار. والعبير الزعفران وريق من قولهم وريقت البهم إذا جعلت فى أعناقها حبلاً ويريد أنه جعل الإحسان فى عنقه كالحبل أو كالطوق ومنه قول أبى الطيب ومن جعل الإحسان قيدًا تقيدًا. ويقال كان ذلك سدمى أى ديدنى يريد أن أباه قدم إليه من الإفضال ما كان نشره وإذاعته فى الناس عمل المعرى وشغله مدة حياته. والأقاليد المفاتيح. والحوار مصدر حاورت أى راجعت القول. وفرود حضار كواكب وحضار اسم كوكب يشبه بسهيل قال الشاعر:

أرى نار ليلى بالعقيق كأنهـا حضار إذا ما أعرضوا وفرودها

وصاغية الأدب أى أهل الأدب. والسوقة عامة الناس. والروقة الشاب الحسن.

تَضْلِيلِى منْ تَكَلَّمَ، لأَنِّى مَا اقْتَنَعْتُ بِتَفْضِيلِهِ عَلَى الأَحْدَاثِ، دُونَ سُكَّانِ الأَجْدَاثِ، وَلاَ غَلَّبْتُهُ عَلَى الْغَابِرِ، دُونَ الْكَابِرِ، وَلَكِنْ وَجَّبْتُ الشَّخِّيرَ، وَرَجَّبْتُ الطِّرْفَ الأَخِيرَ، وَلَيْسَ النَّصْرُ، بِقِدَمِ الْعَصرِ، وَلاَ التَّجْوِيدُ، بِذِهَابِ أَبَدِ الأَبِيدِ، الرَّوِىُّ بَعْدَ التَّوْجِيهِ، وَأَخْدَرُ أَقْدَمُ مِنَ الْوَجِيهِ، وَإِنْ كَانَتِ السِّيرُ بِغَيْرِ غِيَرٍ، وَالْخَبَرُ فَاقِدًا لِلْخَبَرِ فَالْحَبَّةُ بَعْدَ الْحِبَّةِ، وَالضِّيَاءُ تَالِى الْكُهْبَةِ[1]، وَمَا جَحَدَ أَحَدٌ ضُحَاهُ، وَلاَ وَحَى مَخْلُوقٌ مِثْلَ مَا وَحَاهُ، وَلَكِنْ لِلْمُهَجِ بِالْفَارِطِ لَهَجٌ، وَالإِحَادَةُ عَنِ الْعَادَةِ تَخْلِطُ الْمُورَ بِالتَّأْمُورِ، وَتُبَاشِرُ ظَلاَمَ اللُّوبِ، بِظَلاَمِ الْقُلُوبِ، وَقَدْ أَنْكَرَ مَنْ أَعْظَمَ الْعُزَّى واللاَّتَ، مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الآيَاتِ، فَلَمْ أَفْتَأْ وَاللهُ شَهِيدٌ أَصْبُغُ الأُفُقَ بِالشَّفَقِ، وَأَدْبُغُ الأَدِيمَ بِالسَّدِيمِ، حَتَّى أَصْبَحَ الْيَافِعُ النَّافِعُ، وَالْهِمُّ الْمُدْرَهِمُّ، وَمَنْ بَيْنَهُمَا مِنْ وَارِفٍ فِى السِّنِّ، وَكَهْلٍ مُقْسَئِنٍّ، أَحَدَ رَجُلَيْنِ،

---

(١) والغابر الباقى. ووجبت يريد حفرت وأسقطت. والشخير يريد به الحمار. ورجبت عظمت. والطرف الفرس. والتجويد تصيير الشىء جيدًا. وأبد الأبيد أى طول الزمان. والروى الحرف الذى تبنى عليه القصيدة كالميم والدال وغيرهما من الحروف. والتوجيه حركة ما قبل ذلك الحرف فى الشعر المقيد كقول النمر بن تولب:

سلام الإله وريحانه ورحمته وغيوث دره

فالراء الآخرة هى الروى وفتحة الراء هى التوجيه. وأخدر حمار أهلى توحش فنزا على الأتن الوحشية فنسب إليه حمير الوحش. والوجيه فرس من خيل العرب. يريد بهذا أن الفضل ليس بقدم الزمان وإنما هو بقيمة الإنسان وضرب على ذلك مثلاً بالوجيه الذى هو فرس جاء فى زمن بعد أخدر على أنه أفضل منه بقدر فضل الفرس على الحمار. والخبر مثل الوسخ ويريد به الكذب فى الإخبار. والحَبة يريد حبة القمح والحِبة بذور العشب مما لا يزرع وإنما ينبت بالطبع. وقال بعض نقلة الأخبار إن القمح لم يكن يعرف فى الدهر الأول. وقال بعضهم إن الله خلق الحيوان غير الناطق وخلق له النبات ليرعاه ثم خلق الناطقين فأنبت لهم الحبوب كالحنطة والشعير ونحوها وإلى هذه الروايات أشار المعرى بقوله وإن كانت السير بغير غِيَر والخبر فاقداً للخبر يريد إن صدق المؤرخون فيما قالوه فقد كان العشب النابت من نفسه متقدمًا فى الزمن على القمح الذى هو من أنفس الأنبتة وأنفعها فلم يضره تقدم غيره عليه فى الزمن أن يكون هو أشرف منه. وقوله الضياء تالى الكهبة الكهبة الظلمة ويشير بذلك إلى ما ينقله بعض أصحاب القياس من أن النور حدث بعد الظلمة.

إِمَّا عَالِمٌ، فَهُوَ مِنَ الْجَهْلِ سَالِمٌ، وَإِمَّا بَلِيد، اهْتَدَى بِالتَّقْلِيدِ[١]، وَهُوَ أَدَامَ اللهُ قُدْرَتَهُ الْفَرْعُ الَّذِي نَبَعَ مِنْ أَصْلٍ زَاكٍ، فَسَمَقَ إِلَى السِّمَاكِ، وَحَفِظَ التُّومَ، قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ بِالْمَكْتُومِ، وَلَمْ يَزَلْ ضَبُّ الآفِنِ لِعَبِّ الصَّافِنِ، وَإِهْوَاءُ الرَّادِسِ لِإِرْوَاءِ الْقَادِسِ، حَتَّى التَأَمَتِ اللاَّمَةُ مِنَ الزَّرَدِ، وَتَأَلَّفَتِ الْغَمَامَةُ مِنَ الْقَرَدِ[٢]، وَلَقَدْ

(١) ووحى أى كتب. والمور التراب والتأمور دم القلب. واللوب جمع لابة وهى الحرة أى الأرض التى تركبها حجارة سود. واللات طاغوت كان بالطائف لثقيف. والعزى صنم. والأفق جمع أفيق وهو الأديم ما دام فى الدباغ والسديم الضباب. واليافع الغلام المرتفع. والنافع صفة له. والهم الشيخ والمدرهم الساقط من الكبر. والزارف الزائد والمقسئن الذى قد اشتد وكبر يريد أن هؤلاء لأربعة وهم اليافع والهم والزارف فى السن والكهل أحد رجلين والمعنى يقول قد فضلت الوزير على المتقدمين ولى الحق فى ذلك فإنه لم يأت أحد منهم بمثل ما أتى به من الفضل والعلم. وإن رأى بعضهم غير ما رأيت فليس ذلك لأنه ينكر فضل الوزير الباهر ولكن تلك عادة الناس فى شغفهم بالقديم وتفضيله على الحديث كما فضل الجاهلية دين آبائهم القديم على دين النبى ﷺ. وقوله إلا حاده عن العادة يقول وحمل الناس على أن يحيدوا عما ألفوه واعتادوا عليه أمر صعب تتكدر له نفوسهم وتظلم منه قلوبهم بل يقاتلون دونه حتى يراق دمهم فيختلط بالتراب وقوله فلم أفتأ أصبغ الأفق بالشفق يريد لم أفتأ أجهد نفسى فى عمل شاق مستحيل الحصول إذ الأفق لا يصبغ بالشفق. وقوله من أهل الجهل سالم أى لا يرى ما يراه أهل الجهل والمعنى أنه ما زال يثنى على الوزير ويثبت فضله على المتقدمين والمتأخرين رغمًا عن المنكرين حتى أصبح الناس مجمعون على فضله فأولو العلم عرفوا فضله بالعلم وقلدهم الجاهلون فى ذلك فعرفوا فضله بالتقليد وهذا من قول البحترى:

وذوو الفضل مجمعون على ... فضلك من بين سيد ومسود
عرف العالمون فضلك ... بالعلم وقال الجهال بالتقليد

(٢) سمق علا والتوم كبار اللؤلؤ أى حفظ كلامًا مثل الدرر. والضب الحلب بكلتى اليدين. والآفن الحالب الحاذق الذى يستقصى اللبن فلا يدع منه شيئًا فى الضرع. والعب الشرب. والصافن الفرس يصفن وهو الذى يقلب سنبك حافره ويقوم على ثلاث وربما قالوا الصافن القائم قال الشاعر

ألف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

والإهواء الإلقاء. والرادس رامى الحجر فى حوض الماء ليعلو الماء والقادس حجر يقسم به الماء بين الإبل فى الحوض كتقاسم الناس بالحصاة. يريد لإرواء إبل القادس. واللامة الدرع والزرد الحلق والقرد جمع قردة وهى قطعة من السحاب صغيرة. والمعنى إن هذا الوزير حفظ منذ صغره ملح النظم والنثر الذى أجاد حوكه وصناعته الفصحاء من المتقدمين أو المتأخرين وقوله ولم يزل ضب الآفن لعب الصافن يريد أنهم نظموا هذا النظم فجاء هذا الوزير وحفظه فكأنما جعل له ونظم من أجله كما أن الصافن يشرب اللبن الذى يحلبه الآفن لأجله. ومثل هذا قوله وأهواء الرادس لإرواء =

هَمَمْتُ باسْتِرْفَادِ حَضْرَتِه الْبَهِيَّةِ مِنْ بَدَائِعِه مَا يَفْضُلُ الْمَالَ، وَيَكُونُ الْجَمَالَ، فَعَدَانِي عَنْ ذَلِكَ إِعْظَامِي لَهُ وَاسْتِحْقَارِي نَفْسِي، وَارْعَوَتْ بِي الْهَيْبَةُ إِلَى إِرْمَامِي وَكَفِّي، وَأَبَى اللهُ أَنْ يَكُونَ التَّفَضُّلُ إِلاَّ مِنْ قِبَلِه، فَوَعَدَ التَّشْرِيفَ بِمَا سَنَحَ مِنَ الْمَنْثُورِ وَالْمَنْظُومِ، فَلِلْقُلُوبِ إِلَى وَعْدِه هِيَامُ الظَّامِيَةِ إِلَى النُّطْفَةِ الطَّامِيَةِ، وَلاَ تَزَالُ تَقْتَضِينَاهُ اقْتِضَاءَ الْمُدْنَفِ الْعَافِيَةَ، وَالْبَيْتِ الْقَافِيَةَ، وَمَنْ لِلْعَفَرِ بِالذَّفَرِ، وَالْقَفْرِ بِإِلْمَامِ السَّفْرِ[1]، وَأَقْدَمْتُ عَلَى خِدْمَةِ حَضْرَتِه بِالْمُكَاتَبَةِ لأُنْهِيَ إِلَيْهَا مَا أَنَا عَلَيْه لاَ تَكَثُّرًا بِرَصْفِ الْمَنْطِقِ عِنْدَهُ، وَهَلْ أَبْلُغُ أَنْ أَدَّعِيَ فِي تَأْلِيفِ الْقَوْلِ عَبْدَهُ وَقَدْ تُقْبَلُ صَلاَةُ الأُمِّيِّ، وَيُسْمَعُ دُعَاءُ الأَعْجَمِيِّ، وَنَقْدُهُ أَدَامَ اللهُ تَأْبِيدَهُ يَكْبُرُ عَنْ تَصَفُّحِ أَمْرِي، وَتَجَاوُزُهُ يَسْتُرُ زَلَلِي وَعِثَرِي، لأَنَّ الْمُدْيَةَ، لاَ تَصِلُ إِلَى ضَبِّ الْكُدْيَةِ إِلاَّ بَعْدَ التَّبْرِيحِ بِذَوَاتِ التَّسْرِيحِ، وَالإِتْيَانِ عَلَى مَالِ الْفِتْيَانِ، وَاللهَ أَسْتَجِيرُ مِنْ كَلِمَةٍ كَطَوْقِ الْعَكْرِمَةِ، يُحْسَبُ لَهَا كَالزِّينَةِ، وَكَأَنَّهُ مِنْ خِدَادِ الْحَزِينَةِ، فَقَدْ حَلَّيْتُهَا بِعَبَقُرٍّ، وَخَلَّيْتُهَا تُرْعَدُ مِنَ الْقُرِّ مِنْ دُونِهَا يَظْهَرُ الضِّفْدِعُ تَحْتَ الشَّبْدِعِ، وَيُحْكَمُ بِالْجِلْسَامِ عَلَى الأَجْسَامِ، وَالْعِنَايَةُ بِجَارِمِ الْجِنَايَةِ، تَمْنَعُ الرَّوَاجِبَ مِنَ الْبَتِّ بِالْحُكْمِ الْوَاجِبِ[2]، وَأُتْبِعُ قَوْلِي لِمَا مَضَى، وَأُشَيِّعُهُ إِذَا انْقَضَى بِأَنْ أَقُولَ إِنْ

= القادس وقوله حتى التأمت اللامة من الزرد يقول إنه ما زال هذا الوزير يغذى بلبن العلم والمعرفة شيئًا فشيئًا وقطعة فقطعة حتى تم علمًا وحكمة كاللامة التى يتم شكلها من مجموع حلقها الصغار.

(١) أرعوت رجعت. والإرمام السكون. والعفر التراب والذفر الرائحة الطيبة. يقول إن الوزير وعدنا أن يرسل إلينا جملة من نظمه ونثره فقلوبنا هائمة بهذا الوعد وهى تطلبه منا طلب المريض العافية وطلب البيت القافية إذ لا يتم إلا بها. وقوله ومن للعفر بالذفر أى أنى للتراب أن يكون له ريح طيب وأنى لنا أن يكون عندنا نظم الوزير ونثره.

(٢) المدية السكينة. والكدية الأرض الغليظة. والتبريح من قولهم برح به إذا صنع به أمرًا شاقًا والتسريح من قولهم سرحت الغنم أو الإبل إذا أرسلتها فى الرعى. والمعنى. يقول إن الوزير يكبر عن انتقاد مثلى لأن له فى أقوال العلماء والفضلاء شغل عن البحث والفحص فى كلامى وضرب لذلك مثلاً بأن الرجل لا يأكل الضب إلا إذا أتى على ذوات التسريح التى هى النوق والغنم فاقتناها والعكرمة الحمامة. والعبقر البرد. والقر البرد. والضفدع شىء يظهر تحت اللسان. والجلسام البرسام. والرواجب بطون الأصابع وظهورها، والمعنى يقول إنه يستجير من كلمة أى قصيدة أو =

كُنْتُ أَوْطَأْتُ نَفْسِي فِي تَفْضِيلِهِ عِشْوَةً، أَوْ بَغَيْتُ عَلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ رِشْوَةً، فَمُنِيتُ بِالْحَاصِبِ، وَالْعَذَابِ الْوَاصِبِ، لَيْلُ الْخَرِصِ، أَنْعَمُ مِنْ لَيْلِ الْمُتَخَرِّصِ، وَنَهَارُ الْكَاذِبِ أَبْأَسُ مِنْ نَهَارِ الْعَاذِبِ، وَغِنَايَ فِي تَقْرِيظِهِ عَنِ الْمَيْنِ، وَمُسَاوَاةِ الْقَيْنِ، غِنَاءَ الْوَصِيفِ، عَنْ لُبْسِ النَّصِيفِ، وَالْغُلَامِ عَنِ الاخْتِضَابِ بِالْعُلَّامِ[1]، وَأَنَا عَلَى إِسْهَابِي كَخَابِطِ الظَّلْمَاءِ، وَبَاسِطِ الْيَدِ الْجَذْمَاءِ، وَلَوْ جِئْتُ مِنَ الزَّرَقِ بِكُرٍّ، مَا كَافَأْتُ عَلَى الْفَرِيدَةِ مِنَ الدُّرِّ، وَلَيْسَ سِرْبُ الْقَطَا وَإِنْ كَثُرَ، بِمُقَاوِمِ الْبَارِي وَلَوْ لَطُفَ وَصِغُرَ، وَمِنَ الْغَبَاوَةِ مُبَاهَاةُ الشَّمْسِ بِسِرَاجٍ، وَمُوَاهَاةُ عَطَالَةَ بِالزُّجَاجِ، وَإِنَّ أَدَبِي لَيَنْظُرُ إِلَى أَدَبِهِ نَظَرَ جَرْبَاءِ الْعُنُوقِ، إِلَى جَرْبَاءِ الْعَيُّوقِ، وَأَيْنَ الْمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَوْقِعُ السَّيْلِ، مِنْ مَطْلِعِ سُهَيْلٍ، وَالنَّعَائِمُ الشَّارِدَةُ مِنَ النَّعَائِمِ الصَّادِرَةِ وَالْوَارِدَةِ، وَتَاللهِ أُسَاجِلُ بِثَمَدِي بَحْرَهُ، وَلَنْ يَهْلِكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ وَالسَّلَامُ[2].

* * *

= رسالة مثل ما فيها من زينة الصناعة اللفظية والمعنوية كطوق الحمامة الذى هو يحسب أنه من الزينة وهو بالحداد أشبه لأنه أسود ولأنها دائمة النوح ويقول إن ما فيها من الحلى والزينة إنما هو بمنزلة البرد بفتح الراء الذى يشبه اللؤلؤ وبينهما بون بعيد فى القيمة وأنها ترعد من القر حياءً من ذلك ثم يقول إن من أتى بمثل هذه الرسالة يحكم عليه بأنه مبرسم يهذى ولكن العناية تمنع بت هذا الحكم.

(١) يقال أوطأته عشوة إذا غررته وغششته. والحاصب الريح التى تحمل الحصباء. والواصب الدائم. والخرص الجائع الذى يجد البرد. والمتخرص الذى يكذب ويفترى. والعاذب الممسك عن الطعام والشراب والقين حداد يضربون المثل بكذبه. والنصيف الخمار والعلام الحناء.

(٢) الإسهاب الإكثار من القول والجذماء اليد المقطوعة. والزرق ضرب من الخرز لا قيمة له. والكر مكيال. ومواهاة مفاعلة من وهى الشىء أوهيته إذا كسرته أو خرقته أو فعلت به فعلاً يضعفه وعطالة اسم جبل والعنوق جمع عناق والعناق الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول. وجرباء العيوق هى السماء والعيوق اسم نجم. والنعائم الشاردة هى التى فى القفار والنعائم الصادرة والواردة هى منازل للقمر. والثمد الماء القليل.

نُسخة رسالته المعروفة برسالة الإغريض إلى أبى القاسم المغربى

لَمَّا أَنْفَذَ إِلَيه مُخْتَصَرَ إِصْلاَحِ الْمَنْطِقِ الَّذِى أَلَّفَهُ وَفِيهَا وَصْفُ الْمُخْتَصَرِ وَالثَّنَاءُ بِفَضْلِهِ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى كَثْرَةِ فَوَائِدِهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيَّتُهَا الحِكْمَةُ الْمَغْرِبِيَّةُ، وَالأَلْفَاظُ الْعَرَبِيَّةُ، أَىُّ هَوَاءٍ رَقَّاكِ، وَأَىُّ غَيْثٍ سَقَاكِ، بَرْقُهُ كَالإِخْرِيضِ وَوَدْقُهُ مِثْلُ الإِغْرِيضِ، حَلَلْتِ الرَّبْوَةَ، وَجَلَلْتِ عَنِ الهَبْوَةِ، أَقُولُ لَكِ ما قَالَ أَخُو نُمَيْرٍ، لِفَتَاةِ بَنِى عُمَيْرٍ.

رَكَا لَكِ صَالِحٌ وَخَلاَكِ ذَمٌّ ... وَصَبَّحَكِ الأَيَامِنُ وَالسُّعُودُ

لأَنَا آسَفُ عَلَى قُرْبِكِ مِنَ الْغُرَابِ الْحِجَارِىِّ، عَلَى حُسْنِ الزِّىِّ، لَمَّا أَقْفَرَ، وَرَكِبَ السَّفَرَ، فَقَدِمَ جِبَالَ الرُّومِ فِى نَوَّ، أَنْزَلَ الْبِرْسَ مِنَ الْجَوِّ، فَالْتَفَتَ إِلَى عِطْفِهِ وَقَدْ شَمِطَ فَأَسِىَ، وَتَرَكَ النَّعِيبَ أَوْ نَسِىَ وَهَبَطَ الأَرْضَ فَمَشَى فِى قَيْدٍ، وَتَمَثَّلَ بِبَيْتِ دُرَيْدٍ:

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلاَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ ... فَلَمَّا عَلاَهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعَدِ

وَأَرَادَ الإِيَابَ، فِى ذَلِكَ الْجِلْبَابِ، فَكَرِهَ الشَّمَاتَ، فَكَمِدَ حَتَّى مَاتَ، وَرُبَّ وَلِىٍّ أَغْرَقَ فِى الإِكْرَامِ، فَوَقَعَ فِى الإِبْرَامِ، إِبْرَامَ السَّأْمِ، لاَ إِبْرَامَ السَّلَمِ[1]،

(١) الإحريض العصفر، والعرب تشبه البروق به قال الراجز:

ملتهب كلهب الإحريض ... يزجى خراطيم غمام بيض

والإغريق الطلع. والودق القطر، وأصل الودق الدنو وإنما قيل ودق السحاب إذا جاء بالمطر الكثير لأنه يدنو من الأرض. والربوة ما علا من الأرض. والهبوة الغبار. وأخو نمير هو الراعى الشاعر واسمه عبيد بن حصين وإنما قيل له الراعى لأنه كان يكثر وصف الإبل فى شعره. وفتاة بنى عمير امرأة يشبب بها يقال لها هند وفيها يقول:

ألا يا هند هند بن عمير ... أرث حبل وصلك أم جديد =

فَحَرَسَ اللهُ سَيِّدَنَا حَتَّى تُدْغَمَ الطَّاءُ فى الْهَاءِ، فَتِلْكَ حِرَاسَةٌ بِغَيْرِ انْتِهَاءٍ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَيْنِ ضِدَّانِ، وَعَلَى التَّضَادِّ مُتَبَاعِدَانِ، رِخْوٌ وَشَدِيدٌ، وَهَاوٍ وَذُو تَصْعِيدٍ، وَهُمَا فى الْجَهْرِ وَالْهَمْسِ، بِمَنْزِلَةِ غَدٍ وَأَمْسِ[1]، وَجَعَلَ اللهُ رُتْبَتَهُ الَّتى كَالْفَاعِلِ وَالْمُبْتَدَا، نَظِيرَ الْفِعْلِ فى أَنَّهَا لاَ تَنْخَفِضُ أَبَدًا، فَقَدْ جَعَلَنِى إِنْ حَضَرْتُ عُرِفَ شَانِى، وَإِنْ غِبْتُ لَمْ يُجْهَلْ مَكَانِى، كَيَا فى النِّدَاءِ، وَالْمَحْذُوفِ مِنَ الابْتِدَاءِ، إِذَا قُلْتُ: زَيْدٌ أَقْبِلْ، وَالإِبِلُ الإِبِلُ، بَعْدَمَا كُنْتُ كَهَاءِ الْوَقْفِ، إِنْ أُلْقِيتُ فَبِوَاجِبٍ، وَإِنْ ذُكِرْتُ فَغَيْرُ لاَزِبٍ[2]، إِنِّى وَإِنْ غَدَوْتُ فى زَمَنٍ كَثِيرِ الدَّدِ، كَهَاءِ الْعَدَدِ،

= زكا لك صالح وخلاك ذم وصبحك الأيامن والسعود

وأقفر إذا صار فى قفر من الأرض. والنو عندهم من الأضداد يقال ناء النجم إذا طلع وناء إذا سقط وكانت العرب تنسب الأمطار إلى سقوط النجوم فيقولون مطرنا بنوء السماك ونوء الذراع ونحو ذلك. والبرس القطن والمراد به هاهنا الثلج لأنه يشبه به. والعطف كل موضع ينعطف من الجسد ويقولون جاء فلان ثانى عطفه أى ثانى عنقه من الكبر ويقال للإبط عطف وكذلك للجنب لأن الإنسان يميل عليه إذا أراد. وشمط أى خالط سواده بياض الشيب. المعنى أن هذا الوزير المرسلة إليه هذه الرسالة كان فى المعرة ثم رحل عنها فالمعرى يخاطب حكمته وعلمه وأدبه ويأسف على نأيها عنه. وقوله أى هواء رقاك يقول أى هواء وأى غيث توليا هذه الحكمة حتى نمت وزكت ووصلت إلى ما هى عليه جعلها كالأنبتة التى تنمو بالهواء والماء. وقوله حللت الربوة يريد أنها ارتفعت وعلت وربما أراد أنها لما انتقلت من المعرة وهى فى نظر المعرى حقيرة وضيعة إلى مكان آخر يليق بها فقد ارتفعت. وقوله لأنا آسف على ذلك يقول إنه آسف على زمن قربه منها أيام كان الوزير فى المعرة قبل أن يرحل فتفارق المعرى تلك الحكمة وتبعد عنه. وقوله من العراب الحجازى يريد أنه أكثر أسفا من غراب من أغربة الحجاز هجر أرضه وسافر إلى بلاد الروم فصادفه الشتاء فنزل الثلج على عطفه فبيضه بعد حسن سواده وزيه الأول فأراد الإياب بهذه الحالة فكره شمات الأعداء فكمد فمت أسفا على زيه الذى تغير وحاله الذى تحول. وقوله فمشى. فى قيد يشير إلى مشى الغراب وحجلانه كأنه مقيد. وأما جزع الغراب من الشيب ذلك الجزع المؤدى إلى الممات فلأنه لا يشيب أبدًا فى العادة ومن أمثالهم حتى يشيب الغراب.

(١) قوله إبرام السلم يقال أبرم السلم إذا ظهر برمه وإبرام السأم الإضجار والطاء من الحروف الشديدة وهى ثمانية يجمعها قولك: (أجدك قطبت) والهاء حرف رخو والحروف المهموسة عشرة يجمعها قولك: (فحثه شخص سكت) وإنما قيل لها مهموسة لأن مجراها اتسع فلم يكن لها صوت كغيرها من الحروف والهمس الصوت الخفى. والحروف المجهورة ما عدا المهموسة فقوله حتى تدغم الطاء فى الهاء يريد حرس الله سيدنا دائمًا أبدًا لأن الطاء لا تدغم فى الهاء أبدًا.

(٢) قوله التى هى كالفاعل أى مرفوعة. وقوله نظير الفعل يريد أن الأفعال لا تنخفض أبدًا. وقوله =

لزمت المذكَّر، فأتت بالمنكر، مع إلف يرانى فى الأصل، كألف الوصل، يذكرنى لغير الثناء، ويطرحنى عند الاستغناء، وحال كالهمزة، تبدل العين، وتجعل بين بين، وتكون تارة حرف لين، وتارة مثل الصامت الرصين فهى لا تثبت على طريقة، ولا تدرك لها صورة فى الحقيقة، ونوائب ألحقت الكبير، بالصغير، كأنها ترخيم التصغير، ردت المستحلس إلى حليس، وقابوسًا إلى قبيس، لأمدُّ صوتى بتلك الآلاء، مدَّ الكوفىّ صوته فى هؤلاء، وأخفف عن سيدنا الرئيس الحبر، تخفيف المدنىّ، ما قدر عليه من النبر، إن كاتبت فلست ملتمس جواب، وإن أسهبت فى الشكر فلست طالب ثواب، حسبى ما لدىَّ من أياديه، وما غمر من فضل السيد الأكبر أبيه[1]، أدام الله لهما القدرة ما دام

= كيا فى الندا أى يا المحذوفة فى قولك زيد أقبل إذ الأصل يا زيد أقبل وقوله والمحذوف من الابتدا يريد كلمة هى فى قولك: الإبل الإبل أى هى الإبل ولازب مثل لازم.

(١) الدد اللعب واللهو. وقوله يذكرنى لغير الثناء أى لا يحمدنى ويثنى على لنفسى وإنما للتوصل بذلك إلى أغراضه، وألف الوصل يؤتى بها للتوصل للنطق بالساكن إذا كانت فى أول الكلمة وتطرح إذا سبقتها حركة وقوله لزمت المذكر يريد أن تاء التأنيث تثبت فى عدد المذكر لقولك ثلاثة رجال وقوله كالهمزة تبدل عينًا هو أن بعض العرب يجعل الهمزة المفتوحة عينًا فيقول أريد عن أقوم أى أريد أن أقوم وقالت شاعرة من العرب ترقص ابنها وهو قيس بن عاصم المنقرى:

أشبه أخى أو اشبهن أباكا أما أبى فلن تنال ذاكا

تقصر عن تناله يداكا

أى أن تناله.

وقال ذو الرمة:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وحروف اللين ثلاثة الألف والواو والياء والألف أشدها لينًا لأنها لا تكون إلا ساكنة فأما الواو والياء فإنما يكمل لينهما إذا كانتا ساكنتين وكان قبل الواو ضمة وقبل الياء كسرة فإن انفتح ما قبلهما ففيهما لين إلا أنه غير تام. والصامت الرصين من الحروف ما لم يكن فيه لين. وترخيم التصغير تحذف فيه الزوائد فيقال فى منصور نصير. وتصغير مستحلس حليس والكوفى المراد به حمزة بن حبيب لأنه كان معروفًا بمد الحروف. والمدنى المراد به نافع القارئ لأن عثمان بن سعيد المعروف بورش روى عنه نقل حركة الهمزة فى مثل أتى وأفلح إلى لام هل ودال قد ثم يحذفها من الكلام ويفعل ذلك فى مواضع كثيرة. والنبر الهمز.

الضَّرْبُ الأَوَّلُ مِنَ الطَّوِيلِ صَحِيحًا، وَالْمُنْسَرِح خَفِيفًا سَرِيحًا، وَقَبَضَ اللهُ يَمِينَ عَدُوِّهِمَا عَنْ كُلِّ مَعْنٍ، قَبْضَ الْعَرُوضِ مِنْ أَوَّلِ وَزْنٍ، وَجَمَعَ لَهُ الْمَهَانَةَ إِلَى التَّفْيِيدِ، كَمَا جُمِعَا فِى ثَانِى الْمَدِيدِ، وَقُلِمَ قَلْمَ الْفَسِيطِ، وَخُبِلَ كَسُبَاعِىِّ الْبَسِيطِ، وَعَصَبَ اللهُ الشَّرَّ بِهَامَةِ شَانِئِهِمَا وَهُوَ مَخْزُوٌّ، عَصْبَ الْوَافِرِ الثَّالِثِ وَهُوَ مَجْزُوٌّ، بَلْ أَضْمَرَتْهُ الأَرْضُ إِضْمَارَ ثالِثِ الْكَامِلِ، وَعَدَاهُ أَمَلُ الآمِلِ[1]، وَسَلَمَ سَيِّدَانَا أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُمَا وَمَنْ أَحَبَّاهُ وَقَرَّبَاهُ، سَلَامَةَ مُتَوَسِّطِ الْمَجْمُوعَاتِ، فَإِنَّهُ آمِنٌ مِنَ

---

(١) لضرب الأول من الطويل مثل قوله:

أبا منـذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وأصحاب العروض يسمون آخر جزء من البيت ضربًا يجعلونه صحيحًا إذا كان لا سبيل عليه للزحاف ولا غيره من العلل. والمنسرح وزن من الشعر يسمى منسرحًا لخفته وهو من سرحت الشيء فانسرح ويقال عطاء سرح وسريح أى سهل لا نكد فيه والمنسرح من الشعر مثل قوله:

ها أنا ذا آمل الخلود وقـد أدرك سنِّى ومولدى حجرا

والعروض البيت هى آخر جزء من النصف الأول من البيت وأول وزن هو الطويل وعروضه مقبوضة ونضتها سقوط خامس الجزء وهو مفاعيلن ولا يزول قبضها إلا فى تصريع الضرب الأول. وثانى المديد مثل قول الشاعر:

إنما ذكرك ما قد مضى ضلة مثل حديث المنام

وهذا الوزن يستعمل مقيدًا ولا بد أن يكون قبله حرف لين. وقلم من قولهم قلمت الظفر. والفسيط وزنه الظفر. قال الشاعر:

كـان ابن مزنتها مـائلا فسيط لدى الأفق من خنصر

وخبل سقوط حرفين من سببين مضطربين من جزء سباعى ومثال ذلك قول النابغة:

فحسبوه فألفوه كمـا حسبت تسعًا وتسعين لم تنقص ولم تزد

وعصب فى الوافر سكون الحرف الخامس من الجزء السباعى كقوله:

* ألا هبى بصحنك فاصبحينا *

فقوله ألا هبى جزء معصوب. والمجزوء الذى ذهب منه جزء. ثالث الوافر معصوب الضرب عصبًا غير مفارق وهو مثل قول القائل:

* ومرقبة ممنعة سموت لها بأصحابى *

فقوله بأصحابى جزء معصوب.

وثالث الكامل مثل قوله:

ولقد غدوت على القنيص بسابح مثل الوذيـلة جرشـــع لام

والإضمار سكون الحرف الثانى من متفاعلن أو ما حذف منه. وقوله لام مضمر إضمارًا لازمًا

الْمُرَوَّعَات، فَقَدِ افْتَنَنْتُ فى نعَمِهما الرَّائعَة، كافْتنَان الدَّائرَة الرَّابعَة، وَذَلكَ أَنَّهَا أُمُّ ستَّة مَوْجُودِينَ، وَثَلاَثَة مَفْقُودِينَ، وَأَنَا أَعدُ نَفْسى مُرَاسَلَةَ حَضْرَة سَيِّدَنَا الْجَليلَة عدَةَ ثُرَيَّا اللَّيْلِ، وَثُرَيَّا سُهَيْلٍ، هَذه الْقَمَرَ، وَتلْكَ عُمَرَ، وَأُعْظمُهُ فى كُلِّ وَقْت، إعْظَامًا فى مقَة وَبَعْضُ الإعْظَامِ فى مَقْت، فَقَدْ نَصَبَ للآدَاب، قُبَّةً صَارَ الشَّأْمُ فيهَا كَشَامَة الْمَعيب، وَالْعرَاقُ كَعرَاق الشَّعيب، أَحْسَبُ ظلاَلُهَا منَ الْبَرْدَيْن، وَأَغْنَت الْعَالَمَ عَنِ الهِنْدَيْنِ، هنْد الطِّيب، وَهنْد النَّسيب، رَبَّة الخمَار، وَأَرْبَاب قمَار، أَخْدَان التَّجْر، وَخَدينَة الهَجْر[1]، مَا حَاملَةُ طَوْق منَ اللَّيْل، وَبُرْد منَ الْمُرْتَبع مَكْفُوف الذَّيْل، أَوْقَت الأَشَاءَ، فَقَالَتْ للْكَثيب مَا شَاءَ، تُسْمعُهُ غَيْرَ مَفْهُوم، لاَ بِالرَّمْلِ وَلاَ بِالْمَزْمُوم، كَأَنَّ سَجيعَهَا قَريضٌ، وَمُرَاسلَهَا الْغَريضُ، فَقَدْ مَادَ لشَجْوهَا الْعُودُ، وَفَقيدُهَا لا يَعُودُ، تَنْدُبُ هديلاً فَاتَ، وَأُتيحَ لَهُ بَعْضُ

(١) المجموعات مراد بها الأوتاد من الشعر والوتد المجموع هو حرفان متحركان بعدهما ساكن مثل قولك رمى وسعى ونحو ذلك فإذا كان الوتد فى أول البيت لحقه الخرم وهو حذف الحرف الأول منه وإذا كان فى آخر البيت أو فى آخر نصف البيت أو فى آخر نصفه الأول لحقته العلل فإذا كان متوسطًا لم تدركه علة. والمروعات المخوفات. الدائرة الرابعة تشمل على تسعة أجناس وهى أكثر الدوائر أجناسًا ستة مستعملة وثلاثة مهملة، وثريا سهيل هى امرأة من قريش ثم من بنى أمية الأصغر بن عبد شمس وهى من العبلات تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى وقال قوم بل المتزوج بها سهيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وكان عمر بن أبى ربيعة يذكرها فى شعره فقال:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمان

والثريا من النجوم تلاقى القمر مرة فى السنة ومن ذلك قول كثير:

فدع عنك سعدى إنما تسعد النوى قران الثريا مرة ثم تأفل

والمقة المحبة. والشعيب مزادة تعمل من أديمين: وعراق المزادة أن يثنى الجلد ثم يخرز وذلك فى أسفلها. وشامة المعيب يريد شامة تكون فى الوجه فتعيبه. والمعنى أنه فاق أهل الشام والعراق فى الأدب وأحسب كفى. والبردين يريد الغداة والعشى. وهند الطيب هى بلاد الهند التى ينبت فيها أنواع الطيب. وهند النسيب هى هند التى يتغزل فيها الشعراء وهى ربة الخمار. وقمار بلد بالهند منها العود القمارى. وإخوان التجر أى أصحاب التجارة. وهذا عائد على هذا الطيب. وخدينة الهجر يريد هند النسيب.

الآفَاتِ، بَأشْوَقَ إِلَى هَدِيلِهَا مِنْ عَبْدِهِ إِلَى مُنَاسَمَةِ أَنْبَائِهِ، وَلاَ أَوْجَدَ عَلَى إِلْفِهَا مِنْهُ عَلَى زِيَارَةِ فَنَائِهِ، وَلَيْسَ الأَشْوَاقُ، لِذَوَاتِ الأَطْوَاقِ، وَلاَ عِنْدَ السَّاجِعَةِ، عَبْرَةٌ مُتَرَاجِعَةٌ، إِنَّمَا رَأَتِ الشَّرَطَيْنِ، قَبْلَ الْبُطَيْنِ، وَالرِّشَاءَ، بَعْدَ الْعِشَاءِ، فَحَكَتْ صَوْتَ الْمَاءِ فِى الْخَرِيرِ، وَأَتَتْ بِرَاءٍ دَائِمَةِ التَّكْرِيرِ، فَقَالَ جَاهِلٌ فَقَدَتْ حَمِيمًا، وَثَكِلَتْ وَلَدًا قَدِيمًا، وَهَيْهَاتِ يَا بَاكِيَةُ أَصْبَحْتِ فَصَدَحْتِ، وَأَمْسَيْتِ فَتَنَاسَيْتِ، لاَ هَمَامٍ لاَ هَمَامٍ، مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْ هَاتِفِ الْحَمَامِ، سَلِمَ فَنَاحَ، وَصَمَتَ وَهُوَ مَكْسُورُ الْجَنَاحِ، إِنَّمَا الشَّوْقُ لِمَنْ يَذَّكَّرُ فِى كُلِّ حِينٍ، وَلاَ يُذْهِلُهُ مُضِىُّ السِّنِينَ[1]، وَسَيِّدُنَا أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ، الْقَائِلُ النَّظْمِ فِى الذَّكَاءِ، مِثْلَ الزَّهَرِ، وَفِى الْبَقَاءِ، مِثْلَ الْجَوْهَرِ، تَحْسِبُ، بادِرَتَهُ التَّاجَ، ارْتَفَعَ عَنِ الْحَجَاجِ، وَغَابِرَتَهُ الْحِجْلَ، فِى الرِّجْلِ، يَجْمَعُ بَيْنَ اللَّفْظِ الْقَلِيلِ، وَالْمَعْنَى الْجَلِيلِ، جَمْعَ الأُقْحُوَانِ فِى لُعَابِهِ بَيْنَ الْقِلَّةِ، وَفَقْدِ الْبِلَّةِ، خَشُنَ فَحَسُنَ، وَلاَنَ فَمَا هَانَ، لِيْنُ الشَّكِيرِ، يَدُلُّ عَلَى عِتْقِ الْمِحْضِيرِ، وَحَرْشُ الدِّينَارِ آيَةُ كَرَمِ النِّجَارِ، فَصُنُوفُ الأَشْعَارِ، بَعْدَهُ كَآلِفِ السَّلَمِ، يُلْفَظُ بِهَا فِى الْكَلاَمِ، وَلاَ تَثْبُتُ لَهَا هَيْئَةٌ بَعْدَ اللاَّمِ، خَلَصَ مِنْ سَبْكِ النَّقْدِ خُلُوصَ الذَّهَبِ، مِنَ اللَّهَبِ، وَاللُّجَيْنِ مِنْ يَدِ الْقَيْنِ، كَأَنَّهُ لآلٍ، فِى أَعْنَاقِ حَوَالٍ، وَسِوَاهُ لَطٌّ، فِى عُنُقِ لَطٍّ، مَا خَانَتْهُ قُوَّةُ الْخَاطِرِ الأَمِينِ، وَلاَ عِيبَ بِسِنَادٍ وَلاَ تَضْمِينٍ، وَأَيْنَ النَّثْرَةُ، مِنَ الْعَثْرَةِ، وَالْفَرْقَدُ

(١) طوق من الليل أى أسود. من المرتبع يريد أنه ملون كزهر الربيع. ومكفوف الذيل من كفة القميص. والإشاء صغار النخل. والغريض مغن مشهور. والهديل فرخ الحمام الذى يزعم بعض الناس أنه هلك فى عهد نوح فالحمائم تبكيه إلى اليوم قال نصيب:

فقلت أتبكى ذات طوق تذكرت هديلا وقد أودى وما كان تبع

والشرطان من منازل القمر وهما يطلعان فى نيسان الطلوع الذى يعتمده أرباب الأنواء وهما من الكواكب الشامية. وكذلك البطين. والرشاء من منازل القمر أيضًا وهو من الكواكب اليمانية. ولا همام أى لا أهم بذلك. وقوله صمت وهو مكسور الجناح يريد إن كان سالما من علة مطلوقًا صاح وناح وربما كسر جناحه فسكت ولم ينح.

مِنَ الْغَرْقَدِ، وَالسَّاعِي فِي أَثَرِهِ فَارِسُ عَصَا بَصِيرٍ، لا فَارِسُ عَصَا قَصِيرٍ[١]، وَأَنَا ثَابِتٌ عَلَى هَذِهِ الطَّوِيَّةِ ثَبَاتَ حَرَكَةِ الْبِنَاءِ، مُقِيمٌ تِلْكَ الشَّهَادَةَ بِغَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ، غَنِيٌّ عَنِ الأَيْمَانِ فَلا عَدَمَ، مُقْسِمٌ عَلَى مَا قُلْتُ فَلاَ حِنْثَ وَلاَ نَدَمَ، وَإِنَّمَا تُخْبَأُ الدُّرَّةُ، لِلْحَسْنَاءِ الْحُرَّةِ، وَيُجَادُ بِالْيَمِينِ فِي الْعِلْقِ الثَّمِينِ، مَا أَنْفَسَهُ خَاطِرًا امْتَرَى الْفِضَّةَ مِنَ الْقِضَّةِ، وَالْوِصَاةَ مِنْ مِثْلِ الْحَصَاةِ، وَرُبَّمَا نَزَعَتِ الأَشْبَاهُ، وَلَمْ يُشْبِهِ الْمَرءُ أَبَاهُ، وَلاَ غَرْوَ لِذَلِكَ الْخَضِرَةِ، أُمِّ اللَّهِيبِ وَالْخَمْرَةُ، بِنْتُ الْغِرْبِيبِ،

(١) الحجاج: عظم الحاجب. والحجل: الخلخال. وفى شعر أبى العلاء لتلميذ له يوصيه بترتيب شعره كترتيب الزينة على العروس.

فرتب النظم ترتيب الحلى على ... شخص الحلى بلا طيش ولا خرق
الحجل للرجل والتاج المنيف لما ... فوق الحجاج وعقد الدر للعنق

والبله من قولهم بل المريض إذا برئ. والشكير ما صغر من الشعر والريش وهو هنا ما كان حول ناصية الفرس من صغر الشعر ويستدلون بلينه على عتق الفرس. والمحضير الفرس الشديد الحضر. وحرش الدنيا خشونته. والنجار الأصل. والسلام فى رسم المصحف الكريم كالرحمن. والقين الحداد. والحوال جمع حالية أى لابسة الحلى. واللط القلادة من حب الحنظل. والنط الذى لا شعر فى وجهه. والسناد من عيوب الشعر، ومنه قول الحطيئة:

إلى الروم والأحبوش حتى تناولا ... بأيديهما مال المرازبة القلف
وبالطوف نالا خير ما ناله الفتى ... وما المرء إلا بالتقلب والطوف

فقوله الطوف مع القلف سناد لأن الواو فيها لين واللام فى القلف ليست كذلك والتضمين أن يتم البيت ولا يتم المعنى كقول بشر بن أبى خازم:

فسعدا فسائلهم والرباب ... وسائل هوازن عنها اذا ما
لقيناهم كيف تفليهم ... بواتر يبرين بيضًا وهاما

والنثرة من منازل القمر وهى أربعة أنجم من نجوم الأسد والغرقد نوع من الشجر ومنه بقيع الغرقد بالمدينة. والمعنى أن الغرقد لا يتصل بالفرقد من النجوم كما أن العثرة لا سبيل لها على النثرة التى هى من منازل القمر وكلاهما مثل يريد كما أن ذلك لا يحصل فكذلك لا يحصل العيب فى شعر الوزير ولا يكون فيه. وعصا بصير يراد بها العصا التى يتوكأ عليها الأعمى. وقصير هو قصير بن سعد اللخمى صاحب جذيمة وحديثه مع الزباء مشهور وكان لجذيمة فرس يقال لها العصا فلما أحيط به تعرض له قصير بالعصا لعله يصل إلى أن يركبها فينجو عليها فلما يئس منه نجا على ظهرها فنظر إليها جذيمة وهى تجرى بقصير فقال يا ضل ما تجرى به العصا والمعنى أن المقتفى أثره من الخلق لينال ما نال من الكمال مثله فى ذلك مثل الأعمى لا يهتدى للسير ولا يدرك الغرض ولا يأمن الوقوع فى الأخطار.

وَكَذَلِكَ سَيِّدُنَا وَلَّدَ مِنْ سِحْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ، حِكْمَةً لِلْحُنَفَاءِ الْمُتَدَيِّنِينَ[١]، وَكَمْ لَهُ مِنْ قَافِيَةٍ تَبْنِي السُّودَ، وَتَثْنِي الحَسُودَ، كَالْمَيْتِ، مِنْ شُرْبِ الْعَاتِقَةِ الْكُمَيْتِ، نُشُورُهُ قَرِيبٌ، وَحِسَابُهُ تَثْرِيبٌ، أَيْنَ مُشَبِّهُو النَّاقَةِ بِالْفَدَنِ، وَالصَّحْصَحِ بِرِدَاءِ الرَّدَنِ، وَجَبَ الرَّحِيلُ، عَنِ الرَّبْعِ الْمُحِيلِ، نَشَأَ بَعْدَهُمْ وَاصِفٌ غُودِرُوا لَهُ كَالْمَنَاصِفِ، إِذَا سَمِعَ الْخَافِضُ صِفَتَهُ لِلسَّهْبِ الْفَسِيحِ، وَالرَّهْبِ الطَّلِيحِ، وَدَّ أَنَّ حَشِيَّتَهُ بَيْنَ الأَحْنَاءِ وَخَلُوقَهُ عَصِيمُ الْهِنَاءِ، وَحَلَمَ بِالْقُودِ، فِي الرُّقُودِ، وَصَاغَ بُرَى ذَوَاتِ الأَرْسَانِ، مِنْ بُرَى الْبِيضِ الْحِسَانِ، شَنَفًا لِدُرِّ النُّحُورِ، وَعُيُونِ الْحُورِ، وَشَغَفًا بِدُرِّ بَكِيٍّ، وَعَيْنٍ مِثْلِ الرَّكِيِّ، وَإِعْرَاضًا عَنْ بُدُورٍ سَكَنَّ فِي الْخُدُورِ إِلَى حُولٍ، كَأَهِلَّةِ الْمُحْوِلِ، فَهُنَّ أَشْبَاهُ الْقِسِيِّ، وَنَعَامِ السِّيِّ[٢]، وَإِنْ أَخَذَ فِي نَعْتِ

(١) حركة البناء هى التى تثبت على حال واحدة من ضم أو فتح أو كسر مثل ضمة حيث وفتحة كيف وكسرة هؤلاء. وقوله فلا عدم يقول أنه غنى غير متعدم وقوله تخبأ الدرة يريد أنه لا يستحق الثناء غير الوزير. وقوله ويجاد باليمين يقول أنا أحلف على ذلك وإنما يحلف على الشىء الثمين قال تعالى: ﴿إى وربى إنه لحق﴾ [يونس:٥٣] والقضة الحصى الغبار. والوصاة النخلة التى تنبت من النواة والخضرة أى الشجرة المخضرة وهو ناظر فى هذا إلى قوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾ [يس: ٨٠]. والغريب العنب الأسود والحنفاء جمع حنيف وقيل إنما قيل للمسلم حنيف لمخالفته الأديان التى كانت قبل والمعنى أن الوزير نظر فى كلام المتقدمين والفلاسفة الأولين فولد منه حكمة للمسلمين وعرفانًا فكأنه استخرج الفضة من الحصى ثم أراد أن يبين ذلك يعنى أن الشىء، قد يخرج منه شىء آخر لا يشبهه فضرب المثل بالشجرة الخضرة التى يتولد منها النار.

(٢) السود الشوف. وقوله كالميت يريد أنها تثنى الجسود وهو كالمغمى عليه من شرب المعتقة فى قرب صحوه ورجوعه على نفسه باللوم والفدن القصر ويقال القنطرة ويريد بقوله أين مشبهو الناقة بالفدن عنترة وذلك فى معلقته:

فوقفت فيها ناقتى وكأنها ... فدن لأقضى حاجة المتلوم

والردن الخز وقال الاعشى:

فأفنيتها ... وتعاللتها ... على صحصح كرداء الردن

وقوله وجب الرحيل عن الربع المحيل أى وجب ترك تلك الأوصاف القديمة المهجورة. والمناصف الخدم. والخافض الذى فى عيش محمود ويريد به الحضرى والسهب الفلاة. والرهب الناقة المهزولة والطليح المعيبة. والحشية ما حشى من الفرش. والأحناء خشب الرحل واحدها حنو. وعصيم الهناء أى بقيته. والهناء ما يطلى به البعير الأجرب والقود الطوال الأعناق من الإبل والبرى جمع =

الْخَيْلِ فَيَا خَيْبَةَ مَنْ شَبَّهَ الأَوَابِدَ بِالتَّقْيِيدِ، وَشَبَّهَ الْحَافِرَ بِقَعْبِ الْوَلِيدِ، نَعْتًا غَبَطَ بِهِ الْهَجِينَ الْمَنْسُوبَ، وَالْبَارِيَ الْيَعْسُوبَ، إِذْ رُزِقَ مِنَ الْخَيْرِ، مَا لَيْسَ لِكَثِيرٍ مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى الصِّغَرِ، سَمِيٌّ بَعْضِ الْغُرَرِ، وَقَدْ مَضَى حَرْسٌ، وَخَفَتَ جَرْسٌ، وَلِلْقَالِعِ أَبْغَضُ طَالِعٍ، وَالأَزْرَقُ، يُجَنِّبُكَ عَنْهُ الْفَرَقُ، فَالآنَ سَلِمَتِ الْجَبْهَةُ مِنَ الْمَعْضِ، وَشَمَلَ بَعْضَهَا بَرَكَاتُ بَعْضٍ، فَأَيْقَنَ النَّطِيحُ، أَنَّ رَبَّهُ لاَ يَطِيحُ، وَالْمَهْقُوعُ، نَجَاءَ رَاكِبِهِ مِنَ الْوُقُوعِ، فَلَنْ يُحْرَبَ، قَائِدُ الْمُغْرَبِ، وَلَنْ يُرْجَلَ، سَائِسُ الأَرْجَلِ، وَالْعَابُ، وَإِنْ لَحِقَ الْكَعَابَ، نَاكِبٌ، عَنْ نَاقِلاَتِ الْمَرَاكِبِ، وَقَالَتْ خَيْفَانَةُ امْرِئِ الْقَيْسِ الدُّبَّاءَةُ، لِرَاعِي الْمَبَاءَةِ، وَالأُنْفِيَّةُ، لِلْقِدْرِ الْكَفِيَّةِ، نَقْمًا عَلَى جَاعِلِ عُذُرِهَا كَقُرُونِ الْعَرُوسِ، وَجَبْهَتِهَا كَمُحَذَّفِ التُّرُوسِ، وَأَنَّى لِلْكِنْدِيِّ، قَوَافٍ كَهَجْمَةِ السَّعْدِيِّ.

إِذَا اصْطَكَّتْ بِضِيقٍ حِجْرَتَاهَا تَلاَقَى الْعَسْجَدِيَّةُ وَاللَّطِيمُ

فَالْقَسِيبُ، فِي تَضَاعِيفِ النَّسِيبِ، وَالشَّبَابُ، فِي ذَلِكَ التَّشْبِيبِ، لَيْسَ رَوِيُّهُ بِمَقْلُوبٍ، وَلَكِنَّهُ مِنْ إِرْوَاءِ الْقُلُوبِ، وَقَدْ جَمَعَ أَلِيلَ مَاءِ الصِّبَا، وَصَلِيلَ ظِمَاءِ

= برة اسم يقع على السوار والخلخال والدملج. ويقال للحلقة التى تجعل فى أنف البعير إذا كانت من صفر أو نحوه من جواهر الأرض برة وذات الأرسان يريد النوق. والمعنى أنه من شدة شوقه إلى هذه النوق يصوغ خلاخيل البيض الحسان برى لها. والشنف البغض ودر النحور يريد عقد الغادة والدر اللبن. والبكى القليل. والركى البئر والمراد أن عيون هذه النوق غائرة ويعنى بالبدور حسان النساء. والحول جمع حائل وهى الناقة التى لم تحمل والحيال محمود فى الناقة التى تراد للسفر. وأهلة المحول أخفى من غيرها لأن الأفق يغبر إذا محل الناس والسى أرض من بلاد العرب توصف بكثرة النعام ومعنى هذا كله أن هذا الواصف لفرط بلاغته وذكائه وحسن وصفه إذا وصف الفلاة أو الناقة يود السامع لهذا الوصف ولو كان فى أرفع درجات الشرف والرفاهية أن يستبدل مقامه ويكون من سكان تلك الفلاة وأصحاب هذه الناقة ويبغض من أجلها البيض الحسان حتى إنه ليصوغ برى تلك النوق من خلاخلها ويستعيض عن عقود الخرائد وعيون الكعاب بقطرات الضروع وعيون النياق الغائرة. والعرب تشبه النوق بالنعام ومنه قول زهير:

كأن الرحل منها فوق صعل من الظلمان جؤجؤه هواء
أصك مصلم الأذنين أجنى له بالسى تنـــوم وآء

الظُّبَا، فَالْمِصْرَاعُ كَمِرْآةِ الْغَرِيبَةِ، حَكَتِ الزِّينَةَ وَالرِّيبَةَ، وَأَرَتِ الْحَسْنَاءَ سَنَاهَا، وَالسَّمِجَةَ مَا عَنَاهَا[1]، فَأَمَّا الرَّاحُ فَلَوْ ذَكَرَهَا لَشَفَتْ مِنَ الْهَرَمِ، وَانْتَفَتْ مِن

(١) النعت: الوصف. والأوابد: الوحوش، سميت بذلك لطول أعمارها ويشير بقوله شبه الأوابد بالتقييد إلى قول امرئ القيس:

وقد اغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وحافر الفرس يشبه بالقعب قال الشاعر:

لها حافر مثل قعب الوليد يتخذ الغار فيه مغارا

وقال امرؤ القيس:

لها حافر مثل قعب الوليد ″ ركب فيه وظيف عجر

والقعب قدح صغير. والوليد الصبى. والهجين التى ولدته برذونة من جواد عربى. والمنسوب الذى له نسب. والبازى طائر معروف. واليعسوب ضرب من الجعلان ويقال لذكر الجراد ولذكر النحل اليعسوب وسمى البياض الذى فى وجه الفرس إذا استطال ورق وقارب للأنف يعسوبًا. والحرس برهة من الدهر. والجرس الصوت. والقالح دائرة فى ملبد الفرس وهى مكروهة. والفرق فى الخيل إشراف أحد الوركين على الأخرى وهو مكروه والجبهة اسم للخيل. والمعض من قولهم معضت الرجل وأمعضه إذا ذكرته بما يغضبه. والنطيح له موضعان أحدهما أن تميل غرته فى إحدى شقى وجهه وذلك غير مستحب والآخر أن تكون مع دائرة اللطاة دائرة أخرى فيكرهون للفرس أن تميل الدائرة فى وجهه. ويطيح أى يهلك والمهقوع الذى به دائرة الهقعة وهى فى عرض الزور يتشاءم منها. والمغرب الذى يبيض وجهه ورأسه وكانوا يتطيرون به والأرجل الذى فى إحدى رجليه بياض فإن كان مع ذلك بياض غرة لم يكرهوه قال المرقش:

أسيل نبيل ليس فيه معابة كميت كلون الصرف أرجل أقرح

والخيفانة الفرس الطويلة القوائم المخططة البطن والدباءة القوعة وهى واحدة الدباء ويشبه بها الفرس الأنثى ولا يوصف بذلك الذكر لأن الإناث توصف بدقة المقاديم ولذلك شبهوا الفرس بالدباءة والسلاءة وهى الشوكة قال علقمة:

سلاءةٌ كعصا النهدى غل بها ذو فيئة من نوى قران معجوم

وكان بعضهم يعيب قول ابن مقبل:

كأن دباءةً شد الحزام بها من شخص أهوج فى التقريب والحضر

لأنه شبه فرسًا ذكرًا بالدباءة. والمباءة المنزل لأن أهله يأوبون إليه أى يرجعون ويشير بقوله الدباءة لراعى المباءة إلى قول امرئ القيس:

وأركب للروع خيفانة كسى وجهها سعف منتشر
إذا أقبلت قلت دباءة من الخضر مغموسة فى الغدر

والأثفية واحدة الأثافى التى يوضع عليها القدر. ويشير بذلك إلى قول امرئ القيس:

وإن أدبرت قلت أثفية ململمة ليس فيها أشر =

الْكَرْمِ إِلَى الْكَرَمِ، وَلَمْ تَرْضَ دِنَانُ الْعُقَارِ، بِلِبَاسِ الْقَارِ، وَنَسْجِ العَنَاكِبِ، عَلَى الْمَنَاكِبِ، وَلَكِنْ تُكْسَى مِنْ وَشْيِ ثِيَابًا، وَيُجْعَلُ طِلاؤُهَا زِرْيَابًا، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ ذَكَرَ خَيْمَةً يَغْبِطُ الْمِسْكُ جَارَهَا مِنَ الشِّيَامِ، وَيَوَدُّ سَعْدُ الأَخْبِيَةِ أَنَّهُ سَعْدُ الْخِيَامِ[1]،

= والعذر جمع عذرة وهى الخصلة من الشعر. وقرون العروس ذوائبها ويشير بهذا أيضًا إلى قوله:

لها عــذر كقرون النساء ركبن فى يوم ريح وصر

والمحذف المهيأ المتقن. والتروس جمع ترس والمراد بهذا قول امرئ القيس:

لها جبهة كسراة المجن حذفه الصانع المقتدر

والهجمة ما بين الستين إلى المائة من الإبل. والسعدى منسوب إلى سعد بن زيد مناة والعسجدية الإبل التى تحمل الذهب. واللطيم التى تحمل المسك والقسيب صوت الماء الجارى. والزوى الحرف الذى تبنى عليه القصيدة فيقال لامية ودالية. والأليل صوت الماء. والصليل صوت الحديد، والوذيلة المرآة، والغريبة المرأة المغتربة، وذلك أن المرأة الغريبة لا تزال تتعهد مرآتها وتجلوها لأنها تتكل عليها إذ ليس لها من يعلمها محاسنها ومساويها. وقوله حكت الزينة والريبة أى أن تلك المرآة تصف الأمور على ما هى عليه إن كانت حسنة فحسنة وإن كانت قبيحة فقبيحة ومعنى هذه الجملة جميعها أن هذا الواصف وهو الوزير إذا نعت الخيل أدى نعته هذا لأن يغبط الهجين المنسوب إذ إن أصالة المنسوب لم تكسبه من المحاسن ما اكتسبه الهجين الموصوف من نعت هذا الواصف بحيث صار أرفع من كرام الخيل قدرًا وغبط به البازى الذى هو من أشرف الطير اليعسوب وذلك لما ناله هذا من الفخر والشرف بالاشتراك اللفظى لشىء فى الفرس وهو الغرة فكأن وصفه أكسب وعم جميع أجزاء الخيل وسرى منها لكل ما يقرب منها أو يلتحق ولو بمشاركة جزء منها فى الاسم وإن امرأ القيس باء بالخيبة فى قوله وقد اغتدى والطير فى وكناتها البيت وقوله لها حافر مثل قعب الوليد البيت الآخر وذلك بالنسبة إلى وصف الوزير ونعته لها. وأنه على تعدد الأزمنة كان القالح مبغوضًا والنطيح والمهقوع كذلك وأما بعد وصفه الخيل شملها البركات فصارت مخاوفها مآمن ومشائمها ميامن. وقد تخيل المعرى أن لسان حال خيفانة امرئ القيس يقول له الدباءة لراعى المباءة والأثفية للقدر لعدم استحسانها لهذا الوصف ونقمت عليه أيضًا وصفه عذرها بقرون العروس. ثم قال وأنّى لامرئ القيس أشعار كإبل السعدى التى يقول فيها:

إذا اصطكت يضيق حجرناها تلاقى العسجــدية واللطيم

يعنى أنى لامرئ القيس أشعار تحمل من المعانى النفيسة ما تحمل هذه النوق؟ وهى فى شعر السعدى موصوفة بأنها تحمل الطيب والذهب ثم وصف شعر الوزير بالجودة فذهب إلى أنه أرق سيلانًا من القسيب وهو جرى الماء وإن لذة الشباب فى تشبيه وأنه جمع من النضارة ما يحاكى ماء الصبى ومن الشدة ما يفوق وقع السيوف وأن المصراع كالمرآة المجلوة تنظر فيه صور الأشعار على حقائقها يعنى أنه إذا ذكر شىء من شعر أى شاعر معه تبين للسامع حسن أو قبح ذلك الشعر كما تستعرض الصور للمرائى فيتبين لصاحب كل صورة ما فيها من الحسن والسماحة.

(١) الزرياب ماء الذهب. والشيام التراب. وسعد الأخبية منزلة من منازل القمر. يقول إنه وصف خيمة فى كلامه فود المسك أن يكون ترابا لها دون التراب.

وَوَقَفْتُ عَلَى مُخْتَصَرِ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ الَّذِى كَادَ بِسِمَاتِ الأَبْوَابِ، يُغْنِى عَنْ سَائِرِ الكِتَابِ، فَعَجِبْتُ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ تَقْيِيدِ الأَجْمَالِ، بِطِلَاءِ الأَحْمَالِ، وَنَقْلِ قَلْتِ الْبَحْرِ، إِلَى قَلْتِ النَّحْرِ، وَإِجْرَاءِ الْفُرَاتِ، فِى مِثْلِ الأُخْرَاتِ، شَرَفًا لَهُ تَصْنِيفًا شَفَى الرِّيبَ. وَكَفَى مِنِ ابْنِ قُرَيْبٍ، وَدَلَّ عَلَى جَوَامِعِ اللُّغَةِ بِالإِيمَاءِ، كَمَا دَلَّ الْمُضْمَرُ عَلَى مَا طَالَ مِنَ الأَسْمَاءِ، أَقُولُ فِى الإِخْبَارِ، أَمَرْتُ أَبَا عَبْدِ الْجَبَّارِ، فَإِذَا أَضْمَرْتُهُ، عُرِفَ مَتَى قُلْتُ أَمَرْتُهُ، وَأَبَلَّ مِنَ الْمَرَضِ وَالتَّمْرِيضِ، بِمَا أَسْقَطَ مِنْ شُهُودِ الْقَرِيضِ، كَأَنَّهُمْ فِى تِلْكَ الْحَالِ، شَهِدُوا بِالْمُحَالِ، عِنْدَ قَاضٍ، عَرَفَ أَمَانَتَهُمْ، بِالانْتِقَاضِ، عَلَى حَقٍّ عَلِمَهُ بِالْعِيَانِ، فَاسْتَغْنَى فِيهِ عَنْ كُلِّ بَيَانٍ[1]، وَقَدْ تَأَمَّلْتُ شَوَاهِدَ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ، فَوَجَدْتُهَا عَشَرَةَ أَنْوَاعٍ فِى عِدَّةِ إِخْوَةِ الصِّدِّيقِ، لَمَّا تَظَاهَرُوا عَلَى غَيْرِ حَقِيقٍ، وَتَزِيدُ عَلَى الْعَشَرَةِ بِوَاحِدٍ، كَأَخِ لِيُوسُفَ لَمْ يَكُنْ بِالشَّاهِدِ، وَالشِّعْرُ الأَوَّلُ وَإِنْ كَانَ سَبَبَ الأَثَرَةِ، وَصَحِيفَةَ الْمَأْثَرَةِ، فَإِنَّهُ كَذُوبُ الْقَالَةِ، نَمُومُ الإِطَالَةِ، وَإِنَّ قِفَا نَبْكِ عَلَى حُسْنِهَا، وَقِدَمِ سِنِّهَا، لَتُقِرُّ بِمَا يُبْطِلُ شَهَادَةَ الْعَدْلِ الرِّضَى، فَكَيْفَ بِالْبَغِىِّ الأُنْثَى، قَاتَلَهَا اللهُ عَجُوزًا لَوْ كَانَتْ بَشَرِيَّةً، كَانَتْ مِنْ أَغْوَى الْبَرِيَّةِ[2]، وَقَدْ تَمَادَى بِأَبِى يُوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ الاجْتِهَادُ، فِى إِقَامَةِ الأَشْهَادِ، حَتَّى أَنْشَدَ رَجَزَ الضَّبِّ، وَإِنَّ مَعَدًّا مِنْ ذَلِكَ لَجِدُّ مُغْضَبٍ، أَعْلَى فَصَاحَتِهِ يُسْتَعَانُ بِالْقَرْضِ، وَيُسْتَشْهَدُ بِأَحْنَاشِ الأَرْضِ،

(١) الأجمال جمع جمل. والطلاء خيط يشد به الحمل والجوى والأحمال جمع حمل والقلت كل نقرة فى الجسد شبهت بقلت الصخرة وهى نقرة يجتمع فيها الماء والمراد هنا ما بين الترقوة والعنق. والأخرات جمع خرت وهو الثقب فى الأذن، وابن قريب هو الأصمعى. وأبل المريض إذا برأ من مرضه. والمعنى أن الوزير قد أبدع فى اختصار الشىء الكثير فى كلام يسير فكأنه أجرى الفرات فى مثل الأخرات وذلك أن الوزير اختصر كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت وحذف منه الشواهد وجعله مجردًا.

(٢) وإخوة الصديق يريد إخوة سيدنا يوسف عليه السلام. والشعر الأول يريد شعر الجاهلية ولما قال إن إسقاط الوزير لشواهد إصلاح المنطق كان كالقاضى يسقط شهادة من لا يراهم أهلاً للشهادة ضرب على ذلك مثلا بقفا نبك فقال إن هذه القصيدة قد تضمنت من الكلام والأوصاف ما تسقط به شهادة الشاهد العدل فكيف وهى أنثى بغية وجعلها كذلك لأنها تتضمن كثيرًا من الغزل والفحش.

مَا رُؤْبَةُ عِنْدَهُ فِي نَفِيرٍ، فَمَا قَوْلُكَ فِي ضَبٍّ دَامِي الأَظَافِيرِ[١]، وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ يَعْقُوبَ وَجَدَهُ كَالْمُهْمَلِ إِلاَّ بَابَ فَعْلٍ وَفَعَلٍ فَإِنَّهُ مُؤَلَّفٌ عَلَى عِشْرِينَ حَرْفًا سِتَّةٍ مُذْلَقَةٍ، وَثَلاَثَةٍ مُطْبَقَةٍ، وَأَرْبَعَةٍ مِنَ الْحُرُوفِ الشَّدِيدَةِ، وَوَاحِدٍ مِنَ الْمَزِيدَةِ، وَنَفِيثَيْنِ الثَّاءِ وَالذَّالِ، وَآخَرَ مُتَعَالٍ، وَالأُخْتَيْنِ الْعَيْنِ وَالْحَاءِ، وَالشِّينِ مُضَافَةً إِلَى حَيِّزِ الرَّاءِ، فَرَحِمَ اللهُ أَبَا يُوسُفَ لَوْ عَاشَ لَفَاظَ كَمَدًا، أَو احْفَاظَّ حَسَدًا، سَبَقَ، ابْنُ السِّكِّيتِ ثُمَّ صَارَ السُّكَيْتَ، وَسَمَقَ، ثُمَّ جَارَ وَتِدًا لِلْبَيْتِ، كَانَ الكِتَابُ تِبْرًا فِي تُرَابِ مَعْدِنٍ، بَيْنَ الْحُتِّ وَبَيْنَ الْمُتَّدِنِ، فَاسْتَخْرَجَهُ سَيِّدُنَا وَاسْتَوْشَاهُ، وَصَقَلَهُ فِكْرُهُ وَوَشَّاهُ، فَغَبَطَهُ النِّيَرَاتُ عَلَى التَّرْقِيشِ، وَالآلِ النَّقِيشِ، فَهُوَ مَحْبُوبٌ لَيْسَ بِهَيْنٍ، عَلَى أَنَّهُ ذُو وَجْهَيْنِ، مَا نَمَّ قَطُّ وَلاَ هَمَّ، وَلاَ نَطَقَ وَلاَ أَرَمَّ، قَدْ نَابَ فِي كَلاَمِ العَرَبِ الصَّمِيمِ، مَنَابَ مِرآةِ الْمُنَجِّمِ فِي عِلْمِ التَّنْجِيمِ، شَخْصُهَا ضَئِلٌ مَلْمُومٌ، وَفِيهَا الْقَمَرَانِ وَالنُّجُومُ[٢]، وَأَقُولُ بَعْدُ فِي إِعَادَةِ اللَّفْظِ إِنَّ حُكْمَ التَّأْلِيفِ

(١) وأبو يوسف هو يعقوب بن السكيت صاحب كتاب إصلاح المنطق فالمعرى لما ذكر أن شواهد إصلاح المنطق فى عدة إخوة الصديق وهو يوسف عليه السلام ناسب أن يذكر ابن السكيت هنا بكنيته وهى أبو يوسف ليورى فى الكلام ورجز الضب هو قول العرب على لسان الضب:

أصبح قلبى صردا لا يشتهى أن يردا
إلا عرادا عردا وصليانا يردا

والعراد من الحمض. والصليان نبت تأكله الإبل. وهذا من زعمات العرب فيما يروونه وينسبونه إلى البهائم. فالمعرى يقول إن أبا يوسف لم يكتف فى إيراد الشواهد فى كتابه من كلام العرب فقط بل تمادى إلى أن أتى بالكلام المنسوب إلى الضب شاهدًا أيضًا ثم قال أبو العلاء وإن معدًا وهو معد بن عدنان شيخ العرب وصاحب فصاحتها مغضب من ذلك أى من استشهاد يعقوب على فصاحته ولغته بكلام أحناش الأرض وهى صغار دوابها. والقرض من قرض الشعر قرضا إذا قاله. وقوله وما رؤبة عنده فى نفير يريد أن رؤبة بن العجاج الراجز المشهور الذى يستشهد بكلامه فى اللغة ليس بشىء يذكر فى جنب معد بن عدنان فكيف يستشهد بكلام الضب على كلامه.

(٢) الحروف المذلقة هى الراء واللام والنون والفاء والباء والميم وثلاثة مطبقة وهى الصاد والضاد والطاء. والظاء من حروف الإطباق ولكن يعقوب لم يؤلف عليها فى هذا الباب وأربعة من الحروف الشديدة وهى الجيم والدال والكاف والتاء. والواحد الذى من المزبدة هو السين والنفيثان الذال والثاء لأنهما من حروف النفث وهى ثلاثة. وآخر متعال أى القاف لأنها من حروف الاستعلاء وفاظ: مات. واحفاظت الجيفة: إذا انتفخت. والسكيت: آخر فرس يجىء فى الحلبة. وحمار: رجع. =

فى ذِكْرِ الْكَلِمَةِ مَرَّتَيْنِ، كَالْجَمْعِ فى النِّكَاحِ بَيْنَ أُخْتَيْنِ، الأُولَى حِلٌّ يُرَام، وَالثَّانِيَةُ بَسْلٌ حَرَامٌ، كَيْفَ يَكُونُ فى الهَوْدَجِ لَمِيسَان، وَفِى السَّبَّةِ خَمِيسَان، يَا أَمَ الْفَتَيَاتِ حَسْبُكِ مِنَ الهُنُودِ، وَيَا أَبَا الْفِتْيَانِ شَرْعُكَ مِنَ السُّعُودِ، عَلَيْكِ أَنْتِ بِزَيْنَبَ وَدَعْدٍ، وَسَمِّ أَيُّهَا الرَّجُلُ بِسِوَى سَعْدٍ، مَا قَلَّ أَثِيرٌ، وَالأَسْمَاءُ كَثِيرٌ، مَثَلُ يَعْقُوبَ مَثَلُ خُودٍ كَثِيرَةِ الْحُلِىِّ ضَاعَفَتْهُ عَلَى التَّرَاقِ، وَعَطَّلَتِ الْخَضْرَ وَالسَّاقَ[1]، كَانَ يَوْمُ قُدُومِ تِلْكَ النُّسْخَةِ يَوْمَ ضَرِيبٍ، حَشَرَ الْوَحْشَ مَعَ الإِنْسِ، وَأَضَافَ الْجِنْسَ إِلَى غَيْرِ الْجِنْسِ، وَلَمْ يَحْكُمْ عَلَى الظِّبَاءِ، بِالسِّبَاءِ، وَلاَ رَمَى الآجَالَ، بِالأَوْجَالِ، وَلَكِنَّ الأَضْدَادَ تَجْتَمِعُ، فَتَسْتَمِعُ، وَتَنْصَرِفُ بِلَذَّاتٍ مِنْ غَيْرِ أَذَاةٍ، وَإِنَّ عَبْدَهُ مُوسَى لَقِيَنِى نِقَابًا، فَقَالَ هَلُمَّ كِتَابًا، يَكُونُ لَكَ شَرَفًا، وَبِمُوَالاَتِكَ فى حَضْرَةِ سَيِّدِنَا أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ مُعْتَرِفًا، فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى، وَإِنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى، وَأَحْسَبُهُ رَأَى نُورَ السُّؤْدَدِ، فَقَالَ لِمُخَلَّفِيهِ مَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لأَهْلِهِ: ﴿إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّى آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، فَلَيْتَ شِعْرِى مَا يَطْلُبُ أَقَبَسَ ذَهَبٍ، أَمْ قَبَسَ لَهَبٍ، بَلْ يُتَشَرَّفُ بِالأَخْلاَقِ الْبَاهِرَةِ، وَيُتَبَرَّكُ بِالأَحْسَابِ الطَّاهِرَةِ.

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَقْتَبِسْنَ لَهَا ... جَزْلَ الْجِذَى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلاَ دَعِرِ

وَقَدْ آبَ مِنْ سَفْرَتِهِ الأُولَى وَمَعَهُ جُذْوَةٌ مِنْ نَارٍ إِنْ لُمِسَتْ فَنَارُ إِبْرَاهِيمَ، أَوْ

= وسمق علا. والتبر الذهب اليابس. والحت الرمل الخشن. والمتدن اللين. والترقيش التزيين. والآل الشخص. ولا أرم أى ولا سكت. يقول إن الكتاب ساكت ناطق.

(١) والبسل معنى الحرام، والخميس الرمح، لميسان مثنى لميس من أعلام النساء وذلك كقول الآخر وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد. وشرعك أى حسبك، وقوله يا أم الفتيات حسبك من الهنود يقول إن المرأة إذا كان لها أكثر من فتاة فحسبها أن تسمى إحداهن بهند وتسمى ما بقى منهن بأسماء أخرى وكذلك الرجل إذا كان له أكثر من غلام فحسبه أن يسمى أحدهم بسعد والباقين بأسماء غيره فإن لم يفعل ذلك بل جعل كرر اسم سعد فى أبنائه ثقل ذلك ووقع الاشتباه فى النداء ولم يكن حسنًا وضرب هذا مثلا على أن ذكر الكلمة مرتين وهو ما وقع فى كتاب يعقوب ليس بحسن.

أُونِسَتْ فَنَارُ الْكَلِيمِ[١]، وَاجْتَنَى بَهَارًا حَيَّتْ بِهِ الْمَرَازِبَةُ كِسْرَى، وَحُمِلَ فِى فَكَاكِ الأَسْرَى، وَأَدْرَكَ نُوحًا مَعَ الْقَوْمِ، وَبَقِىَ غَضًّا إِلَى الْيَوْمِ، وَمَا انْتَجَعَ مُوسَى إِلاَّ الرَّوْضَ الْعَمِيمَ، وَلاَ اتَّبَعَ إِلاَّ أَصْدَقَ مُغِيمٍ[٢]، وَوَرَدَ عَبْدُهُ الزُّهَيْرِىُّ مِنْ حَضْرَتِهِ الْمُطَهَّرَةِ، كَأَنَّهُ زَهْرَةُ بَقِيعٍ، أَوْ وَرْدَةُ رَبِيعٍ، كَثِيرَةُ الْوَرَقِ، طَيِّبَةُ الْعَرَقِ، وَلَيْسَ هُوَ فِى نِعْمَتِهِ كَالرِّيمِ، فِى ظِلاَلِ الصَّرِيمِ، وَالْجَابِ، فِى السَّحَابِ الْمُنْجَابِ، لأَنَّ الظَّلاَمَ يُسْفِرُ، وَالْغَمَامَ يَنْسَفِرُ، وَلَكِنَّهُ مِثْلُ النُّونِ فِى اللُّجَّةِ وَالأَعْفَرِ تَحْتَ جِرِبَّةٍ[٣]، وَقَدْ كُنْتُ عَرَّفْتُ سَيِّدَنَا فِيمَا سَلَفَ أَنَّ الأَدَبَ كَعُهُودٍ، فِى أَثَرِ عُهُودٍ، أَرْوَتِ النِّجَادَ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْوُهُودِ، وَأَنِّى نَزَلْتُ مِنْ ذَلِكَ الْغَيْثِ بِبَلَدٍ طَسْمٍ كَأَثَرِ الْوَسْمِ، مَنَعَهُ الْقِرَاعُ، مِنَ الإِمْرَاعِ، يَا بُؤْسَ بَنِى سَدُوسَ، الْعَدُوُّ حَارِبٌ، وَالْكَلأُ عَارِبٌ، يَا خِصْبَ بَنِى عَبْدِ الْمَدَانِ، ضَأْنٌ فِى الْحُرْبُثِ وَضَأْنٌ فِى السَّعْدَانِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَتْعَبْتُ الأَظَلَّ، فَلَمْ أَجِدْ إِلاَّ الْحَنْظَلَ، فَلَيْسَ فِى اللَّبِيدِ، إِلاَّ الْهَبِيدُ، حَنِيئُهُ مِنْ شَجَرَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ، لَبَنُ الإِبِلِ عَنِ الْمَرَارِ مُرٌّ، وَعَنِ الأَرَاكِ طَيِّبٌ حُرٌّ، هَذَا مَثَلِى فِى الأَدَبِ[٤]، فَأَمَّا فِى النَّشَبِ، فَلَمْ تَزَلْ

(١) الضريب ما يسقط من السماء من ثلج والسباء الأسر والأجال جمع أجل وهو القطيع من الظباء. ونقابًا أى مفاجأة ومخلفيه أى الذين خلاهم خلفه. والجذى جمع جذوة والخوار الضعيف والدعر الذى يدخن والمعنى إذا سقط الثلج هرب أنواع الحيوانات على اختلاف أجناسها فالتجئوا إلى الإنس فاستكنوا تحت عروشهم من الضريب فشبه أبو العلاء اجتماع الناس على اختلافهم بين عالم وجاهل يوم ورود كتاب الوزير بذلك. وقوله أحسبه رأى نور السؤدد يقول كان موسى هذا رأى نور الوزير فترك أهله وقصده كما قصد موسى عليه السلام النار لما رآها.

(٢) انتجع ذهب لطلب الكلأ.

(٣) البقيع المكان الواسع. والريم الظبى الأبيض. والصريم الليل والجاب حمار الوحش. والمنجاب المنكشف. والأعفر ظبى يعلو بياضه حمرة وجربه من أسماء السماء والمعنى يقول ليس الزهيرى تحت ظل نعمة الوزير كالظبى تحت ظل الليل بل هو كالحوت تحت البحر وذلك لأن ظل الليل قد ينكشف عن الظبى وذلك إذا طلع النهار فهو غير دائم عليه أما البحر فماؤه على الحوت لا ينفصل عنه مطلقًا ولا يفارقه برهة.

(٤) العهود الأمطار. والنجاد جمع نجد وهو ما علا من الأرض. والوهود جمع وهد وهو ما انخفض من الأرض. ويقال بلد طسم أى دارس وكاثر الوسم أى لا ينبت شيئًا لأن الوسم إذا وقع فى الجلد =

لى بحمد الله وبقاء سيدنا بلغتان بلغة صبر، وبلغة وفر، أنا منهما بين الليلة المرعية، واللقوح الربعية، هذه عام، وتلك مال وطعام، والقليل سنم إلى الجليل، كالمصلى يريغ الضوء، بإسباغ الوضوء، والتكفير، بإدامة التعفير، وقاصد بيت الله لغسل الحوب، بطول الشحوب، وأنا فى مكاتبة حضرة سيدنا الجليلة، والميل عن حضرة سيدنا الأجل والده، أعز الله سلطانه، كسبإ بن يعرب لما ابتهل فى التقرب إلى خالق النور، ومصرف الأمور، نظر فلم ير أشرق من الشمس يدا، فسجد لها تعبدا[1]، وغير ملوم سيدنا لو أعرض عن شقائق النعمان الربعية، ومدائحه اليربوعية، ملالا من أهل البلد المضاف إلى هذا الاسم، فغير معتذر، من أبغض لأجلهم بنى المنذر، وهم إلى حضرته السنية رجلان سائل وقائل، أما السائل فألح، وأما القائل فغير مستملح[2]، وقد

= لم ينبت ويرا ولا غيره والقراع من قولهم قارعه باليسم إذا وسمه والقراع المقارعة فى الحرب أيضا والمراد هنا المعنيان، ويابوس بن سدوس مثل مولد. وحازب أى قريب وعازب أى بعيد. والحريث نبت والأظل باطن الخف. واللبيد الجوالق الصغار. والهبيد حب الحنظل والمرار نبت شديد المرارة إذا رعته الإبل أمرت ألبانها وطيب حر أى خالص يقول إنه نشأ فى المعرة وهى ثغر قريب من العدو مهدد فى كل آن خال من الفضلاء والعلماء فلم يحصل من الأدب على طائل ولما كان محصوله فى الأدب قليلا كانت بضاعته قليلة وصناعته فيه ليست بالجيدة وضرب على ذلك مثلا بأن الإبل التى لا تجد من النبت والرعى إلا المرار يكون لبنها مرا والتى ترعى الأراك يكون لبنها خالصا يريد أن كل إناء بالذى فيه ينضح وأن إناءه لم يكن فيه شيئا جيدا من الأدب والعلم حتى يجود به.

(١) النشب المال. والليلة المرعية التى ترعى نجومها واللقوح الناقة التى تنتج. والربعية التى تنتج فى أول الربيع وتقول العرب اللقوح الربعية مال وطعام يقول إن له من النشب قليل من الصبر وقليل من المال فهو يعانى من الصبر ما يعانيه ساهر الليلة وراعى النجوم وإن ليلة كهذه تحسب بسنة وأما الوفر فهو وإن قل كالمقوح الربعية بالنسبة إليه يستعين به على تقويم أوده. ويريغ يطلب. والضوء النور كالضوء. والتكفير أى التكفير عن الذنوب. والتعفير تمريغ الوجه بالتراب. والحوب الإثم. وقوله كسباء بن يعرب يريد أنى كتبت لك أتقرب بك إلى أبيك كتقرب سباء بعبادة الشمس إلى خالق النور ومصرف الأمور.

(٢) شقائق النعمان الربعية التى تنبت فى الربيع والنعمان بن المنذر كان يعجبه هذا الضرب من النبت ويحمى منابته فينسبه إليه. ومدائحه اليربوعية مراد به ما مدح به النابغة النعمان والنابغة من بنى =

سَتَرْتُ نَفْسِي عَنْهَا سَتْرَ الخَمِيصِ، بِالْقَمِيصِ، وَأَخِي الهِتْرِ، بِسُجُوفِ السِّتْرِ، فَظَهَرَ لِي فَضْلُهُ الَّذِي مَثَلُهُ مَثَلُ الصُّبْحِ إِذَا لَمَعَ تَصَرَّفَ الْحَيَوَانُ فِي شُئُونِه، فَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ الْيَرْبُوعُ، وَبَرَزَ الْمَلِكُ مِنْ أَجَلِّ الرُّبُوعِ، وَقَدْ يُولَعُ الْهِجْرِسُ، بِأَنْ يَجْرِسَ، فِي الْبَلَدِ الْجَرْدِ، قُدَّامَ أَسَدٍ وَرْدٍ، وَإِنِّي خُبِّرْتُ أَنَّ تِلْكَ الرِّسَالَةَ الأُولَى عُرِضَتْ بِالْمَوْطِنِ الْكَرِيمِ فَأَوْجَبَ ذَلِكَ رَحِيلَ أُخْتِهَا، مُتَعَرِّضَةً لِمِثْلِ بَخْتِهَا، وَكَيْفَ لاَ تَنْقَعُ، وَفِي اليَمِّ تَقَعُ وَهِيَ بِمَقْصِدِ سَيِّدِنَا فَاخِرَةٌ، وَلَوْ نُهِيَتِ الأُولَى لاَنْتَهَتِ الآخِرَةُ[1].

* * *

= يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان والبلد المضاف إلى هذا الاسم يريد معرة النعمان يقول إن أهل معرة النعمان رجلان إما سائل من الوزير عطاءه ومنحه ملح فى ذلك وإما قائل فى مدح الوزير من القول ما لا يستملح ولا يستحسن فهم بذلك ثقلاء لا يلام الوزير إذا أبغض الشقائق ومدائح النابغة بل وبنى المنذر جميعًا لمجرد إضافة بلد هؤلاء الناس وهى المعرة إلى النعمان.

(١) والخميص الضامر البطن من الجوع والهتر الخرف واليربوع نوع من الفأر. والهجرس ولد الثعلب ويجرس أى يصوت. وجرد أى منجرد من النبت يريد أن المعرى كان مستترًا فلما ظهر فضل الوزير وهو كالصبح الذى إذا أشرق تحرك كل حيوان وكل إنسان بطبعه وإلى ما يناسبه من العمل تحرك المعرى قسرًا إلى مدحه ومكاتبته. ثم قال وليس ذلك بعجيب فقد يولع الثعلب الصغير بأن يصوت أمام الأسد. (والرسالة الأولى هى رسالة المنيح التى كان كتبها للوزير قبل هذه الرسالة).

وكتب إلى بعض أولياء السلطان يشفع فى صديق له كان عاملاً يعرف بالحسين بن عنبسة بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

كتَابِى أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِى الأُسْتَاذ مَالِكًا خَزَائِمَ الأُمُورِ، وَاطِئًا أَعْنَاقَ الدُّهُورِ، عَنْ حَالٍ تُشْكَرُ، وَنِعْمَةٍ لاَ تُنْكَرُ، أَنَا مَعَهُمَا بِالتَّقْصِيرِ عَنْ وَاجِبَاتِه مُقِرٌّ، وَلِشَرَفِ أَخْلاَقِه مُظْهِرٌ وَمُسِرٌّ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلاَتُهُ عَلَى صَفْوَتِه الْمُنْتَخَبِينَ[1]، وَأَحْلِفُ بِالْقَسَمِ الْعَازِمِ، وَالنَّذْرِ اللاَّزِمِ، مَا ذَاتُ طَوْقٍ لاَ تَنْزَعُهُ، وَبُرْدِ مِنَ الرَّبِيعِ لَيْسَتْ تَخْلَعُهُ، جَادَ الْوَسْمِىُّ لَهَا فَأَرَنَّتْ، وَبَكَتْ شَجْوَهَا لاَ تَغَنَّتْ، عَالِيَةً ذُؤَابَةَ فَنَنٍ غَضٍّ، فَهِىَ لاَ فى السَّمَاءِ وَلاَ فى الأَرْضِ، تُكَرِّرُ الْقَيلَ، وَتَنْطِقُ الْخَفِيفَ وَالثَّقِيلَ، بِأَشْوَقَ إِلَى هَدِيلِهَا مِنِّى إِلَى مُشَاهَدَتِه، وَلاَ آسَفَ عَلَى خَلِيلِهَا مِنْ قَلْبِى عَلَى فَائِتِ خِدْمَتِه[2]، وَإِنْ عَقَقْتُ نفسى بِتَرْكِ الْمُكَاتَبَةِ، عُقُوقَ الضَّبِّ وَلَدَهُ، وَالسَّارِقِ يَدَهُ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِهَمٍّ وَاغِلٍ، وَخَطْبٍ شَاغِلٍ، وَتَوَخِّيًا لِلتَّخْفِيفِ، وَتَنَكُّبًا عَنِ التَّكْلِيفِ، وَإِنِّى لأَصْبُّ إِلَى لِقَائِه صَبَابَةَ الْعُودِ إِلَى وَطَنِه، وَذِى الشَّجَنِ إِلَى شَجَنِه، وَأَحِنُّ فى خِلاَلِ ذَلِكَ إِلى مُنَاجَاتِه، حَنِينَ الشَّوَارِفِ إِلَى السِّقَابِ، وَالْهَوَائِفِ إِلى وُرُودِ النِّقَابِ[1]، إِذْ كَانَ ضَيْفُهُ لاَ يَبِيتُ مَبِيتَ الْقَفْرِ،

---

(١) الخزائم جمع خزامة وهى ما يجعل فى أنف البعير ويجعل فيه طرف الزمام فيقاد به يريد أنه مدبر الأمور يصرفها كيف شاء.

(٢) القسم العازم أى القاطع وذات طوق أى حمامة. والوسمى المطر وأرنت صوتت. والشجو الهم والحزن، وذؤابة الشىء أعلاه والقيل يريد الصوت والهديل فرخ حمام مات أول الزمن ويقال إن كل حمام بكى إنما يبكى عليه.

(٣) الضب يأكل أولاده وذلك أن الضبة تحرس بيضها من كل حيوان كالورل ونحوه حتى اذا استخرجتها من قيضها ظنت أنها شىء يريد أن يأكل أولادها فاقبلت عليها تقتلها وتأكلها فلم ينج منها إلا الشريد هكذا تزعم العرب، وواغل أى داخل. والعود هو المسن من الإبل، ومعروف أن =

وَغَيْرُ جَارٍ مُرَادِسًا خُلْبَ الْجَفْرِ، وَأَنْتَشِى أَخْبَارَهُ الطَّيِّبَةَ انْتِشَاءَ الزَّهَرِ، وَأَسْتَافُهَا كُلَّ عَشِيٍّ وَسَفَرٍ، وَلِى بِهَا وَجْدُ الصَّادِيَةِ، بِمَاءِ الْغَادِيَةِ، لاَ يَزَالُ يُبْهِجُنِى بِهَا بَاكِرٌ مَعَ الشَّارِقِ، وَآئِبٌ إِيَابَ الطَّارِقِ، جَعَلَهَا اللهُ أَبَدًا ضَاحِكَةَ الْبَشِيرِ، سَارَّةً لِلصَّدِيقِ وَالْعَشِيرِ[1]، وَإِنِّى لأَشْتَهِرُ بِمَوَدَّتِه اشْتِهَارَ الأَبْلَقِ الْعَقُوقِ، وَأَسْتَدِلُّ بِمَعْرِفَتِه اسْتِدْلاَلَ شَائِمِ الْبُرُوقِ، وَلَوْ كَتَمْتُهَا نَمَّ بِهَا الْخَلَدُ نَمِيمَةَ الزُّجَاجِ بِالرَّاحِ، وَالنَّخْلَةِ بِنَفْسِهَا فِى الْبَرَاحِ، وَكَيْفَ يَسْتَتِرُ مَنْ قَادَ الْبَازِلَ، وَيَسْتَسِرُّ مَنْ طَوَى الْمَنَازِلَ، وَالنَّظْرَةُ مِنْ ذِى عَلَقٍ كَافِيَةٌ، وَالنَّهْلَةُ بَعْدَ طَلَقٍ شَافِيَةٌ[2]، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الثَّاوِىَ بِسَاحَتِه لاَ تَسْنَحُ لَهُ الظِّبَاءُ، وَلاَ يُهْتَكُ عَلَيْهِ الْخِبَاءُ، وَلاَ يُصَادِفُهُ وِرْدُ نَطَاةٍ، وَلاَ الشَّافِعَةُ لِدَائِرَةِ اللَّطَاةِ، لَكِنْ يَنَامُ لأَمْنِه نَوْمَ الْجَارِيَةِ، عَنْ سَوْمِ السَّارِيَةِ، وَيَطَّرِحُ الْهُمُومَ فِكْرُهُ اطِّرَاحَ الآبِقِ، إِبَالَتَهُ، وَالْمُخْفِقِ، حِبَالَتَهُ، وَأَنَّ

= الإبل تشتاق إلى أوطانها كما قال:

لو ترك الشوق لنا قلوبًا إذًا لآثرنا بهن النيبا

إن الغريب يسعد الغريبا

وذى الشجن إلى شجنه أى ذى الحاجة إلى حاجته. ومناجاته محادثته. والشوارف جمع الشارف وهى الناقة المسنة. والسقاب جمع سقب وهو ولد الناقة. والهوائف العطاش.

(١) المرادس الذى يلقى حجرًا فى البئر لينظر هل فيها ماء أم لا. والخلب الطين، والجفر البئر ويريد بذلك أن غير جاره من يفعل ذلك أما جاره فهو واثق من الماء والرى متحصل عليه بلا عناء وعمل. وأستافها أشمها والسفر الصباح والصادية العطشانة.

(٢) قوله شائم البروق كانت العرب إذا شامت لمح البرق فى جهة ثم عدوا مائة بارقة متوالية استدلوا بذلك على نزول المطر فى تلك الجهة فرحلوا إليها من غير أن يرسلوا رائدًا. والخلد القلب. ويستسر يختفى. والبازل الجمل الذى بزل أى انشق نابه والعرب تقول فلان يقود الجمل أى أنه مشهور. ومنه قول القلاخ:

أنا القلاخ بن جناب بن جلا أبو خنائير أقود الجملا

أى أنا ظاهر لا أخفى على أحد. وقوله من طوى المنازل يريد من قطع منزلتين أو أكثر فى مرحلة وكان من يفعل ذلك يشهر عند العرب وقد طوى حذيفة بن بدر عشر مراحل فى مرحلة. وطوى حمران مولى عثمان رضى الله عنه ما بين مكة والمدينة فى يوم وليلة. ومن ذى عاق أى من ذى حب. والنهلة الشربة. والطلق اسم سير الإبل إذا كان بينها وبين المنهل ليلتان.

نَزِيلَ غَيْرِهِ كَالأَشْقَرِ إِنْ تَقَدَّمَ نُحِرَ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عُقِرَ[١]، وَكَانَ سَيِّدِى أَبُو فُلاَن لاَ يَفْتَأُ لَهِجًا بِمَا أَوْلاَهُ سَيِّدِى الأُسْتَاذُ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ وَإِنَّهُ بِعِنَايَتِهِ سَلِمَ، بَعْدَمَا كُلِمَ، وَاسْتُنْقِذَ، بَعْدَمَا وُقِذَ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَعُدَّ جَنَاةَ الرَّائِدِ، وَحَصَاةَ الذَّائِدِ، وَلَسُقِىَ بِكَدَرٍ وَتُرِكَ عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدَرِ، فَأَنْجَاهُ اللهُ جَلَّ اسْمُهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ صَفَرِ الإِنَاءِ، وَمَعَرِ الْفِنَاءِ، فَأَضَافَ اللهُ لَهُ الأَجْرَ الآجِلَ، إِلَى الشُّكْرِ الْعَاجِلِ، فَقَدْ مَنَعَهُ أَنْ يُجَذَّ جَذَّ الصِّلِّيَانَةِ، وَيُقْتَرَفَ اقْتِرَافَ الصَّرِبَةِ، وَيَسْقُطَ سُقُوطَ نَابِ الْمُخْلِفِ، وَيُلْتَمَعَ الْتِمَاعَ شُفَافَةِ السُّعْنِ الْبَدِيعِ، وَتِلْكَ عُرًى انْعَقَدَتْ، وَأَسْبَابٌ تَوَكَّدَتْ، لَمَّا كَانَتْ عِنَايَةُ سَيِّدِى أَيَّدَهُ اللهُ مِنْهُ عَلَى طَرَفِ الثُّمَّةِ، وَدُونَ القِمَّةِ، فَآنِسُهُ بَيْنَ سَمْعِ البِيدِ وَبَصَرِهَا، وَمَرَاشِحِ العِينِ لِجَآذِرِهَا، شَرَّابٌ بِأَنْقَاعٍ، مُوقِدٌ نَارَهُ بِالْيَفَاعِ.

تُؤْنِسُــهُ دَائِــرَةٌ لاَ تَفْزَعُ ... عِنْدَ اللِّقَــاءِ وَخَطِيبٌ مِصْقَعُ
سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَىَّ حِينٍ أَتَيْتَهُ ... أَسَاعَةَ بُؤْسَى تُتَّقَى أَمْ بِأَسْعُدِ[٢]

(١) لا تسنح له الظباء أى لا تمر به الظباء السوانح التى يتشاءم منها. وورد نطاة أى حمى خيبر فإن الورد اسم الحمى ونطاة اسم خيبر، ودائرة اللطاة هى دائرة فى وسط جبهة الفرس والدائرة الشافعة لها التى يشير إليها المعرى هى مما يتشاءم منه ويفزع له. والجارية الفتاة الصغيرة والسارية الإبل ومثل هذه الفتاة مرفوع عنها مثل هذه المهن الشاقة من سوق النوق ونحوه. والآبق الهارب والإبالة الحزمة. والمخفق الصائد الذى يرجع ولا يصيد فيرمى حبالته. وقوله كالأشقر هذا مثل قاله لقيط ابن زرارة يوم شعب جبلة سيدى أبو فلان هو الحسين بن عنبسة الذى كتب أبو العلاء هذه الرسالة يشفع فيه.

(٢) كلم جرح. وقد ضرب حتى كاد يهلك جناة الرائد ما يجنيه كالكلاء وقوله حصاة الذائد، الذائد الذى يذود الإبل عن حوضه أى يطردها ويرميها بالحصى لئلا تشرب منه ويريد بذلك لولاك لكان ماكولاً مطروحًا وسقى بكدر أى بماء غير صاف، وترك على مثل ليلة الصدر يعنى فى محل قفر لا شىء عنده وذلك أن العرب كانت ترد المنهل جماعات وزرافات ثم تصدر عنه مرة واحدة فيبقى خاليًا لا أنيس به. وصفر الإناء خلوه. ومعر الفناء ذهاب أهله وخلو الدار منهم. ويجذ يقطع من أصله. والصليانة واحدة الصليان وهو نبت تحبه حمر الوحش فإذا أراد الحمار أكله وأخذ بطرف الصليانة نزعها من أصلها فلذلك تقول العرب لمن اجتث أصله جذجذ الصليانة. والصربة صمغ يخرج من بعض العضاه من الشجر فإذا نزعه الإنسان من شجرته لم يبق له أثر بها. والمخلف =

وَفِى كُلِّ ثَلاَثٍ تَرِدُ كُتُبُهُ مُحِيطَةً مِنْ شُكْرِ مِنَنِهِ بِالأَوْقَارِ، مُتَّصِلَةً بِذَلِكَ ذَاتَ الْمِرَارِ، وَهَلْ جُرِىَ عَلَى غَرِيبٍ شَاكِلَةٍ، أَوْ سَارَ فى دَارِسِ مَحَجَّةٍ، إِنَّمَا اتَّبَعَ طَرِيقًا لأُسْرَتِهِ كَقَرَا الثُّعْبَانِ وَبَارِىِّ الصِّنَاعِ.

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِىَّ إِلاَّ وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلاَّ فى مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

وَغَيْرُ مَلُومٍ مَنْ عَشِقَ الثَّنَاءَ لأَنَّهُ أَحْسَنُ حَبِيبٍ مَزُورٍ، وَأَبْقَى مُنْفِسٍ مَذْحُورٍ، وَأَوْفَاكَ مُثْنٍ مَا أَسْدَيْتَ، وَجَزَاكَ مُعْتَرِفٌ الَّذِى أَوْلَيْتَ، وَقَدْ بَثَّ أَهْلُ أَبِى فُلاَنٍ الدُّعَاءَ فى كُلِّ رِيعٍ، وَرَجَوْهُ رَجَاءَ الرَّبِيعِ.

لِزُغْبٍ كَأَوْلاَدِ الْقَطَا رَاثَ خَلْفُهَا عَلَى عَاجِزَاتِ النَّهْضِ حُمْرٍ حَوَاصِلُهْ

فَأَنَا أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِى وَهَذَا الرَّجُلُ فَرْعًا سَمُرَةً، وَقَضِيبًا أَرَاكَةً، وَطَائِرًا وَكْرٍ، وَأَلِيفًا وَادٍ، تَنْصُرُنَا الْغَمَامَةُ الْوَاحِدَةُ، وَتُضِىءُ لَنَا اللَّمْعَةُ الْفَارِدَةُ، بَلْ نَزِيدُ

= من الإبل بعد البازل فإذا سقط ناب المخلف لا ينبت له بعد ذلك. ويلتمع يختلس والمراد هنا يشرب والشفافة البقية ومنه قول الأعرابية تصف زوجها إذا أكل لف وإذا شرب اشتف أى لم يبق شيئًا. والسعن البديع جلد يوضع فيه العسل. وقوله تلك عرى انعقدت يقول إنما تم له ما تم من الخلاص من الأذى والحصول على الخير بعناية سيدنا ورعايته له وقوله فآنسه بين سمع البيد وبصرها يقول صاحب هذا الرجل ومزيل الوحشة عنه بين سمع الأرض وبصرها ومراشح العين لجآذرها أى فى الغربة، شراب بإنقاع أى همام مقدام مجرب موقد ناره باليفاع أى شهير طائر الصيت ويعنى بذلك الأمير الذى يخاطبه أبو العلاء بهذه الرسالة والذى هذا الرجل المشفوع فيه نازل عنده وقوله تؤنسه دائرة لا تفزع يريد تحيط به وتؤنسه دائرة من الأعوان والأنصار لا تفزع عند لقاء الأعداء. وقوله سواء عليه يعنى أن هذا الأمير كريم على كل حال.

(١) لأسرته أى لعشيرته، وقرا الثعبان أى ظهر الثعبان، والبارى الحصير المنسوج، والصناع الحاذق صنعته يريد طريقًا واضحًا وقال الراجز:

يا حبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج

والريع المكان المرتفع قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]. وقوله لزغب كأولاد القطا يريد أطفال هذا الرجل وبنيه. والمعنى أن الحسين بن عنبسة الذى كتب أبو العلاء هذه الرسالة يشفع فيه كان متغيبًا عند الأمير عن أهله وأطفاله وكان يرسل فى كل ثلاث كتابًا لأبى العلاء يذكر فيه منن الأمير عليه فأبو العلاء يرجو أن يكمل نعمته على هذا الرجل بإرساله إلى بلده عند أهله وأطفاله كما بين ذلك فى آخر الرسالة.

عَلَى هَذَا التَّمثيلِ، فَنَكُونُ بَنَانَىْ يَد، وَرِيشَتَى جَنَاحٍ، وَشُعْبَتَىْ غُصْنٍ إِذَا أَمَالَهُ النَّسِيمُ مِلْتُ، وَإِن اعْتَدَلَ لَهُ اعْتَدَلْتُ، فَلِسَانِى يَنْطِقُ عَنْ ضَمِيرِهِ نُطْقَ الْمِزْمَارِ عَنْ فَمِ الْقَاصِبَةِ، وَالأَوْتَارِ عَنْ أَنَامِلِ الضَّارِبَةِ، وَقَدْ كُنْتُ عَجِزْتُ عَنْ أَدَاءِ حَقِّ سَيِّدِى عَجْزَ رَوْقِ الْفَنَاةِ، دُونَ إِدْرَاكِ الْقَنَاةِ، وَضَمِينِ الْوَجْذِ الْمَوْرُودِ، عَنْ تَغْمِيرِ نَعَمٍ مَطْرُودٍ، فَمَا تُرَانِى الآنَ أَقُولُ عَلَى أَىِّ صِرْعَىَّ أَقَعُ، وَفِى أَىِّ وَجْهٍ أَبْقَعُ، حَيَّاكَ مَنْ خَلاَ فُوهُ لاَ أُحَدِّثُ عَرِيبًا، وَلاَ أَسْأَلُ مُجِيبًا، حَسْبُ اللِّسَانِ تَقْرِيظُ الْمُنْعِمِ، وَالْجَنَانِ مِقَةُ الْمُتَفَضِّلِ الْمُكْرِمِ[1]، وَلَسْتُ أَدَعُ امْتِرَاءَ كَرَمِهِ وَإِنْ كَفَى، وَلاَ اخْتِفَاءَ دُرِّ مَنَاقِبِهِ، وَإِنْ طَفَا، وَإِتْمَامُ الصَّنِيعَةِ إِتْبَاعُ الْفَرَسِ لِجَامَهَا، وَالنَّاقَةِ زِمَامَهَا، وَإِسْعَادُ أَبِى فُلاَنٍ بِاللَّفْظَةِ، وَرَاءَ اللَّفْظَةِ، وَالْمَشُورَةِ تَلِى الْمَشُورَةَ، حَتَّى يَقْدَمَ عَلَى أَطْفَالِهِ، فَهُمْ لِغَيْبَتِهِ مُبْتَئِسُونَ، وَيَشُنُّونَهُ كُلَّ وَقْتٍ يَتَسَاءَلُونَ، سُؤَالَ الْمُجْدِبِ بِالْكَلاَءِ، وَالْمُسْتَوْحِشِ مِنَ الْوَحْدَةِ عَنِ الْمَلاَءِ، وَيَرْقُبُونَ طُلُوعَهُ عَلَيْهِمْ تَرَقُّبَ مُخَلَّفَاتِ السَّرْبِ مُوَافَاةَ الأُمَّهَاتِ بِالشَّرْبِ، وَبَقَاؤُهُ الْحَاجَةُ الْعُظْمَى، وَالنِّعْمَةُ لَيْسَ مِثْلَهَا نُعْمَى، وَإِنْ كَانَتْ لَهُ شُهَلاَءُ شَرَّفَنِى بِذِكْرِهَا وَنَقَعَ غُلَّتِى بِالْخِدْمَةِ فِيهَا مُتَطَوِّلاً إِنْ شَاءَ اللهُ[2].

---

(١) السمرة شجرة من شجر العضاه معلومة والقاصبة النافخة فى قصب المزمار للترنم بصوته. والضاربة هى ضاربة العود والفناة واحدة الفنى وهو شجر معلوم ومنه قول زهير:

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنى لم يحطم

وضمين الوجذ أى ما فى الوجذ من الماء والوجذ نقرة صغيرة فى الجبل تمسك الماء، والتغمير الرى يريد أعجز عن شكرك عجز هذه النقرة الصغيرة عن إرواء النوق المطرودة، وصرعى أى جانبى. وأبقع أذهب وحياك من خلا فوه مثل معناه المشغول لا يشغل وعريبًا أى أحدًا. يقول كنت عاجزًا عن شكرك أولاً فما عسى أن أصنع الآن أو أقول وقد ضاعفت على المنن بإكرامك هذا الرجل ثم قال ملتفتًا كأنه يخاطب أحدًا حياك من خلا فوه يقول لا تكلمنى فإنى مشغول بمدح الأستاذ والثناء عليه أى كلام آخر.

(٢) الامتراء مسح الضرع حتى يدر اللبن. والاختفاء إظهار الشىء المخفى وقوله وإتمام الصنيعة يقول أنت أكرمته فأتمم صنيعك بأن ترسله إلى أولاده لسرب هو سرب القطا. ومخلفاته فراخه وذلك أن القطاة تترك أفراخها فى الصحراء وتذهب عند طلوع الفجر فى طلب الماء فترده ضحوة يومها فتحمل الماء إلى أفراخها فتنهلها والشهلاء الحاجة.

وكتبُ إلى أبى طاهر المشرف بن سبيكة وهو ببغداد يذكر له أمر شرح السيرافى وما جرى فيه من التعب

بسم الله الرحمن الرحيم

لله الْحَمْدُ، مَا أُحْصِىَ خَطَاءٌ وَعَمْدٌ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مَا الْتَأَمَ شَعْبٌ، وَعَلاَ كَعْبًا كَعْبٌ[١]، شَوْقى إِلَى سَيِّدى الشَّيْخِ، شَوْقُ الْبِلاَدِ الْمُمْحِلَةِ، إِلَى السَّحَابَةِ الْمُسْحِلَةِ[٢]، وَانْتِفَاعى بِقُرْبِه، انْتِفَاعُ الأَرْضِ الأَرِيضَةِ، بِالأَمْوَاهِ الْغَرِيضَةِ، وَتَشَوُّفى لأَخْبَارِه، تَشَوُّفُ رَاعِى أَنْعَامٍ، أَجْدَبَ فى عَامٍ بَعْدَ عَامٍ، لِبَارِقِ يَمَانٍ، هَوْلُهُ مُرْتَقَبٌ مُمَانٍ[٣]، وَأَسَفى لِفَقْدِه أَسَفُ وَحْشِيَّةٍ، رَادَتْ بِالْعَشِيَّةِ، فَخَالَفَهَا السِّرْحَانُ، إِلَى طَلاً رَادَ فَحَانَ، فَهِىَ تَطُوفُ حَوْلَ أَمِيلٍ، وَتَرَى صَبْرَهَا لَيْسَ بِجَمِيلٍ[٤]، وَتَذَكُّرِى لأَوْقَاتِه تَذَكُّرُ الْفَطِيمِ ثَدْىَ الْوَالِدَةِ، وَالْمُقْسِمِ بِالْمِلْحِ لِبَنِى خَالِدَةَ، وَانْتِظَارِى لِقُدُومِه انْتِظَارُ تَاجِرِ مَكَّةَ وَفْدَ الأَعَاجِمِ وَرَبِّ الْمَاشِيَةِ ظُهُورَ النَّبْتِ النَّاجِمِ[٥]، وَفَزَعى إِلَى نَجْدَتِه، فَزَعُ الْغَرِقِ إِلَى سَيْفٍ

(١) وعلا كعبًا كعب يريد ما بقى فى الدنيا شريف ومشروف.

(٢) المسحلة الغزيرة المطر.

(٣) الأريضة الطيبة الصالحة للزراعة. والأمواه الغريضة أى مياه المطر الحديثة العهد بالنزول من السماء. والأنعام هى الإبل. وأجدب أمحلت أرضه والبارق اليمان أى البرق الذى يلمع من جهة اليمن. وهوله أى خوفه. ومرتقب منتظر. وممان أى مطاول يريد أنى أتشوف لأخباره تشوف الراعى الذى أجدبت أرضه أعوامًا من قلة المطر لبرق متتابع كثير المطر دائم الإيماض. أو قوله هوله يريد أنه من كثرته تخشى صواعقه وفى معناه يقول القائل:

وحديثها كالرعد يسمعه ... راعى سنين تتابعت جدبا

فاصاخ يرجو أن يكون حيًا ... ويقول من فرح هيا ربا

(٤) الوحشية الغزالة. ورادت خرجت تطلب المرعى وخالفها أى أتى حين غابت. والسرحان الذئب. والطلا ولدها. وراد خرج يطلب المرعى والأميل المنعقد. يقول أسفى لفقده كأسف غزالة خرجت لطلب المرعى وخلفت ولدها فأكله الذئب فهى تدور حول الرمل تتلهف على ولدها.

(٥) وقوله المقسم بالملح لبنى خالده يشير إلى أبيات فى مثل. والنبت الناجم أى الطالع.

دَان، وَالْفَرِق إِلَى سَيْفٍ لَيْسَ بِدَدَان، وَاعْتِذَارِى مِنَ التَّثْقِيلِ عَلَيْهِ اعْتِذَارُ الْوَرْقَاءِ مِنَ الْغَدْرِ، وأَبِى جَهْلٍ مِنْ حُضُورِ بَدْرٍ[١]، وَثِقَتِى بِمَكَارِمِه ثِقَةُ رَاكِبِ الْمَاءِ بِالْعَامَةِ، وَالْحَرِثِ بِالنَّعَامَةِ، وَشُكْرِى عَلَى أَيَادِيهِ حَبِيسٌ لَيْسَ بِمُحْتَبَسٍ، بَلْ يَتَجَدَّدُ مَعَ النَّفَسِ[٢]، وَفِى هَذَا الْيَوْمِ، وَهُوَ يَوْمُ كَذَا وَصَلَ كِتَابُهُ فَسُرِرْتُ بِهِ سُرُورَ الظَّمْآنِ وَرَدَ نَمِيرًا، وَالسَّاهِرِ صَادَفَ سَمِيرًا، وَكَأَنَّ مَا ضُمِّنَهُ مِنْ سَلَامَتِه، بُشْرَى لَهَا تَحِفُّ الأَحْلَامُ خِفَّةَ الْقَائِلِ وَلاَ يُلاَمُ، يَا بُشْرَايَ هَذَا غُلاَمٌ، وَاللهُ يَمُنُّ بِاجْتِمَاعٍ، لَيْسَ بَعْدَهُ مِنْ إِزْمَاعٍ[٣]، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَمْرِ النُّسْخَةِ الْمُحَصَّلَةِ وَهُوَ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ الْكَرِيمُ الْمُتَكَرِّمُ، وَأَنَا الْمُثَقَّلُ الْمُبْرِمُ، جَرَى فِى التَّفَضُّلِ عَلَى الرَّسْمِ، وَأَلْحَحْتُ إِلْحَاحَ الْوَسْمِ، فَأَمَّا الشَّرْحُ إِنْ سَمَحَ بِهِ الْقَدَرُ، وَإِلاَّ فَهُوَ هَدَرٌ، وَقَدْ كُنْتُ قُلْتُ فِى بَعْضِ كُتُبِى إِلَى سَيِّدِى إِنْ كَانَتِ الْخُطُوطُ مُخْتَلِفَةً، وَالأَبْوَابُ مُؤْتَلِفَةً، فَلاَ بَأْسَ يُغْنِى عَنْ لُبْسِ السَّرَقِ، ثَوْبٌ جُمِعَ مِنْ شَتَّى خِزَنِ. مَا عَدَا خَطَّ عَلِىِّ بْنِ عِيسَى فَإِنَّهُ رَجُلٌ اتَّكَلَ عَلَى مَا فِى صَدْرِه، فَتَهَاوَنَ بِإِحْكَامِ سَطْرِه، وَإِنَّمَا رَجَوْتُ بِبَرَكَتِه أَنْ يَتَّفِقَ أُنَاسٌ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، فَأَمَّا أَنَا فَلاَ أَقُولُ أَبَدًا عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا[٤]، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ فَسَادِ النَّاسِ فَأَحْلِفُ ما حَلِمَ الأَدِيمُ،

---

(١) والسيف الساحل. والفرق الخائف. والسيف الددان أى الكهام الذى لا يقطع شيئًا. والورقاء الذئبة ويضرب بها المثل فى الغدر لأنها إذا رأت دمًا بذئبها أكلته وقال الأعرابى:

فلا تكونى يا ابنة الأشم ... ورقاء دمى ذيبها المدمى

وأبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى ولعل هذا سبق ظن من المعرى وإلا فقد أن جهل حضر بدرًا ولم يعتذر وإنما الذى اعتذر هو أبو لهب.

(٢) والعامة عيدان مشدودة يعبر عليها النهر. والحارث هو الحارث بن عباد والنعامة فرسه وفيها يقول

قربا مربط النعامة منى ... لقحت حرب وائل عن حيال

وحبيس أى موقوف عليك.

(٣) والنمير الماء العذب. والإزماع الفراق.

(٤) والوسم الكى يريد ثبتت فى الإلحاح كثبوت الوسم على الجسم. وقوله أما الشرح يريد شرح السيرافى على كتاب سيبويه. وقوله إنما رجوت أن يتفق أناس يريد كنت آمل أن يتفق لنا أناس =

وَإِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ قَدِيمٌ، النَّمِرَةُ بِنْتُ النَّمِرَةِ، وَالْقَتَادَةُ أُخْتُ السَّمُرَةِ، وَهُوَ أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ مِنَ الْمَلَامَةِ، فِى أَحْصَنِ لاَمَةٍ، فَلاَ يَبْعَثُهُ تَعَذُّرُ الْحَاجَةِ، عَلَى اللَّجَاجَةِ، أَهُوَ الْكِتَابُ الْمَكْنُونُ، الَّذِى لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ، إِنَّمَا هُوَ أَبَاطِيلُ إِيَاةٍ، وَتَعَلُّلٌ فِى أَيَّامِ الْحَيَاةِ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ، فَأَمَّا سَيِّدِى الشَّيْخُ أَبُو عُمَرَ ثَابِتٌ فَإِنَّ اسْمَهُ وَافَقَ آيَةً، بَلَغَتْ بِفَأْلِهَا النِّهَايَةَ، وَهِى قَوْلُهُ جَلَّ اسْمُهُ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وَأَنَا وَالْجَمَاعَةُ نُهْدِى إِلَى سَيِّدِى الشَّيْخِ، وَإِلَى جَمِيعِ أَصْدِقَائِهِ سَلاَمًا تُؤَرِّجُ الْكُتُبُ بِحَمْلِهِ، وَتُرَوِّضُ الْمُجْدِيَةُ مِنْ سَيْلِهِ، وَحَسْبِى اللهُ.

* * *

= يبيعونه لنا بثمن بخس. وقوله فأما أنا فلا أقول أبدًا يريد أنه ليس من الضرورى اللازم أن يكون عندنا هذا الكتاب ومعنى هذا كله أن أبا العلاء طلب من أبى طاهر المخاطب بهذه الرسالة أن ينسخ له نسخة من شرح السيرافى ولم يشترط عليه أن يكون بخط واحد بل اشترط مجرد الضبط والتحرى فى النقل ومثل لذلك بأن الثوب الملفق من خرق متنوعة إن قام بستر الجسد أغنى عن السرق وهو الحرير.

(١) حلم أى فسد. والأديم الجلد. يريدون بذلك فساد الأمر. يقول قد ذكرت أن الناس فسدوا وأنا أقول إنهم كانوا كذلك منذ كانوا فلا يظن أحد أنهم فسدوا. وقال أبو العلاء فى اللزوميات:

وقد علمنا بأنا فى عواقبنا ... إلى الزوال ففيم الضغن والحسد
والجيد ينعم أو يشقى ويدركه ... ريب المنون فلا عقد ولا مد
ونحن فى عالم صيغت أوائله ... على الفساد ففى قولنا فسدوا

وقوله وهو من الملامة فى أحصن لامة. اللامة الدرع. يقول إن تعذر نسخ هذا الكتاب فهون عليك ولا تكلف نفسك لذلك التكاليف فإن هذا الكتاب ليس هو الكتاب المكنون الذى لا يمسه إلا المطهرون.

وكتب إلى صديق له سأله أن ينقصه فى ترتيب المكاتبة

كتَابى أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الرَّئيسِ الْفَاضِلِ بلاَ اسْتِثْنَاء، وَالمشْتَمِلِ بِحُلَّةِ الثَّنَاء، مِنَ الْمُسْتَقَرِّ الْمَأْنُوسِ، بِحُسْنِ ذِكْرِه، الْمَأْهُولِ بِحَمَلَةِ شُكْرِه، عَنْ قَلْبٍ يَعُومُ فى وَلاَئِه عَوْمَ الْحجَاة فى الْغَدِيرِ، وَالْقَطْرَة فى حَوْضِ الصَّبِيرِ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى خيرَتِه الْمُنْتَخَبِينَ، وَشَوْقِى إِلَى حَضْرَتِه السَّعِيدَة كَرَحِيقٍ إِذَا عَتَّقَ جَادَ، وَرَاوِى أَثَرٍ كُلَّمَا قَدُمَ سَادَ، شَوْقٌ لاَ تُحْسِنُهُ بَاكِيَةُ هَدِيلٍ، وَلاَ نَامِيَةٌ إِلَى جَدِيلٍ[1]، وَكَانَ كِتَابُهُ لَمَّا وَرَدَ كَطَائِرِ بِشَارَةٍ وَقَعَ، وَمَاءِ سَرَارَةٍ فُوجِئَ فَنَقَعَ، وَالإِطْنَابُ فى صِفَةِ مَا عُرِفَتْ حَقِيقَتُهُ خُلُقٌ مُجْتَنَبٌ، وَتَرْكُ الْبَيَانِ لِمَا ظَهَرَ أَجْدَرُ وَأَوْجَبُ، وَفَضَضْتُهُ عَنْ عَتَائِرِ اللَّطِيمَةِ، وَمَقَاطِرِ الأَطِيمَةِ، وَعَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ عَلَىَّ، لِمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ السَّلاَمَةَ عَلَيْهِ جِلْبَابٌ، وَالنِّعْمَةَ لَهُ مَنْزِلٌ وَجَنَابٌ، لأَنِّى جَعَلْتُهُ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ الْجُنَّةَ الوَاقِيَةَ، وَالْعُدَّةَ الْبَاقِيَةَ، وَإِذَا تَضَوَّعَ لِمَكَارِمِه أَرَجٌ، وَاتَّصَلَ مِنْ أَغْصَانِ مَنَاقِبِه حَرَجٌ، أَظْهَرْتُ الْمَرَحَ، وَأَضْمَرْتُ الْقَرَحَ، كَالأَمَةِ تَفْخَرُ بِجِدْجِ رَبَّتِهَا، وَالْمُعَزَّبَةِ بِنَعَمِ أَهْلِ بَيْتِهَا[2]، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ تَأْخِيرَ

(١) الحجاة النفاخة التى على الماء، وقوله كرحيق إذا عتق جاد من قول الآخر:

تزيد على السنين ضيًا وحسنًا ... كما زفت على العتق الشمول

الأثر يريد الحديث الشريف والمعنى أنه كلما علا السند كان أشرف ويريد بباكية هديل الحمامة. وقوله نامية إلى جديل، جديل فحل من الإبل منجب مشهور ويريد حنين النوق قالت الخنساء:

وما عجول على بون تحن له ... لها حنينان إعلان وإسرار

(٢) طائر بشارة يريد الطير التى تعلق كتب الفتوح على أجنحتها وترسل إلى الملوك للبشارة. والسرارة بطن الوادى. وفوجئ رؤى بغتة. ونقع أى أروى من العطش. وقوله عتائر اللطيمة الإبل وعتائرها أوعية الطيب التى عليها. والقاطر المجامر. والأطيمة النار يعنى أنه فاحت رائحته كما تفوح رائحة المسك إذا وضع فى مجامر النار. والحرج الغابات. والقرح الألم. والأمة الجارية. والحدج مركب للنساء ومنه قول الزرقاء:

شر يوميها وأغواه لها ... ركبت عنز بحدج جملا

وهذا مثل يقولون كالأمة تفخر بحدج ربتها. والمعزبة التى عزبت إبلها. والنعم الإبل والغنم.

الْجَواب، إِنَّمَا كَانَ لإِلْحَاق حسِّ الشَّرِّ بِأُسِّه، وَرَدِّ غَائلَة الْغَلَط عَلَى نَفْسه، لأَنِّى كَتَبْتُ بَعْدَمَا حُلِمَ الأَديمُ، وَبَلِىَ الرَّديمُ، وأَبْطَأَ الغُرُوب، أَمْلَؤُهَا مِنْ شفَاء الْمكْرُوب، وَالْعشَارُ الْهجَانُ، أَثْقَلُ مَا زَجَرَهُ الْفتيَانُ، وَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّ رسْلَ نَصيحَته لَيْسَ بسَمَار، وَأَنَّ صَوَابَ رَأْيه عَنْ غَيْر ائْتمَار، وَلَمْ أَكْتُبْ فى أَمْر أَبى فُلاَن إِلاَّ مُتَشكِّرًا، ثُمَّ ثَنَّيْتُ بِاسْترفَاد الْمَعُونَة مُذَكِّرًا، إِذْ كَانَ أَدَامَ اللهُ عزَّهُ لاَ يُشيرُ، لسَائله إِلَى الأَفَد الْبَعيد، وَلاَ يَضْرِبُ لرَاجيه رُءُوسَ الْمَوَاعيد.

أَرْخِ يَدَيْكَ وَاسْتَرْخِ إِنَّ الزِّنَادَ مِنْ مَرْخ

فَأَمَّا تَدَارُكُهُ مَا جَرَى مِنَ الْوَهْم، فَإِذَا أُعْطيت الْقَوْسُ بَارِيهَا وَالْخَيْلُ فَوَارسَهَا وَالْقَنَاةُ مُصَرِّفَهَا، دَحَضَتْ قَدَمُ الْبَاطلِ بِثَبَات الْحَقِّ، وَزَالَتْ حَنَادسُ الْمَيْنِ بِإِشْرَاقِ شُمُوسِ الصِّدْق، وَمَا اسْتَنَدَ أَبُو فُلاَن إِلاَّ إِلَى هَضْب مُتَالِع، وَاعْتَصَمَ بِغَرْز جَوَاد غَيْر ظَالِع، ما هَزَّ نَابيًا، وَلاَ أَرْسَلَ إِلَى الْغَايَة كَابيًا، وَلَوْلاَ عنَايَتُهُ لاعْتَمَدَ عَلَى الْيَرْمَعِ بِكَفَّيْه، وَاتَّبَعَ الْيَلْمَعَ بِنَاظِرَيْه، وَلَقِىَ أُمَّ الرُّبَيْقِ عَلَى أُرَيْقٍ[1]،

(١) يقال حلم الأديم إذا فسد الأمر قال القائل:

وإنك والكتاب إلى على كدابغة وقد حلم الأديم

والرديم الثوب المرفوع. والغروب الدلاء. يريد أن الدلو إذا كانت ملأى كان نزعها من البئر بطيئًا لثقلها. والعشار النوق الحوامل. وزجره أى ساقه وذلك أن الناقة إذا كانت عشراء وعظمت بطنها حبلاً يزجرها الراعى فلا تنزجر لثقلها والرسل اللبن الخاصل. والسمار اللبن المخلوط. والاسترفاد الطلب. والأفد الأمد المعنى كأن المعرى كتب للأمير الذى كتب له هذه الرسالة كتابًا من قبل يسأله فيه أن يتدارك بمعونته رجلاً من أصحابه نسب له بعض الشىء ثم تأخر جواب الأمير على كتاب المعرى برهة فأبو العلاء يقول قد علمت أن تأخير الجواب إنما كان لإنهاء هذه الفتنة عن آخرها ورد الغلط والوهم الذى وقع بسببها لأننى ما كتبت للأمير فى هذا الشأن إلا بعدما اتسع الخرق على الراقع فلزم لتلافى ذلك مدة من الزمن وهذا هو السبب فى تأخر جواب الأمير عنى ثم ضرب لذلك مثلاً بأن الدلاء أملؤها أبطؤها نزعًا. وقوله لم أكتب فى أمر أبى فلان إلا متشكرًا يريد أنى تشكرت قبل السؤال لعلمى بأنه سينجز لا محالة إذ هو لا يماطل سائله وقوله أرخ يديك واسترخ مثل يضرب لحصول الشىء بسهولة.

وقوله فأما تداركه ما جرى من الوهم يقول أما تدارك الأمير هذه الفتنة وما جرت من الوهم فغير مستغرب فإن الأمر إذا تولاه رجاله صلح. ومتالع جبل عظيم. والغرز الركاب. يقول ما استند =

وَلَوْ لَمْ يُتْعِبْ سَيِّدِى أَنَامِلَهُ بِالْمُكَاتَبَةِ، وَقَلَمَهُ فى الإِجَابَةِ، لَكَانَتْ دَلاَئِلُ صَنَائِعِه نَاطِقَةً، وَمَخَايِلُ إِحْسَانِه مُخْبِرَةً صَادِقَةً، يُرِيكَ بَشَرٌ، مَا أَحَارَ مِشْفَرٌ، كَفَى بِضِيَائِهَا هَادِيًا، وَبِنَشْرِهَا مُنَادِيًا، وَأَمَّا تَجْمِيلُهُ أَمْرَ الْجَمَاعَةِ بِحَضْرَةِ الرَّئِيسِ أَبِى فُلاَن فَنِعْمَةٌ وَلِيَتْ نِعَمًا، وَكَرَمٌ أَرْدَفَ كَرَمًا، وَتِلْكَ حَضْرَةٌ يَأْلَفُهَا الْخَيْرُ إِلْفَ الإِبِلِ السَّعْدَانَ، وَالْمَحَارِ الْعِدَانَ، وَالْجَمَاعَةُ أَوْلِيَاءُ فَضْلِهَا، وَغِرَاسُ أَهْلِهَا[1]، وَأَمَّا الْفَصْلُ فى تَرْتِيبِ الْخِطَابِ، فَلاَ غَرْوَ لِمَنْ نَزَلَ إِلَىَّ دَرَجَاتٍ، أَنْ أَرْتَفِعَ إِلَيْهِ دَرَجَةً، وَلِمَنْ سَلَكَ نَحْوِى الْمُشَبَّهَاتِ، أَنْ أَسْلُكَ نَحْوَهُ الْمَحَجَّةَ، وَذَاكَ فِعْلُ مُدِلٍّ، وَجُهْدُ مُقِلٍّ، فَأَنَا حِينَئِذٍ كَمَنْ قَامَ لِيَتَلَقَّى الْغَمَامَ، شَوْقًا إِلَى عَذْبِ مَاءٍ، قَطَعَ إِلَيْهِ مَا بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَقَدْ وَاللهِ الْعَظِيمِ أَرَدْتُ سُؤَالَهُ فى الرُّجُوعِ إِلَى مَرْتَبَتِه فى الْمُكَاتَبَةِ، وَإِجْرَائِى عَلَى مِقْدَارِى فى الْمُنَاجَاةِ وَالْمُحَاوَرَةِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقَ إِلَىَّ ظَنٌّ أَنا مِنْهُ بَرِىٌّ، وَبِسِوَاهُ جَدِيرٌ حَرِىٌّ، وَكَانَ التَّأَخُّرُ عَنْ ذَلِكَ زَلَّةً، وَالتَّرْكُ لِتَنَجُّزِه غَفْلَةً، لأَنَّهُ كَلَّفَنِى إِقْلاَقَ ثَبِيرٍ، وَلَحَاقَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ، فَمَا بَالُ الْعِلاَوَةِ بَيْنَ الْفَوْدَيْنِ، وَالْبَنَانَةِ بَعْدَ الْيَدَيْنِ، لاَ مَعْتَبَةَ إِنْ جَارَيْتُ بِبَكِىٍّ الْفَطْرِ، عَنْ زَكِىِّ الْقَطْرِ، هُوَ بَدَأَنِى بِمَا لاَ أَسْتَحِقُّ، فَأَجَبْتُ بِمَا أَوْذَمَهُ عَلَىَّ الرِّقُّ، وَلَمْ أَكُنْ كَعَاقِرِ الرَّمْلِ أُمْطَرُ فَلاَ أُرَوَّضُ، وَكَحَفِيرِ الْمَيْتِ أُعَوَّضُ وَلاَ أُعَوِّضُ، لاَ أَقَلَّ مِنْ كَوْنِى مِثْلَ وَذِيلَةَ الْغَرِيبَةِ، وَزَلَفَةَ الْمُضِرِّ الأَرِيبَةِ، يَطَّلِعُ فِيهَا ذُو الْوَجْهِ الْجَمِيلِ، فَتَجْتَهِدُ لَهُ فى التَّمْثِيلِ، وَلاِبْتِدَائِه عَلَى مُكَافَأَتِى شَفُّ الطَّلْعَةِ الْبَهِيَّةِ، عَلَى صُورَتِهَا فى الْمِرْآةِ الْجَلِيَّةِ، فَإِذَا رَاعَ فى لَفْظِه إِلَى الْيَفَاعِ وَعَدَلَ فى الْكَلاَمِ فَاعْتَدَلَ، آضَ وَلِيُّهُ

= أبو فلان منك إلا إلى جبل عظيم يستند إليه. واليرمع حجر رخو ومنه المثل كفا مطلقة تفت اليرمع. والليلمع السراب. وأم الربيق كنية الداهية. والأريق تصغير أورق والأورق الجمل الذى لونه الورقة وهذا مثل يضرب لمن وقع فى شدة.

(١) وقوله يريك بشر مثل لمن ظاهره يدل على باطنه. وقوله كفى بضيائها هاديًا مثل يريد أن النار التى توقد ليلاً تدل على صاحبها. والسعدان نبت من أجود المراعى. والمحار الصدف. والعدان ساحل البحر.

فَلَزِم الانخفَاضَ، وَفَاءَ فَأَخَذَ اللَّفَاءَ[١] وَسَيِّدِى أَبُو فُلاَن فَرْقَدُ جِنْدِسِى، وَكَوْكَبُ رَبِيعِى، وَرَوْضَةُ أَمَلِى، وَلَمَّا كَانَ هُوَ وَسَيِّدِى قَمَرَيْنِ فِى طُفَاوَةَ، وَشَمْسَيْنِ فِى هَالَةَ، وَبُشْرَيَيْنِ فِى كَلِمَةَ، اقْتَصَرْتُ عَلَى الْكِتَابِ إِلَى أَحَدِهِمَا دُونَ الآخَرِ، وَأَنَا أُهْدِى إِلَى حَضْرَتِهِمَا ثَنَاءً مِسْكِيًا، وَسَلاَمًا زَكِيًا، يَبْقِيَانِ مَا رَسَا الْعَلَمُ، وَأَوْرَقَ السَّلَمُ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

* * *

(١) وقوله وأما الفصل فى ترتيب الخطاب هو أن الأمير المكتوبة له هذه الرسالة سأل المعرى بأن ينقصه من عبارات التعظيم والتفخيم التى يذكرها فى كتبه فالمعرى يقول كيف أنقصك من ذلك وأنت تذكرنى فى كتبك بألفاظ التفخيم والتبجيل التى ترتفع عن قدرى قوله كمن قام ليتلقى الغمام كان النبى ﷺ إذا نزل المطر خرج وتلقاه وتمسح به وفرح. وقوله فما بال العلاوة بين الفودين إشارة لمثل أصله قول سيدنا معاوية للبيد بن ربيعة وكان عطاؤه ألفين وخمسمائة. فأراد أن ينقص من عطائه خمسمائة وهى العلاوة فقال له مذان الفودان فما العلاوة فقال له عما قليل يبقى لك الفودان والعلاوة فرق له وأعطاه عطاءه تمامًا ولم يأخذ عطاء بعد ذلك لأنه اخترمته المنية، والبكى اللبن. والفطر الحلب. وأوذم أوجبه. وعاقر الرمل الذى لا ينبت. وحفير الميت هو القبر. والوذيلة المرآة. والزلفة المرآة أيضًا. والمضر المرآة التى لها ضرة. وراع أى رجع. وفاء رجع أيضًا واللفاء القليل. والمعنى يقول هو عظمنى فقابلته بالتعظيم وأبيت أن أكون كالقبر الذى يأخذ ولا يعطى وأحببت أن أكون كالمرآة التى تقابل كل وجه بمثل ما يقابلها ثم قال والفضل لك فى البدء بالمعروف كفضل الصورة الأصلية على مثالها فى المرآة.